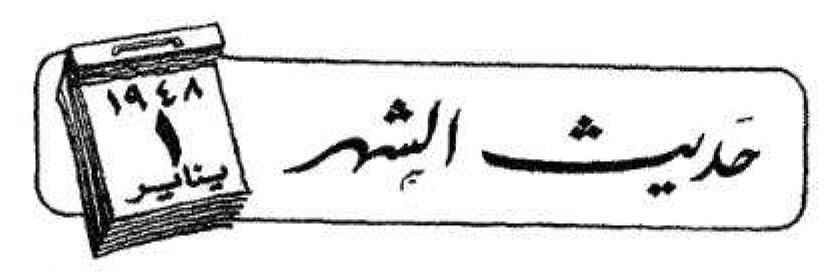


اعياد

كل ما عاد مع الزمان ، وعادت ذكراه ، فهو عيد

والاعياد كثيرة ، وهي مع كثرتها متنوعة شتيتة ، فالبيض لهم عيد ، والسود لهم عيد ، والصفر والحمر لهم عيد ، ومن عبدوا الله لهم اساليب مختلفة ، ومن عبدوا الشيطان ، لهم كذلك اعيادهم . والناس ، اينما قبعوا من هذه الارض ، وايا نمط من انماط الحياة اصطنعوا ، لهم في حياتهم اشياء تذكر فتشكر ، واحداث تذكر فتنكر ، فهم يحيون ذكرى ما حلا ، وذكرى ما مر ، وذكرى ما ساء وما سر ، وهم يذكرون المفارح الكبرى ويذكرون الفواجع ، ويذكرون البطولة الناجحة أكبر النجاح ، والبطولة الخائبة اكبر الخيبة . وارخوا الاشخاص وارخوا الأحداث وأرخوا الافكار، وشاقهم كلماجاء دورها أن يفتحوا صفحة التاريخ التى احتوتها ، فيلبثوا عندها طويلا ، ويقرأوا كثيرا أو قليلا ، وتدور ريشة الذكر على صورة في الخيال كاد يمسها بالعفاء النسيان ، فتثبت ما عفا ، وتوضح ما أنبهم ، وتعيد الخطوط فيما اشكل . وهو عمل لذيذ تلتذه نفس الانسان الذى وهب وحده العقل ، ووهب وحده الذكر ، فهو وحده من سائر الحيوان الذى يعقل ، وهو وحده من سائر الحيوان الذى يذكر ، وهو وحده من بين الحيوان الذى له ذكريات تحيى ، واعياد تعود

عيد الفرد

ومن الاعياد ما قد خص اكبر خصوص ، وذلك عيد الفرد الواحد ، عيد ميلاده ، يدق ناقوسه خافتا كل عام ، فلا تكاد تسمعه الا اذناه وآذان الاقربين، فلا يتحرك له ، ولا يخفق به ، الا قلب واحد او بضعة من قلوب . ويحتفل به الطفل فلا يفهم منه غير كعك الموائد الحافلة ، وغير العاب الاصحاب والاتراب . ويحتفل به الصبى والشاب ، فيكون احتفالا بزيادة في العمر تكسب القوة وتحقق الآمال . ثم يأتى الدور الذى يكون الاحتفال فيه بيوم الميلاد غير ذى لون ، وغير ذى طعم ، لاشتباك صاحبه في معركة الحياة ، فهو لايكاد يذكر، وان هو ذكر فهو لايكاد يبالى . ثم يأتى دور التضعضع والتزايل فيستعيد يوم الميلاد خطورته

الاولى، فهو يذكر قبل أن يجيء ، وهو لا ينسى بعد فوات ، ذلك ان كل عودة له كسب غير مأمول ، ونعمة ، أو نقمة ، غير مرتجاه

عيد العام

ومن الاعياد ما عم اكبر عموم ، وشمل اكبر شمول ، وذلك عيد الزمان ، عيد رأس العام . العيد الذى يعيد البرد من جديد ، ويعيد الحر ، ويعيد ربيع الزمن وخريفه . ويعيد انبات الزهور ليعيد اذبالها ، ويعيد انبات المحاصيل ليعيد اهلاكها واستهلاكها . ويعود ينفخ فى الطبيعة من حياة ونماء ، ليرد عنها من بعد ذلك أنفاسه ، فلا تكون حياة ولا يكون نماء . ويعود يزين وجه الارض ، فيكسوها أبهج الالوان وازهاها ، ليمحو بعد ذلك اللون ، وليخلع الكساء

وعيد العام هو العيد الذى يشترك فيه الملك والصعلوك ، والغنى والفقير ، والعالم والجاهل ، والسعيد والبائس ، فهم ان كان لكل منهم مقاس مختلف تقاس به اعمارهم ، من حيث تبتدىء ، ومن حيث تنتهى ، فان لهم فى العام ، وفى عيده ، مقاسا مشتركا يقاس به الزمان ويقاس العيش ، وبه تذكر احداثه ، وبه تحسب ما مضى منها وما يتوقع

وعادة أهل الغرب قرع الاجراس عند ختام العام ، يظلون يقرعونها فى دقائقه الاخيرة ، وهو يتنفس أنفاسه الاخيرة .. هى أجراس للوداع . حتى اذا خرج آخر انفاسه بانتصاف الليل ، فدقت الساعة الثانية عشرة فى الجمع الحاشد الكبير، وهو صامت خاشع مهيب ، قطع الصمت من بعدها تكبيرهم وتهليلهم، وصراخهم وزئاطهم . واصوات النواقيس ترن فتعلو على الزئاط ، وتصل الى الاسماع ، وتهتك ستر الليل وتعبث بسكونه . وهى أجراس، وهو زئاط وصراخ ، وتهليل وتكبير وترحيب ، بالعام الجديد

وفى الدقيقة الاخيرة ، والناس صموت ، ينظرون خروج عام ، ودخول عام ، والساعة تدق دقة فدقة ، الى ان تستتم التنى عشرة دقة ، تتركز المشاعر، وتتجمع الذكريات ، وترهف الاحاسيس ، وتختلج الاعين ، وقد ترى منها دمعة تسيل . وتصدح الموسيقى فتقطع على الذاكر ذكره ، وتفر على المرهف حسه ، وتحفظ على الاعين دمعها. وتجرى الارجل بالرقص على النغم ، وتدور فى الصالة ثم تدور، فكأنما تحاكى العيش فى دورانه ، دورة من بعد دورة

مصر بين عامين

وان ذكر الفرد بين عام وعام شجنه ، وعدد أمله ، فللأمم ايضا فرصة الذكرى بين العام والعام ، تذكر بها الاشجان ، وتعدد الآمال

ومصر لا تكاد تذكر فى عامها المنسلخ كسبا ذا بال، الا ان يكون التعقل والتبصر ، والخبرة التى تجنى من الحوادث كسبا . وكان

اكبر الحوادث التي اتجاه مصر في قضيتها الى مجلس الامن ، وما كان لمثلها الاول فيه من دفاع مجيد . وان كانت النتيجة سلبا ، فقد كانت في محيط الدعاية ، وتعريف الأمم بالأمم ، وتنوير الامم في قضايا الامم ، ايجابا . ولا شك ان مصر اكتسبت بالذى صنعت جاها لاينكره الا ذوغاية. ومصر قبل مجلس الامن كان يعتدى عليها في الظلام ، فاذا اعتدى عليها معتد من بعده ، اعتدى عليها في وضح النهار والعيون ترى والاذان تسمع . والظلام ان اغرى بالاعتداء على الحقوق ، فالنور يكفكفه فيمنع ويصرف ، ما بقى في وجوه الامم شيء من ماء الحياء . وان لم يبق من مائه شيء ، فالدفاع عن الحقوق في وضح النهار افضل واهدى ، وضمير العالم ان ستروه يوما ، فلا بد هو مخرج قرنيه ، ومطل براسه يوما ، ثم هو قاضم بنابه ، ولو طال الزمان .

وكسبت مصر في سودانها وخسرت . اما مكسبها ، فكشف الهدف الذى كان يهدف اليه حكامه . فقد تبين لأهل السودان ذلك القدر من الحرية الذى تشدق به المتشدقون . وطلع عليهم طالعهم بميثاق الاستقلال ، فاذا هو يعطى به الصور ويمنع الجوهر ، واذا به يعطى القشر ويحتفظ لنفسه باللباب . وخسرت مصر بما اكتنف قضيتها في امر السودان من ابهام . لقد ارادت ان ترضى كل الأهواء ، وتبسط شراعها لكل الرياح ، فوقفت السفينة ، فلا هى شرقت ولا غربت .. ولكنها تحت آية هذا الخسران اخيرا بما اعلنته من تلك المعانى التى تفهمها من حرية السودان واستقلاله . فقد كسبت لنفسها حد السودان، دعاة الوحدة ودعاة الفرقة ، واحرجت ذلك الدخيل الذى ظن انه دق الأسفين فشق الجذع لغير التحام والتئام

والشرق بين عامين

ونذكر فيما نذكر ، بهذه النقلة من عام الى عام ، تلك المحنة الكبرى التى امتحن الشرق بها ، بتقرير هيئة الأمم اقامة دولة يهودية في الصميم من الدولة العربية . وقد قضت هيئة الأمم في اقضية سبقت ، ثم احجمت عن معالجة التنفيذ ، بحجة انه ليس لديها وسيلته . وما قضاؤها في عدم التمييز ، بين هنود جنوب افريقيا ، وبيضهم ، ببعيد . وركب «سمطس» راسه متحديا اياها ، فما نبست بكلمة . ولكنها في أمر العرب تريد أن تردف حكمها بالتنفيذ ، قوة واقتدارا

ولكن القوة والعناد اللذين حميا جنوب افريقا ، سيحميان العرب آخر الأمر . لقد عادت هيئة الامم تقول ان قضاءها بين الهنود ومواطنيهم من البيض ، كان قضاء بدفع التمييز لا بدفع التفريق . فحكومة افريقيا تستطيع أن تفرق بينهما ، ولكن لا تميز . فهل عقلت بالله هذا ، أم أنا وحدي الغبي ، والذين قالوه عقلاء . فتفسيره لابد ان يكون

انه التراجع فى غير لبـــاقة . وسـيتراجعون عن العـرب ، فى لبـاقة أو غير لبـاقة ، ما صمم العرب، وارخصوا الحياة فى الدفاع عن نسائهم وعيـالهم ، وحمـاية موارد الحياة ان تنضب منهم

الشباب والملك

وثقل هذا واقع لا شك على شباب الأمم العربية ، وكل من اعانهم من أمم . ومن اجل هذا خصصنا بهذا العدد من الهلال الشباب ، فالشباب فى كل امة هو عماد حركتها . وعماد قوتها ، ومنـه تخرج الرجـولة وتخرج الكهولة ، وهو قوة وزينـة ، فى سـلم أو حرب . وأن تكن لم نستطع ان نزف للشباب هـذا العام الا الحثّ على الدفاع ، وقبول التحدى ، فسوف نعوضهم عن هـذا فى عامهم المقبل ، ثنـاء بما ابلوه ، أو لعلهـا البشرى بنصر مبين ، وأمن مقيم

وفى استحثاث الشباب اهدينا مثلا للشـباب عاليـا ، صـورة الفاروق ، فى شباب ملكه ، وملك شبابه . فهو الشاب الذى لولا الملك ، ولولا العـرش ، لمشى فى مواكب الشباب ، وعند راسها ، قائدا وزعيما . وأكرم بقيادته قيادة ، وبزعامته زعامة . واذن لتبرا ، بما حبـاه الله ، وبالذى وهبـه الله ، مما لم يستطع أن يتبرا منه الزعماء

ذكرى الزعيم الشاب

فى فبراير القادم يكون قد مضى على وفاة الزعيم الوطنى الخالد « مصطفى كامل باشا » اربعون عاما . فقد توفى رحمه الله فى العاشر من شهر فبراير سنة ١٩٠٨ . ولهذا رات مجلة « الهلال » أن تحتفى بهذه الذكرى الوطنية الكريمة ، فتخصص عدة صفحات من هلال فبراير لنشر طائفة من المقالات الشائقة ، والاسرار التى لم يسـبق نشرها لنخبـة من الادباء والسياسيين من هذا الزعيم الذى توفى فى ربيع الحياة وعنفوان الشباب

« الوطن فى حاجة إلى جيش « الواجب » والشباب هم أجدر الناس بأن يكونوا طليعة هذا الجيش »

الشباب والوطن

بقلم
عبد الرحمن الرافعى بك

اذا كان من واجب كل مواطن ان يؤدى لبلاده ما تقتضيه من جهود وخدمات وتضحيات فى مراحل حياته كلها .. فى شبابه ، وكهولته ، وشيخوخته . فمن الحق ان نقول ان ضريبة الشباب نحو الوطن ، يجب عدلا أن تكون أوفر قسطا وأوسع مدى من ضريبة الشيوخ . ذلك أن المرء فى شبابه أكثر قوة ونشاطا وأعظم حماسة وأبعد عن حمل مسئوليات الحياة وتبعاتها من الشيوخ . وفى الغالب يبقى الشباب سنين عدة بمنأى عن أعباء هذه التكاليف ، اذ يحملها عنه أبواه . فمن الحق على الشباب أن يحملوا من تكاليف الحياة العامة ، أكثر مما يحمل آباؤهم

الشباب فى الطليعة

وهذه الفوارق نراها بارزة فى حياة الجندية وتوزيع أعباء الدفاع الحربى عن البلاد ، فان الشباب هم دائما فى طليعة الجيوش المحاربة وهم أكثر المواطنين احتمالا لأعباء القتال وتضحياته . ولا يجد الشباب غضاضة فى تقدمهم الصفوف ، بل هم يرون فى ذلك الدفاع عنوان وطنيتهم وموضع مجدهم وفخارهم .

وقس على ذلك كافة النواحي الأخرى من النهضة القومية .. فالشباب هم أول عدة للوطن فى اطراد هذه النهضة . ومن الشيوخ من يظلون شبابا فى نشاطهم وجهادهم وتضحياتهم . وهؤلاء يستحقون المزيد من تقدير الوطن . ولكن الوطن لا يرضى من الشباب ان يركنوا الى التراخى فى أداء الواجب بدعوى تقليد الشيوخ . فان هذا تعليل سقيم وتقليد غير سليم . بل هو نكوص على الاعقاب فى ميدان العمل والجهاد

من واجب الشباب اذن ان يكونوا أكثر مساهمة من آبائهم فى تكاليف الجهاد وأعبائه ، وأكثر منهم حماسة ونشاطا ، وعليهم الا يحاسبوا آباءهم حتى على ما بدا منهم من التراخى فى شبابهم . فقد يكون الجيل الذى نشأوا فيه قد عاقهم عن العمل أو لم يعدهم اعدادا صحيحا للجهاد ، بخلاف الجيل الجديد . فلا تصلح ظروف الماضى علة للقصور الحاضر . وفى الجملة لا يقبل من الشباب عذر اذا هو قصر فى أداء واجباته الوطنية

هكذا كان تفكير الشباب حينما كنا شبابا . وهو ما اعتقد انه تفكير الشباب اليوم وغدا

سلاح العلم والاخلاق

وعلى الشباب لكى يؤدى للوطن أكثر ما يمكن من الخدمات ان يتسلحوا بخير معدات النهوض والكفاح . واول هذه الاسلحة وامضاها هو سلاح العلم ، ثم سلاح الاخلاق . فالعلم يجعل من المواطن عضوا منتجا فى الهيئة الاجتماعية ، يعتمد عليه فى خدمة المجموع . وبغير العلم يصبح عضوا عاطلا قليل الأثر بل قد يصبح عالة على المجتمع . اما الاخلاق فهى أساس الوطنية ، وحصنها الحصين

فبالوطنية والعلم والاخلاق يصبح الشباب جنودا صالحين فى جيش الوطن . وهى الكفيلة لهذا الجيش بالظفر والنصر فى ميادين العمل والكفاح

لست ادعو الشباب الى العنف فى اداء الواجب ، بل ادعوهم الى العمق فى اداء هذا الواجب . اود أن يأخذوا بمبدأ عدم العنف ــ وهو ما ادين به ــ واراه أقوم السبل وأقربها الى النجاح . وليس معنى ذلك انى ادعوهم الى طرح المقاومة الوطنية، بل انى على العكس اعتقد ان المقاومة الوطنية فرض على الشباب والشيوخ فى الحياة . وهى السبيل التى أدعو اليها وانشد للوطن المزيد منها والثبات عليها . وهى سبيل كل أمة تريد المحافظة على كيانها فى

تمثال من صنع « رودان » المثال الفرنسى المشهور يرمز الى النداء للنصر . وهو يمثل فتى وطنياً طعن فى جنبه ، وفوقه ملاك ينادى بالجهاد والدفاع عن الوطن

خضم هذا المعترك العالمى .. اذ لا بد لها من ذخيرة من المناعة القوميـة تدفع بها الأحداث والحوادث . على ان المقاومة او المناعة شيء ، والعنف شيء آخر. وقد يكون عدم العنف ادعى لدوام المقاومة واستمرارها ، واجدى عليها من عنف يعقبه فتور وخمود

الاخلاص للوطن

واذا كان لى ان انصح الشباب الذين يعقد عليهم الوطن آماله . فانى أقول لهم ما قلته تعقيبا على تاريخى لثورة سنة ١٩١٩ :

ـ لا تكونوا ثوريين كأسلافكم سنة ١٩١٩ ، بل كونوا مثلهم مخلصين للوطن فى أعمالكم واهدافكم . لا تكونوا مثلهم ثوريين .. فان فى ميادين الجهاد السلمى السياسى ، والاقتصادى والاجتماعى ، مجالا فسيحا لجهودكم واخلاصكم وتضحياتكم . وان فيها لأعمالاً مجيدة تنتظركم ، لكى تنهضوا ببلادكم فى مختلف النواحى . لا تكونوا فى حياتكم الوطنية معتدين، فانه لخير للبلاد وللحركة الوطنية أن تكونوا معتدى عليكم لا معتدين فباستهدافكم للاعتداء تقوى فى نفوسكم روح التضحية واحتمال الشدائد فى سبيل بلادكم . واذا انتظمتم فى سلك الحياة العملية ، فتعهدوا فى نفوسكم شعلة الوطنية ، ولا تدعوها تنطفىء او تذبل

ادوا واجبكم فى الحياة . فلو ادى كل منكم ، رجالا ونساء ، واجبه نحو الوطن ، الزارع فى حقله ، والصانع فى مصنعه ، والتاجر فى متجره ، والكاتب والاديب فى أدبه وتفكيره ، والموظف فى وظيفته ، وصاحب المهنة الحرة فى مهنته ، والسياسى فى بيئته ، لسعد بكم الوطن ، ولأديتم له من الخدمات أكثر مما ادى أسلافكم . كونوا مؤمنين بالوطن ، مؤمنين بالواجب نحوه . ولا يزعزع ايمانكم يأس او خيبة أمل . فان الأمم لاتنهض باقوام يتحسسون مواضع النقص والضعف فى نفوس مواطنيهم ، لا ليصلحوها، بل ليسوغوا لانفسهم نزعة التنكر للمثل العليا . ولا تنهض باقوام يحاسبون بلادهم حسابا عسيراً فى اقتضاء المكافاة العاجلة على اعمالهم وخدماتهم . لا تنهض الامم بهؤلاء واولئك . بل تنهض بقوم يملأ الاخلاص قلوبهم ، فيترسمون فى الحياة سبيل الواجب نحو بلادهم . يؤدونه .. ولو كانوا ضحية هذا الواجب ، او ضحية المجتمع الذى له يخلصون . فمهما تبلغ تضحيات المرء فى هذه الدنيا ، فانها لاتقاس الى تضحيات الشهداء فى ثورة سنة ١٩١٩ ، وشهداء الوطن عامة ، أو شهداء الأمم فى الحروب التى حصدت الملايين من بنى الانسان ، ممن بذلوا أرواحهم فى سبيل أوطانهم

وبعد : فان الوطن فى حاجة الى جيش « الواجب » . والشباب هم أجدر الناس بأن يكونوا طليعة هذا الجيش

عبد الرحمن الرافعى

الحرية أولا ..

« نفوس الشباب المصريين أشبه شيء بهذا العفريت الذى حبسه سليمان فى قمقم مطبق من النحاس الصفيق ، وختم عليه بخاتمه وأمر به فألقى فى أعماق البحر »

بقلم الدكتور طه حسين بك

تريد ان تنشيء الذوق الفنى المصفى فى نفوس الشباب المصريين ليحبوا الجمال ويذوقوه ، ثم لينشئوا الجمال ويبتكروه ، ثم ليضيفوا الى فنهم القديم فنا حديثا ، ثم ليشاركوا فى تنمية هذا الترف الفنى العالى الذى يجعل الانسان انسانا ، ويحببوا الحياة الى النفوس ، ويجعلوا الدنيا شيئا ذا خطر على رغم ما يحيط بها من هذه الظروف البشعة ، التى تجعلها اهون على الرجل الكريم من جناح بعوضة ، لولا ان فيها اشياء تتصل بالذوق فتجعل لها قيمة وشانا

تريد ان تنشيء الذوق الفنى فى نفوس الشباب ، ليستقبلوا الحياة راغبين فيها محبين لها مؤمنين بها ، لا ليقنعوا بما تتيح لهم من ارضاء الغرائز وقضاء المآرب القريبة وتحقيق الآمال الوضيعة ، بل ليتجاوزوا الحياة الى ما هو ارفع منها شانا واجل منها خطرا واسمى منها منزلا ، وهو الاستمتاع والامتاع بهذه الثمرات الحلوة التى تجد فيها القلوب راحة ، وتجد اليها النفوس روحا ، والتى تسمو بالناس الى حيث ينظرون الى الحياة مزدرين لها ساخرين منها ، زاهدين فيها ، بعد أن كانوا يحبونها اشد الحب ، ويكلفون بها أعظم الكلف ، لانهم يرونها قد انتهت بهم الى الغاية وبلغت بهم آخر الشوط ، فلا عليهم من ان يتركوها ولا عليهم من ان تتركهم ، بعد أن اتاحت لهم ان يستمتعوا ويمتعوا لحظة قصيرة او طويلة بهذا الجمال الذى لا تؤدى وصفه الالفاظ ، وانما تجد روعته القلوب فتنسى فى ذاته كل شيء

ثم تريد ان تنشيء الذوق الفنى فى نفوس الشباب ، ليعرفوا انفسهم وليقدروا وجودهم وليلقوا من يلقون من الاجانب الاوروبيين والامريكيين ، فيتاح لهم ان يتحدثوا اليهم ويسمعوا منهم وأن يفهموهم ما يريدون

ان يقولوا ، ويفهمـــوا عنهم ما يقولون ، لايجدون فى ذلك مشقة ولا عناء ، وانما يجدون فيه راحة ومتاعا . ولا يشعرون فى أثنـاء ذلك بما يغض منهم فى انفسهم ، ويخيل اليهم او يحقق لهم انهم اقـــل من الاجنبى الاوروبى والامريكى ، علما بما يجب ان يعلم النــاس ، وشعورا بما يجب ان يشعر به الناس ، وتقديرا لمـا يجب ان يقدره الناس

*

تريد ان تنشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب لتبلغ بهم هـذه المنازل كلها ، ولتشعرهم بأن من حقهم ان يعتـدوا بانفسـهم ، ويعتزوا بقديمهـم وحديثهـم ، ويطمحوا الى مايطمح اليه اترابهم من الشباب فى الامم الراقيـة الاخرى ، وهوان يتلقوا عن آبائهم تراثا كريما وان ينمـوه ويزيدوا فيه ويدفعوه الى ابنـائهم تراثا كريما لينموه ويزيدوا فيه ، وان يحققوا بذلك لوطنهم ما ينبغى أن يتحقق للوطن الكريم من هذه الحياة التى تنمو على مر الزمن وتربو على تعاقب الايام ، وان يحققوا للانسـانية ما ينبغى ان يتحقق للانسانية من هذا الرقى المتصل والسمو الممتاز

تريد أن تنشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب ، وانا ايضا اريد ان انشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب ، لانى اعلم كما تعلم ان مهمتنا فى الحياة انما هى تنشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب . على هذه المهمة وقفنا جهودنا ؛ وفى هـذه المهمة انفقنا حياتنا ، ولهذه المهمة خصصنا ما بقى لنا من حياة . ولكنك تعلم كما اعلم ان شأننا فى ذلك كشأن ابى العلاء حين تقطعت به الاسـباب فى بغداد ، فقال هـذا البيت الذى يراه النقاد قريبـا غاية القرب ، وتراه انت واراه انا بعيـدا غاية البعد :

فيادارها بالـكرخ ان مزارها
قريب ولكن دون ذلك اهوال

يرى النقاد انابا العلاء لم يزد على ان تغزل كما تغزل الشعراء من قبله ومن بعده ، فذكر دار حبيبته وذكرالمصاعب التى تقوم بينه وبين زيارتها ، وترى أنت كما ارى انا أن ابا العلاء لم يكن من الحب فى شىء ، وانما رمز بدار حبيبته الى مطامعـه البعيـدة وآماله النائية والى تلك العقبات التى تحول بينـــه وبين بلوغ المطالب وتحقيق الآمال

فتنشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب يسير كل اليسر ، ولكنه على ذلك عسير كل العسر ، وهو قريب كل القرب ولكنه على ذلك بعيد كل البعد ، واى شىء ايسر واقرب من ان نمنح الشـباب ما ينبغى لهم من الحرية التى تتيح لهم ان يقبلوا ، وان يرفضـوا ، وان يحبوا وان يبغضـوا ، وأن يفعلوا وأن يتركوا ، حين يريدون هم لا حين يريد غيرهم ، وغيرهم هـذا كثير لا يكاد يحصى ، منه التقليد الموروث الذى يفرض على

الشاب ان يفكر ويعبر ويعمل ويشعر ، كما تلقى ذلك عن اسرته وعن بيئته لا كما تريد نفسه ولا كما يريد طبعه أن يفكر ويعبر ويشعر ويسير ، ومنه التقليد الاجتماعي المكتسب الذي يفرض عليه ان يحيا كما يحيا الناس ، ويحظر عليه ان ينفرد او يشذ او يأتي من الامر ما يكره النظراء والاتراب ، ومنه السلطان الذي يشرع القوانين ، قاسية مرهقة مقيدة ، ثم يصطنع في انفاذها وسائل اشد منها قسوة وارهاقا وتقييدا . حرر الشباب قبل كل شيء ، ولو تحريرا موقوتامن هذه القيود كلها او بعضها . دعهم يفكروا كما يريدون ، ودعهم يحيوا كما يريدون ، وارشدهم بالقدوة الصالحة والاسوة الحسنة والنصح الرفيق . وثق بانك ان فعلت أعددت نفوسهم للذوق الفني الرفيع احسن اعداد واقومه. انك لتعلم أن الفن حرية قبل كل شيء ، حرية واسعة الى ابعد غايات السعة ، حرية في نفس المنتج وحرية في نفس المستهلك كما يقول أصحاب الاقتصاد .

خذ من شئت من المبدعين في الفن واستقص حياته ، فسترى انه لم يبدع الا لانه شذ وانفرد وامتاز وخرج على ما الف غيره من القيود . وليس كل الناس ميسرا للفن ، وليس كل الناس قادرا على التفوق والابتكار ، ولكن من حق الناس جميعا ان تهيأ لهم الفرص وتمهد لهم اسباب التفوق والابتكار . واول ما يجب لذلك ان يتاح للشباب، وللشباب خاصة ، ما ينبغي لهم من الحرية التي تفتح قلوبهم وعقولهم وضمائرهم لكل ما في الحياة من خير وشر ، ولكل ما في الحياة من حسن وقبح ، ولكل ما في الحياة من حب وبغض ، ليقبلوا عن اختيار لا عن اضطرار وليحبوا ويبغضوا عن رضا لا عن اكراه .

فاذا لم تتح لهم هذه الحرية ، فلا تبتغ منهم خيرا ، ولا ترج منهم نفعا ، ولا تنتظر لهم تفوقا ولا ابتكارا ، وانما انظر اليهم كما تنظر الى الرقيق المسخرين ، والى الحيوان الذي تدفعه غرائزه ويحد من حريته سلطان المستأنسين له المنتفعين به ، فيما يحاولون من المآرب والاغراض . ان الفن حرية لا رق .. فاذا أردته من الشباب ان يذوقوا الفن ويسيغوه ويحاولوه ويبتكروه ، فاجعلهم احرارا ، لان الفن اثر من آثار الاحرار لا من آثار العبيد .

*

اي شيء ايسر من أن تجعل الشباب احرارا .. انك لتريد ذلك واني لأريده ، ولكن اي شيء اعسر من ان تجعل الشباب احرارا . ان التقاليد الموروثة ، والتقاليد المستحدثة ، وسلطان الحكومة ، وسلطان الجماعة ، وظروف الحياة، كلها في هذا الوطن البائس ، تابى على الشباب ان يكونوا احرارا .. فانشد معي اذن قول ابي العلاء :

فيا دارها بالكرخ ان مزارها
قريب ولكن دون ذلك اهوال

والتمس من العزائم والطلاسم والتمائم ما يحميك ويحميني من هذه التهمة الكبيرة الخطيرة، تهمة الميل الى افساد الشباب . واى خطر على حياة الشباب فى بلد كمصر ، اشد من أن تلتمس له هذه الحرية التى يستمتع بها الشباب فى غير مصر من البلاد التى الفت الحرية ، فلم تستطع أن تتسلى عنها ولا أن تزهد فى ثمراتها الحلوة والمرة جميعا

ثم لا تنس أنك لن تمنح الحرية للشباب حين تضع عنهم اصرهم والاغلال التى تثقلهم من التقاليد والظروف، فقد ينبغى أن يعيش الانسان قبل أن يكون حرا ، وقد ينبغى أن يعصم الانسان من الحرمان ليعيش. . فحرر الشباب من البؤس والجوع وهم التفكير ، فيما يقيم الاود ، وحررهم من الجهل واتح لهم علما وادبا وثقافة، ويسر لهم بعد ذلك ان يعيشوا فى جو سمح غير متحرج ولا متزمت ، وخل بينهم وبين الدنيا وما فيها مما يسر ومما يسوء ، مما يحسن ومما يقبح ، مما يلذ ومما يؤلم . وثق بأنهم سيحسون ويشعرون، وثق بأنهم سيرضون ويسخطون، وثق بأنهم سينعمون ويبتئسون ، وثق بانهم سيستقبلون هذا كله بانفسهم لا من طريق غيرهم ، وثق بأنهم ان استقبلوا الحياة ولذاتها وآلامها وخطوبها واحداثها، فسيصورون ما يستقبلون من ذلك وسيعبرون عنه وسيتأثرون به وسيؤثرون فيه ، وسيكون كل واحد منهم انسانا حرا عاملا . وحيثما وجد الانسان الحر العامل، وجد الذوق الفني ووجدت آثار الذوق الفنى من الاستمتاع والامتاع جميعا

*

اذهبت الى الجامعة ؟ اشهدت الشباب الجامعيين حين يختلفون الى الدروس ويستمعون الى الاساتذة ، وحين يتحدثون الى اساتذتهم وحين يتحدث بعضهم الى بعض، ارأيت فى هذا كله شيئا يشبه ما تعرف من شؤون الشباب الجامعيين فى البلاد الاجنبية الراقية؟ الم تر الى تزمت الاستاذ حين يلقى الدرس وتزمت الطلاب حين يستمعون له ؟ الدرس عبء ثقيل على الاستاذ يتخفف منه بالقائه فى غير حب ولا كلف ولا ذوق . والاستماع عبء ثقيل على الطلاب يتخففون منه ، باحصاء الدقائق وانتظار الجرس الذى يرد اليهم ظلا من الحرية ، ويخلى بينهم وبين الانطلاق الى ما هم فيه من سخف الحديث وفيما يتحدث البائسون فى أشياء لا تتصل بالثقافة من قريب أو بعيد ، فى أشياء لا تتصل بالعلم ولا بالفن ولا بالذوق وانما تتصل بصغائر الامور وسفاسفها . . تتصل باللذات القريبة والمنافع العاجلة ، وقد تتصل بالسياسة فلا تمس الا ادناها الى السخف

وابعدها عن الفناء ، تتصل بهذه اليوميات التى لا تقدم ولا تؤخر فى حياة الجماعات ، فاذا تركوا الجامعة فالى الجهود الضائعة والحياة الفارغة ، الى حرمان المحرومين ، وشقاء الاشقياء ، وصبر الصابرين على المكروه ، ويأس اليائسين حتى من روح الله . فاذا اتيح لبعضهم شيء من اللهو وفضل من المتاع ، فانت تعلم حيث يلتزمون ذلك ، وانت تعلم مايكون بين ذلك وبين الذوق الفنى المترف الرفيع من صلة ، والخير كل الخير ان نطوى الحديث عنه طيا

*

اذهبت الى مدرسة الفنون الجميلة ؟ ارايت الى النقش والحفر والتصوير وغيرها من الفنون ، تلقى الدروس فيها على الطلاب ، كما كانت تلقى عليهم دروس النحو والحساب ، يدعوهم اليها الجرس ويصرفهم عنها الجرس ، ويشرف عليهم فى اثنائها وفيما بينها نظام دقيق قد رسمت له اللوائح وبينت له الحدود .. فهم يسكنون بمقدار ويتحركون بمقدار ، وهم يسكتون بمقدار ويتكلمون بمقدار ـ مدرسة عسكرية لا اكثر ولا اقل . فكيف تريد للذوق الفنى المترف الرفيع ان ينشأ او ينمو او يمتاز فى هذه البيئات التى لم تخلق الا لتقتل الذوق او لتفسده على اقل تقدير ؟ ! وأى شيء ايسر من ان ترد الى هذه البيئات فى الجامعة وفى مدرسة الفنون الجميلة وفى معاهد التعليم كلها ، شيئا من اليسر والاسماح ومن الدعة والحرية ، لانك تريد ذلك ولانى اريده ولكن هيهات .. دون ذلك اللوائح والقوانين والامن والنظام والخوف والاغراق فى الخوف . نفوس الشباب المصريين اشبه شيء بهذا العفريت الذى حبسه نبى الله سليمان فى قمقم مطبق من النحاس الصفيق ، وختم عليه بخاتمه وامر به فالقى فى اعماق البحر ، كما يحدثنا بذلك القاص فى الف ليلة وليلة . واجسام الشباب المصريين، هى هذه القماقم المطبقة الصفيقة، الا انها ليست من نحاس وانما هى من لحم ودم . والفرق بين هذه النفوس السجينة فى قماقمها وبين ذلك العفريت ، هو ان العفريت وجد الصياد الذى استخرج قمقمه من اعماق البحر، وفض عنه خاتمه ، ورفع عنه غطاءه ، واتاح للعفريت ان يحدث عهدا بالهواء والنور والحرية

*

فالى أن تجد نفوس الشباب المصريين هذا الصياد الذى يخرجها من قماقمها ، ويرد اليها الحرية ، ويخلى بينها وبين الهواء والنور والجمال ، تستمتع به وتمتع به الاجيال .. الى ان يوجد هذا الصياد تستطيع ان تتحدث عن الذوق الفني المترف الرفيع ، وعن تنشيئه فى نفوس الشباب كما تشاء

طه حسين

« مصر قد سرت فيها أشعة الوعى وحرارة الطموح .. لكن اكتمال وعيها ، وأثمار طموحها ، رجاء معقود بهمم الشباب المستنير »

أهداف الجيل

بقلم محمد توفيق دياب بك

اعني بالجيل : شباب مصر الواعية الطامحة

واعني بوعى مصر : هذه اليقظة الحديثة التي نبهت حتى سواد الاميين من المواطنين ، الى ان لهم على الدولة حقوقا أولية ، هى تيسير وسائل العيش ووسائل الصحة ووسائل المعرفة ، فى ظلال حكم نزيه ودستور محترم . . وان لهم على سائر العالم المتمدن حقوقا أخرى ، هى ان يعيشوا فى بلادهم سادة احرارا لا تضعف سيادتهم قوة محتلة ، ولا يقيد حريتهم نفوذ دخيل

واعني بطموح مصر : هذا التيار النفسى القوى الذى يأبى ان يقف بالأمة عند الامانى — عند الوعى المجرد لحقوقها فى الداخل والخارج ... بل يدفعها دفعا الى النداء تلو النداء بأن هذه الحقوق التى كانت نائمة ، قد امست «مطالب» ناشطة ساهرة ، وبأن البلاد لن تستقيم لها حال او يطرد لها ارتقاء ، حتى تصيب هدفيها العظيمين — عدالة ما بينها وبين نفسها ، وعدالة ما بينها وبين الانجليز

هذا ما اعني « بوعى » مصر الحديثة ، وما أعنى بما يهزها من « طموح »

لكن من هى مصر ؟ من هى مصر التي أقصد فى سياق كلامى على اهدافنا العليا ، ولا سيما هذين الهدفين : نجاتنا من غوائل الفقر والجهل والمرض ، ونجاتنا من غوائل الاحتلال وسلطانه الدخيل ؟

لست اعني مصر المدبرة ، ولكنى اعني مصر المقبلة . لست أعنى مصر العجوز ، ولكنى أعنى مصر الفتية الفياضة بالعزيمة والحيوية . مالى ولشموس كاد يطويها الليل ، وهذه شموس يزفها الصباح . اريد بمصر ذات الاهداف العليا — شبابها المأمول . اريد ابناءنا الناشئين ومن يليهم من حفدتنا الدارجين . وليس أحب الينا من ان يكون ابناؤنا خيرا منا ، وأن يكون حفداؤنا خيرا من ابنائنا . ذلك تطور محبوب فى سبيل السمو تنشده الطبيعة وينشده الانسان

اولئك الشباب ! يا لهم من جنود مجاهدين فى سبيل الوطن ، بل فى سبله الكثيرة المتعددة ،

لو عرفوا كيف يتقون عيوبنا نحن الكهول والاشياخ ، فلم تصبهم عدوى الأثرة التي لاتفشو في جيل الا افسدته ، ولا في بلد الا احالت عدله جورا،وغناه فقرا ، واخاءه لددا ، ثم قوضت بنيانه المتين فجعلته دكا دكا

*

نعم .. مصر قد سرت فيها اشعة الوعي وحرارة الطموح . لكن اكتمال وعيها واتمام طموحها رجاء معقود بهمم الشباب ـ بهمم الشباب المستنير

وحقا ، لكل فتى هدفه في الحياة ، ولكل فتاة ... لكل امرىء شانه وخطته وغايته . واكثرها يدور حول المرازق ووسائل العيش الرغيد . واقلها يتجه نحو العلم لمجرد العلم او نحو الفنون لنفس الفنون . وانتم بالمال تكسبه من طبك او محاماتك او علمك وعملك ايا يكون ـ تجارة او زراعة أو صناعة أو غيرها من طرائق الرزق المشروع . ونحن نرجو لشبابنا تحقيق اهدافه الفردية ميسرة كاملة ... ولكن على شرط واحد تقتضيه آمال امته فيه ، هو ان يفتش وجدانه ومسالكه واعماله فيطهرها من جراثيم الأثرة كما يطهر الجسم والثياب من جراثيم الوباء

لكاني بطبيب الغد من شبابنا المأمول ، يعالج مريضه شاعرا بانه يعالج فيه وطنه المريض

لكاني بعلماء الغد من شبابنا المأمول لا يستريح احدهم حتى يضيء بنوره الوف العقول ، كما تضاء الوف الشموع بقبس بقبس من شعلة واحدة

وتاجر الغد المنتظر ـ كاني به يجعل نفسه وسيطا شريفا قنوعا بين المنتج والمستهلك، فلا يحبس سلعته عن بني قومه احوج ما يكونون اليها لكساء أو غذاء أو شفاء ، تعملا للغلاء ، كيما يغتني من مفاقرهم ، ومن تعرضهم للعري والمجاعة والهلاك

وموظف الغد من شباب الجيل، لن يقبل ، فيما نرجو ، أن يرقى الى درجة احق بها غيره ، فضلا عن انه يسعى لهذا الظلم سعيه الممقوت

ولاتنس زعماء الغد من شبابنا المذخور ! انهم لن يأخذوا عن الحاضر ما يغضون من مساوئه. سيكون زعماء الغد بردا وسلاما على مصر ، وحربا ضروسا على كل قوة تريدها بسوء

قد تختلف بينهم وجوه الآراء، ولكن لن تنقطع بينهم أواصر القلوب

ربما تعددوا أحزابا وهيئات ، ولكن كما تتعدد الدعائم والاركان، ليقوم عليها كلها هيكل الوطن المقدس

*

تلك صور تخيلناها لما تتشوف اليه مصر في ابناء سيخلفون الآباء ، وحفدة سوف يخلفون الابناء . وهي صور جديرة بان تبرز حقائق . لان وعي مصر يزداد نموه عاما بعد عام ، ولان

طموحها يدفعها قدما كلما تنبهت الى سبق ماضيها ، وتخلف حاضرها ، وتوقف مستقبلها على الجهد المبذول والعمل الموصول

ومبعث الوعى الجديد والطموح الجديد هو الشباب ! والشباب هو الذى يضاعف لهاتين النعمتين أسباب الانتشار والقوة، حتى لتتم لمصر وحدة مشاعرها العامة وأهدافها العامة ، ويتم لها تضافر ملايينها على خيرهم المشترك

*

يومئذ يستحى الثراء من ان يدوم الفقر ، والعلم من ان يدوم الجهل ، والصحة من ان يدوم المرض . ويومئذ تكون الدولة للشعب والشعب للدولة ، فى غير عنف ولا تناحر ولا اكراه

يومئذ تكون قد نجونا من شرور الاحتلال لا فى مصر وحدها ولكن فى مصر والسودان. ويومئذ كم تزدهى مصر وشبابنا الحبيب ـ بمصانع الحديد ومصانع المخصبات ومصانع الاسلحة لقوات مصر فى البر والبحر والجو

وجامعاتنا ومعاهدنا وهيئاتنا العلمية ، لن تظل كما هى ، تاخذ من الغرب ولا تعطيه ، بل تبادله كشفا علميا جديدا بكشف علمى جديد

وريفنا مضاء كله بالكهرباء ، تجرى فيه مياه الشرب النقية جريان الدم النقى فى الجسم السليم

والبعوض والذباب قد امحت آثارها من المدائن والقرى ومن الحقول والبساتين ، فعاد اصحاب الضياع الهاربون الى الاقامة فى ضياعهم يزيدونها نماء وخصبا ، بين عمالهم الأصحاء الراضين

وصحارانا قد تكشفت عن معادنها المطوية بفضل بحوث المعدنين من شبابنا الميامين . فلا تعوزنا الزيوت للوقود ، ولا اليورانيم نحطم ذراته فنتخذ منه قوتنا الكبرى لمرافق السلم وخدمة الحياة ، لا لمحو الحضارة واهلاك الامم

وانظر الى ابينا النيل ابر الانهار بابر الشعوب . الا تراه يزخر بالفلك الجوارى كالاعلام ، فيها بهجة لنفوس طلاب البهجة فى ليالى الصيف وشمس الشتاء . وفيها نقل رخيص سريع لألوف والوف من اطنان حاصلاتنا القديمة ومنتجاتنا المستحدثة

وانظر الى شطيه مزدانين بالدساكر والفنادق والقصور بين الشمال والجنوب ، كانها ماسات ويواقيت حلينا به طيلسانه الانيق وسندسه الاخضر

اهذه مصر التى اهملناها نحن الكهول والشيوخ ؟ !

كلا بل هى مصر التى ايقظها واحياها الجيل المأمول ، جيل الوعى والطموح ، جيل العلم والعمل ، جيل ناداه مجد أمه القديم : ان احينى وجددنى ، فهب واثبا ماضيا الى أهدافه مضاء السهم المسدد !

محمد توفيق دياب

نشيد العام الجديد ..

بقلم فقيدة الشرق الآنسة مى

بين شاطئ الماضى والمستقبل يجرى نهرُ الحياة عَلاَ بعقيقه الفخم ، ليصبَّ فى بحر الأبدية حيث لا جديد ولا قديم ، وخيالات البشر تتهادى بين جماجم الموت ، وأغراس الحياة ، مخفيةً طىَّ ضلوعها كثيراً من الآمال ، وكثيراً من الكلوم

فالى بحر الأبدية أيها العامُ الراحل

وأنتَ أيها العام الجديد الينا !

وطئتَ الأرض طفلاً جميلاً ، فنبهتَ فى قلوب الشيوخ الحنان ، وكنت صلة حب بين أرواح الخُلصان

امتزجت نسماتك بدقائق الأثير ، فأصبح مغرداً لامعاً ، وامتشقتَ حسام الصبح ضارباً أعناق جيوش الظلام ، فسالتْ منها الدماء فى المشرق ، وملأتْ كتائب النور الارض والسماء

وداست أعقابُك على هام الايام فأفنت قديمها ، وغدا اليأس أملاً والنواح تهليلاً

هي الانسانية طفلةٌ فى هرمها ، كلما ذاقت عذاباً رجت حظاً . ولئن مزقت أحشاءَها الضغائن والأحقاد ، فموجات الحب العظيم ما برحت غامرةً فؤادها



فاسمع هتافها متخللاً أصوات الصباح :

— رحماك أيها العام .. رحماك ! ..

لقد كتبت اسمك يد الزمان على باب الوجود ، فساعدنا لننقش أسماءنا على باب السعادة !

كنا بالامس نمس الاوتار فتسيل عليها الدموع مرخية قواها ، فما تسمعنا سوى شكوى المذلة وأنين العبودية

أما اليوم فنريد أن تنعش أرواح الميدان لنوقع أسمى المبادىء على أعذب الالحان

رحماك أيها العام الجديد !

الانسانية تتألم ، فارفق بها !

رحماك أيها الطفل الحبيب

تعال نعطك القبلات السنوية الثلاث :

فعلى جبينك قبلة الرجاء

وعلى ابتسامتك قبلة الوداد

وعلى يديك قبلة الالتماس والتوسل

جبهتك مستودع الافكار ، وابتسامتك عبير الازهار ،

ويدك رمز القوة المتنقلة أبديةً من أدهار الى أدهار

هذه أمانينا نلقي بها عند قدميك

فلا تدسها .. فتلاشينا

بل ضمها اليكَ .. فتحيينا !

« مي »

يتهم الشيوخ والكهول شباب اليوم بالطيش والطرف والاسراف والتأثر بمختلف المؤثرات السياسية والحزبية . ولهذا رأينا أن نعرض قضيته أمام الرأى العام . وقد تطوع بالدفاع عنه المحامى الكبير فكرى أباظة بك فى هذا المقال القيم

دفـــاع عن الشباب

بقلم
فكرى أباظة بك

وكلتنى مجلة « الهلال » فى « قضية » الشباب ، لادافع عن الشباب ، ولاترافع عن الشباب بصفتى « محاميا » لا كاتبا ، ولا اديبا ، ولا صحفيا

«التهم» الموجهة للشباب من «النيابة العمومية» للشيوخ والكهول والمحافظين ، من مواليد القرن التاسع عشر ، هى تهم قلبية وجدانية تارة ، وتهم مالية مادية تارة اخرى ، وتهم سياسية حينا ، وتهم دستورية نظامية احيانا اخرى ...

« المحكمة » التى تنظر هذه القضية هى محكمة قراء الهلال . او محكمة الراى العام يمثله هؤلاء القراء . فلنفرض أن هؤلاء هم « حضرات المستشارين » الذين سيسمعون دفاعى ومرافعتى عن الشباب ثم يحكمون حكمهم العادل ان شاء الله ...

ها انذا ابدا دفاعى فاقول :

تهمة العواطف

« يا حضرات المستشارين :

« التهمة الاولى الموجهة للشباب هى تهمة قلبية وجدانيه تتعلق بالحواس والمشاعر والنزعات التى يعتبرها الشيوخ والكهول نزقة طائشة جنونية . وما درى هؤلاء الشيوخ والكهول ان الشباب هو الشباب ، وان قلب الشباب زهرة تتفتح للدنيا بجمالها ، وأناقتهـــــا ، ورشاقتها وحلاوتها وسحرها وسمها . هذه الدنيا الهائجة المائجة ـ يا حضرات المستشارين ـ تقتنص الشباب اقتناصا سهلا هينا ، وتفترسه افتراسا سريعا لينا . وما صنع الشباب هذه الدنيا ، لانها خلقت قبل ان يخلق ووجدت قبل ان يوجد ، وانما صنعها هؤلاء الشيوخ والكهول الذين يوجهون التهمة وأعدوا معدات فسادها بما اقاموا من مهرجانات واسواق وزينات وتقاليد وقدوة سيئة وسوابق موجهة . فوفد الشباب بتجاربه القليلة وعلمه اليسير وحكمته التى لم تنضج بعد فرأى الفخ مهيئا فوقع فيه !

« المجرم الحقيقى يا حضرات

المستشارين هو السلف الصالح ! او هم الآباء والاعمام والاخوال وأولياء الامر فى العائلات والبيوتات . ولو كانت شريعة هؤلاء شريعة قوية حازمة صالحة ما نبت هذا النبت البرىء الا فى تربة لاينشأ فيها السوء ولايترعرع فيها الفساد

« المغالطة هنا ـ يا حضرات المستشارين ـ مغالطة واضحة ، فالاب الذى ينقض انقضاض الصاعقة على ولده اذا أحب أو تدله أو شرب أو سهر ، لوراجع ضميره وذمته وتاريخه ، لعلم أنه فعل مثل ما فعل الابن الفاسد فى نظره . وانما تتحكم السيادة الغريزية والدكتاتورية السليقية فتقسو وتظلم وتتهم !

« أكثر الشباب الذى يستهدف لحملة الآباء والاعمام هم صورة مصغرة طبق الاصل من اعمامهم وآبائهم . ولقد صدق من قال : من شابه أباه فما ظلم !

« وأكثر الشباب يتأثر بالبيئة ، والوسط الذى يعيش فيه بنين وبنات ، والبيوت أدرى بأسرارها وأدرى بما تلقى على النشء من دروس تعسة مغرية . والبيوت جامعة يتخرج فيها الشباب وفق تعاليم الاساتذة من آباء ، وأمهات ، واعمام ، وعمات ، واخوال ، وخالات ، وأصدقاء ، وصديقات

تهمة الاسراف

« التهمة الثانية ـ يا حضرات المستشارين ـ هى اتهام الشباب بالاسراف والبذخ والطيش فى شؤون الجيب لا القلب ، والتهمة هنا مردودة لموجهيها . فالاب اما بخيل مقتر فهو يحرض ذويه على التشفى من الشح بالاسراف وعلى الانتقام من البخل بالكرم . واما أب مسرف بدد ما ورثه عن آبائه وأجداده فخرج الابناء وفى يدهم غريزة من غرائز الوراثة والتقليد ، وهى الاسراف والتبديد . وفى تجاربى أعرف أن غريزة الاسراف والتبديد غريزة موروثة تجرى فى دماء الاجداد والآباء ، كما تجرى فى دماء الابناء بل لقد لاحظت ان الاب المقامر يلد مقامرين ، كما ان الاب المخمور يلد مخمورين . فان شذ فريق من الشباب عن دستور هذه الغريزة الموروثة ، فسلوا تربية الآباء ورقابة الآباء وحكومة الآباء كيف أهملت شؤون رعاياها من فلذات الاكباد ، حتى تسلل اليهم الفساد ، أو تسللوا هم الى الفساد

« انى اتهم علنا ـ يا حضرات المستشارين ـ حكومة الآباء وأولياء الامور فى العائلات والبيوت بأنها حكومة ضعيفة هزيلة مترددة جبانة فى هذا العهد وهذا العصر . فقد تضاءل نفوذ الآباء والعائلات والبيوت ، وضعف سلطانهم ، فضربت الفوضى أطنابها وأفسدت الاولاد الذين ينشأون ويترعرعون فى ظل حكومة نائمة أو غافلة لا تحرس ـ ولا تخفر ـ ولا تتعقب ـ ولا تعاقب !

« الذنب ليس ذنب الشباب وانما

ذنب المشرفين والمسئولين عن الشباب !

تهمة التطرف

« التهمة الثالثة — يا حضرات المستشارين — هى تهمة سياسية مؤداها ان الشباب فى هذه الايام ثائر بطبعه مندفع متطرف ! وانه خارج على نظام البيت والمدرسة لا يحترم القوانين ولا اللوائح ولا النظام! مغرور معتد بنفسه لاينقاد لارادة القادة والاقطاب والزعماء !

« هذه التهمة سهم يجب أن يرتد الى صدر مطلقه. فالشباب دم وثاب فوار، وحال الوطن حال تعسة تستفز الاعصاب وتثير الدم وتفجر العاطفة !

« والشباب يرى ان الاقطاب والزعماء فى هذا البلد يقتلون قضيتهم بخلافاتهم وحزازاتهم وشخصياتهم واغراضهم واهوائهم . فلا عجب اذا افلت الزمام فعمل الشباب لحساب الشباب لانه يعلم انه وحده الذى سيحمل عبء المستقبل القريب والبعيد ...

« الشباب معذور — ياحضرات المستشارين — فهو يقرأ كل يوم فى جرائد الصباح والمساء بأقلام الزعماء والاقطاب افحش واسوأ وارخص ما يقرأ القارىء ، ومثل هذا المثل السىء اما ان يخلق جيلا سيئا أو يخلق جيلا يرى انه اكبر واسمى من هؤلاء القادة والزعماء، فهو يترفع عن ان يجرى وراءهم ويرى من حقه أن يسوقهم ويدفعهم دفعا الى الامام

« لايطالب الشباب — ياحضرات المستشارين — بأن يكون رزينا حكيما عاقلا ، فتلك مهمتكم أنتم ومهمة زملائكم من الشيوخ والكهول ، اما مهمة الشباب فهى ان يتالم ويتوجع ، فاذا ما تألم وتوجع لم يستطع كظم الغيظ ، ولا كبح الجماح ، فلطم وضرب وثار وأثار !

التهمة الاخيرة !

« بقيت التهمة الاخيرة التى توجه هذه السنين للشباب وهى تهمة « الاجلاء والاحتلال » ...

« الشيوخ والكهول يشكون مر الشكوى من أن عنصر الشباب يزحف فى جميع الامم وفى جميع الدول الى مناصب الادارة والسياسة وميادين العمل الحر غازيا فاتحا . فيترتب على هذا ان يجلو الشيوخ والكهول ويحتل الشباب مناصبهم

« هذا التطور تطور يناسب العصر الحديث والدنيا الجديدة. فقد تغيرت وتطورت أساليب الادارة والسياسة ، فاحتلت الصراحة مكان الغموض والابهام، واحتلت المغامرة مكان التردد والتسكع والتقهقر ، واحتلت الحيوية والقموية مكان الحكمة التقليدية التى أصبحت لا تسابق الدنيا السريعة « الركاضة » فى القرن العشرين

« وبدأت الدول البعيدة النظر

تدرب شبابها وتصعد بهم فجأة الى قمم المناصب العليا والمسئوليات الكبرى ، فأثبتت التجربة فى انجلترا وفى امريكا وفى روسيا ، ان الشباب اجتاز الامتحان بنجاح ملموس محسوس ، ولمع نجم الشباب فى سماء الحرب والديبلوماسية . فاستقرت النظرية واوشكت ان تصبح « دستورا » اداريا وسياسيا فى العالم الجديد

« قد تكون مصر بالذات أحوج الامم والدول الى هذا التطور الفتى القوى بالنسبة الى ما اصاب شيوخها فى نشاطهم ، وحيويتهم ، وقلوبهم ، وضمائرهم ، وذممهم

« واليوم الذى يجلى فيه الشباب هؤلاء الشيوخ عن معسكراتهم — الزعامة الشعبية ، والزعامة الحكومية — هو بلا شك أسعد الايام

« بناء عليه ..

« ارجو يا حضرات المستشارين — ان تحكموا ببراءة الشباب من هذه التهم الاربع وان تباركوه فى حيثياتكم ان شاء الله »

فكرى اباظة
المحامى

حوادث السيارات

نشرت الصحف ان شابا فى ايطاليا صدم بسيارته فتاة كانت تعبر الطريق . فلما شفيت من اصابتها خيرته بين محاكمته وبين الزواج منها .. فآثر الفتى الحل الاخير وتزوجها . فلما قرأ « برنارد شو » هذا النبأ ، قال معقبا عليه :

— لو اننا عممنا هذه القاعدة .. لقل طيش اصحاب السيارات من الشبان والعزاب . فتقل حوادث السيارات !

الراسمالية والاشتراكية

عرضت احدى السيدات المعروفات بميولها الاشتراكية على المستر تشرشل — اثناء مروره اخيرا ببروكسل — كتيبا للذكريات « اوتوجرافا » ليكتب لها فيه شيئا بخطه وتوقيعه ، فكتب العبارة التالية :

— من مساوىء الراسمالية سوء توزيع الثروة .. ومن محاسن الاشتراكية توزيع الشقاء بين الاهلين بالتساوى !!

يعجبنى الشباب إذا ..

بقلم الدكتور احمد زكى بك

يعجبنى الشباب اذا هو ادرك انه الشباب، فاخذ له اكثر حقه ، واعطى عنه اكثر واجبه ، ومضى على ثقة يداعب الآمال ، ويحلم الاحلام

يعجبنى الشباب اذا هو استقام واستطال ، ثم انفتل ، عضل مشدود يستطيع ان يرتخى ، وذراع ممدودة تستطيع ان تنطوى، وراس مرفوع ، وصدر مفتوح ، يستقبل الريح باردة ، ويستقبلها لافحة، وظهر عريض يحمل الاثقال ابتساما ، وقدم ككرة المطاط لا تمس الارض حتى ترتد عنها ، ومفاصل كمفاصل الفولاذ اغرقت فى الزيت، وجسم صحيح سليم كالدينار ، اذا ضربته على الرخام رن ، له متانة الحديد وليس به مسه ؛ نشاه ابواه فاحسنا تنشيئه ، وروضته الرياضة فاحسنت ترويضه

يعجبنى الشباب اذا هو تانق وترقق فى غير انوثة او خنوثة ، فيعجبنى منه الوجه الطلق النظيف الذى يعمل فيه الموسى كل يوم ، او لا يعمل ابدا ، والشعر المقلم المشبوط، والثوب البسيط الأنيق . فتلك زينة خليقة بابن آدم ، وهى اخلق ما تكون بشبابه، وهى ضريبة المنظر الطيب الذى لابد أن يشيع فى دنيا يخفف من عنتها أن تقع العين فيها على الحسن الجميل . ومع هذا فهو عند العمل يخلع التانق ، وينبو عن الترقق ، فان كان العمل فحما وزيتا انغمس فى الفحم والزيت ، وان كان انبطاحا على الأرض تمرغ فى تراب الأرض ، وان كان بخارا وعفارا، نشق الابخرة ، ولم يشح بوجهه عن الأعفرة . فاذا انتهى النهار دخل الحمام ، وخرج منه فعاد الى التانق على الصحة التى اكسبها العمل ، والى الترقق على القوة التى اكسبها مران العضل

« وجعلوا بين الشباب والكهولة خصومة ، ودخلوا بالسعاية بين الآباء والأبناء ، جوسا بالأقلام ، واسترسالا فى البغى ، ومناقضة الطبيعة »

*

يعجبنى الشباب اذا هو تفقع وتفرقع بالحياة ، فاذا ضحك ضحك عاليا ، واذا نكت نكت مسموعا . ويعجبنى فيه الحس

بالفكاهة ، يتلقفها طائرة ، ثم هو يطلقها ليلقفها الناس . ويعجبنى منه ان يخلع عذاره احيانا ، كما يخلع الفرس ، فيطمح ويجمح ، ولا يكون ذلك منه ديدنا . وهو مع هذا يعزف عن الخنا ، ويحبس لسانه عن مقالة السوء ، ويجيب داعى المروءة ، فيتمهل فى سرعته ليمين طفلا ، او يقوم عن مقعد لتقعد امراة ، وهو يحترم اخت صديقه اذا لقيها فى الطرقات ويعلم ان كل من يلقى من نساء انما هن اخوات وامهات وعمات . وهو يحترم وقار المواقف وسكون المجامع ، فلا يقف والناس قعود ، ولا يقعد والناس قيام ، ولا يضحك والناس محزونون مكروبون

*

يعجبنى الشباب اذا هو ادرك ان الصبا عهد متعة ولكنه كذلك عهد تحصيل ، وان حياة الرجل المدنية الحاضرة غير حياة رجل الغابة ورجل الصحراء . وان المدنية جلبت للناس الراحة ، وجلبت المتعة ، وانها لم تنزل من السماء جاهزة ، ولم تسقط الى الارض على الدعاء والتمنى ، وانما هي نتاج مجهودات عقلية جبارة ، وهي حصيلة القرون وارث الأجيال . والأمم تتوارثها بالحفظ ، وتقوم عليها بالكد ، فتجدد باليا ، وتملأ فارغا ، وتزيد على ما كان . وكل فرد يولد على هذه الارض مسئول عن هذا الارث ، وله فى حفظه ، وتجديده ، وزيادته نصيب . وهو ارث لا يتاهل لحفظه وتجديده وزيادته كل احد . فالمدنية الحاضرة مدنية من نتاج الصنعة . وهي صنعة الانسان العاجز اذا هي قورنت بصنعة الطبيعة القادرة الخالدة ، ومن اجل هذا جاءت مدنية الناس كبيرة ضخمة غليظة معقدة كثيرة المحاور ، كثيرة العجل ، كثيرة التروس ، كثيرة التعاشيق ، لا يمسها فلا يفسدها الا من درس وحصل ، وورث علم القرون . ووارثو علم القرون ، وحاملو المشعل من جيل الى جيل ، انما هم شباب الجيل . لهذا وجب ان يكون الشباب متعة ودرسا . اما المتعة فلأن الشباب اقدر على متعة ، واحس بلذة ، وكل لذة عنده جديدة ، وعمره من بعد ذلك كعمر الورود قصير . واما الدرس فلأن الدرس تبعة الانسان لنفسه ، وعلى عمده يقيم بناء مستقبله ، ومستقبله اذا ساء بكى عليه ، وبكى وحده ، وبكى حين لا ينفع بكاء . ثم لأن الدرس حصة الانسان فى مواصلة المدنية وفاء بمسئوليته للقبيل وللأمة والجيل

*

يعجبنى الشباب ان يكون مجددا متجددا ، يعلم أن عربة الحياة لابد أن تسير ، وأن تسير دائما نحو النور . فالعلم لابد أن يتجدد ، وتتجدد أساليبه . والمال لابد أن تتجدد طرائقه ، ويتجدد كاسبه ، وتتجدد حظوظ الناس فيه . والصحة لابد أن

تتجدد فيها المرافق ، وتجارى الزمان ، وأن تتوزع منافعها وفقا لما يراه الجيل الجديد من توزيع المنافع على بنى الانسان. والأدب لابد له فى العصر الجديد ، والبيئة الجديدة، والحاجات الجديدة ، من مذاهب فى البيان جديدة ، تساير الناس فى معاشهم ، وتمس الحياة من قريب . والحكم يتجدد ، فهو من حيث اسلوبه لابد ان يجرى على احسن الاساليب ، ومن حيث ادارة دولابه ، لابد ان يجرى على احدث ما تجرى الدواليب . ومن حيث اقامته لابد أن يكون لكل فرد فى الناس صوت فيه مسموع . وهو من حيث الثمرات ، لابد أن يكون لكل عضو فى مجتمعه فرصة متساوية عند الزرع ، لتكون له فرصة مواتية عند الحصاد . والصناعة تتجدد ، فينتقل بها المجددون من عمل اليد الى عمل البخار ، ومن البخار الى الكهرباء، ومن الكهرباء الى الطاقة الذرية حين تكون . والتعليم يتجدد ، فتتجدد كتبه ، وتتجدد فنونه ، ويستهدى فيه أكثر استهداء بآخر ما وصلت اليه علوم النفس من كشف بواطن النفس وخفاياها. كل هذا جميل ان يتجه الشباب فيه الى التجديد ، فهو مما يتغير ويتبدل على الايام

ولكن فى الحياة عناصر قديمة لايمكن أن يعتريها تغيير وتبديل، الا أن تتزلزل اركان العيش ، ويتقوض بناء الحياة . فالامومة قديمة ، والابوة قديمة ، والبنوة قديمة ، وواجبات هذه وهذه كلها قديمة ، وكذلك حقوقها . وهى حقوق وواجبات قد تطول وقد تقصر، وقد تتسع وقد تضيق ، ولكن قدرا منها لابد ثابت لضمان سير الحياة واتصال روابطها . فالتحرر قد يكون فى شىء وشىء وشىء ، ولكن التحرر لايمكن أن يكون لطفل رضيع او صبى يافع ، والتحرر كل التحرر لا يمكن ان يكون حتى لشاب بالغ ، ما دام أن هناك شيئا يسمى العجز ، وما بقى الزمن عاملا فى بلوغ القدر اللازم من خبرة الحياة

❋

يعجبنى الشباب اذا هو اصغى الى الملق الكثير الذى يكال له هذه الايام كيلا ، فاخذ منه بمقدار ما يأخذ من المنبهات التى تنعش وتنشط ، ولا يزيد فيكون ذلك ادمانا. فالمدح والاطراء للتشجيع، وليس احوج الى تشجيع كناشىء وليس أجمل من تشجيع هدفه شباب الامة

ولكن الذين يتملقون الشباب لاغراض شتى ، ليست كلها مما يباركها الله ، قد أفرطوا ، حتى حسب كثير من الشباب ، ان الشباب فى ذاته مؤهل لولوج كل باب ، وهو انما يتأهل لولوج الابواب بالذى يحصله فى صباه ، وبالقدرة والخبرة اللتين يكتسبهما فيه

وجعلوا بين الشباب والكهول خصومة ، لا تجد خصومة مثلها،

ولا فى مثل حدتها ، فى أمة من الأمم . ودخلوا بالسعاية بين الأبناء والآباء ، جوحا بالأقلام ، واسترسالا فى البغى ، ومناقضة للطبيعة ، حتى حسب النشء ان مطالب العصر ، وحوائج الاصلاح ، يجب أن يسبقها تحضير الأكفان ، وحفر القبور ، وشق اللحود ، ليكفنوا ويدفنوا ويواروا عن الدنيا كل من خانه الحظ من الرجال فاستطال به العمر الى الخمسين أو الستين. ونسوا أن من هؤلاء أمهات لهم وآباء . ونسوا أن هذا لو كان من خير الحياة ما اغفلته الطبيعة ، ونسوا أن فترة شبابهم بحكم الزمان قصيرة ، وانه لا يلبث طالب منهم أن يكون مطلوبا ، وكافن منهم أن يكون مكفونا ، ودافن منهم أن يكون مدفونا

لقد كدنا نخال من كثرة ما سمعنا أن الشباب علم على جنس قائم بذاته ، وعلى حدته ، وما هو الا دور فى حياة جنس واحد من أجناس الاحياء يعرف بالجنس الانسانى . ومع الدور أدوار .. فدور الطفولة يأتى من بعده صبا فيفاعة فشباب فرجولة فكهولة، ثم شيخوخة . ولو أن المرء اذا بلغ شبابه استطاع ان يوقف هذه الكرة الارضية فلا تدور ، وأن يطلب الى الشمس أن تثبت فى سمائها فلا تغيب ، اذن لركعنا للشباب وسجدنا ، وسبحنا ومجدنا ، ورتلنا التراتيل وأحرقنا البخور . ولكنه مع الأسف الشديد ساعة واحدة متزايلة فى نهار العيش ، وكل نهار أوله شروق وآخره غروب

احمد زكى

الحياة العملية

حين كان « آتلى » فى الثانية والعشرين من عمره ، انقطع عن المدرسة ليلتحق باحدى الوظائف الصغيرة ، فغضب والده ، اذ كانت أمنيته أن يظفر ولده بأكبر قسط من التعليم .. ولما ثار عليه ، قال « آتلى » فى هدوء :

ـ اعف عنى يا والدى .. لقد فعلت ذلك لاننى أومن بأن كثرة الدرس والقراءة فى الكتب تحول دون تفهم الناس .. بينما كثرة التعامل مع الناس والنزول الى معترك الحياة يزيد فى فهم المرء لما هو مدون فى الكتب

شيخ الشعراء وشاعر الشباب

١ ـ خليل مطران بك

بقلم الاستاذ طاهر الطناحى

بنى العرب فيمَ الصبر والحال ما ترى
ويأبى علينا الخسف تاريخنا قِدما

وحتامَ نطوى العمر ، والليل دامس
ونحتمل الاجحافَ والضيمَ والظلما

هذان البيتان هما مطلع قصيدة وطنية ثائرة ، قالها خليل مطران فى مقتبل العمر وعنفوان الشباب ، وكانت سنه لاتربو على العشرين ، وقد تفتحت عن نبوغه الاكمام ، وجاشت نفسه بالثورة على أغلال الاستبداد ومذلة الظلم والظلام . ولم يبق الزمن من هذه القصيدة غيرهما ، فقد احرقت فيما أحرق من شعر ونثر يوم طارده والى بيروت التركى « على باشا » ، وأراد القبض عليه ، وارساله الى سجن عكاء . وكان هذا السجن « كالباستيل » مفزعا ، يرتكب بضحاياه افظع الوان العذاب . فقد كان الحكم فى البلاد العربية وقتئذ فاسدا ، يقوم على القسوة والجبروت ، واستغلال الرعية أسوأ استغلال . فأهاجت هذه المظالم مشاعره ، واستثارت نخوته للدفاع عن أمته ، وحفز همتها للذود عن كرامتها ، والسعى لنيل حريتها وما كان لها من مجد تليد . فنظم هذه القصيدة ، ولم ينشرها . . ولكن تناقلها اخوانه ، واذاعوها فى مجالسهم ونواديهم . وشاع ذكرها وامتد الى الوالى ، وكان الشاعر « الشاب » مدرسا للغة العربية والفرنسية بالمدرسة البطريركية .

وحدث ذات يوم أن فوجىء بالوالى يدخل المدرسة ، ويقتحم حجرة الدراسة ، ويسأله عما نظم . وكان قد احرق أصل القصيدة ، فاخذ يهدده وينذره ان هو عاد الى مثلها ، او سمع بيتا منها ، أو راى لها اثرا فى صحيفة او كتاب . واشفق الخليل من ان ينال أسرته اضطهاد أو عقاب بسببه ، وأن يتجاوزه الى اهله وعشيرته . ونهاه والده عن قول الشعر ، وقال له : « دعك يا بنى من الشعر ،

وانصرف عن هذه الصناعة فاننا ما وجدنا شاعرا على جلده قميص » ولكنه ابى ، وخرج من بيروت فارا من وجه الضيم والجور ، ويمم شطر باريس سنة ١٨٩٢ حيث الحرية والثور ، واشترك وتتلمذ مع القائمين فيها بالفكرة العربية ، وعلم وهو فى عاصمة فرنسا ان الجالس على عرش وادى النيل ارسل ليقود هذه الحركة ، فبارحها الى مصر . ودعى لمقابلة الخديو ، فسأله عن سبب مجيئه ، فاجاب :

ـ انى شاب يعشق الحرية ، وقد علمت بمناقبكم وتقديسكم لها ، وتشجيعكم للشباب الحر ، فأردت ان استظل بظل شبابكم الباهر !

*

من ذلك الحين استوطن خليل مطران مصر ، وقضى بها الشطر الاعظم من حياته الحافلة ، فقد مضى على اقامته فى مصر ثلاثة وخمسون عاما ، وهو الآن شاعرها الاكبر قبل لبنان ، وان كان شاعر القطرين ، بل شاعر الاقطار العربية .. ولسنا بسبيل البحث فى شعره ، فهو غنى بما يعرفه عنه القراء . ولكنا نذكر هنا ان له شعرا آخر ليس منظوما ولا مكتوبا ، ولا مقولا ندعوه هو « الشعر العملى » . !

كنت جالسا معه يوما ، فجاء ذكر الشعر ، فقال : « لقد احرقت كل اشعارى التى قلتها فى صباى ومقتبل شبابى الا قصيدة واحدة قلتها فى سنة ١٨٨٨ عن معركة « يانا » بين الالمان والفرنسيين ، ومطلعها :

مشت الجبال بهم وسال الوادى
ومضوا مهادا سرن فوق مهادى

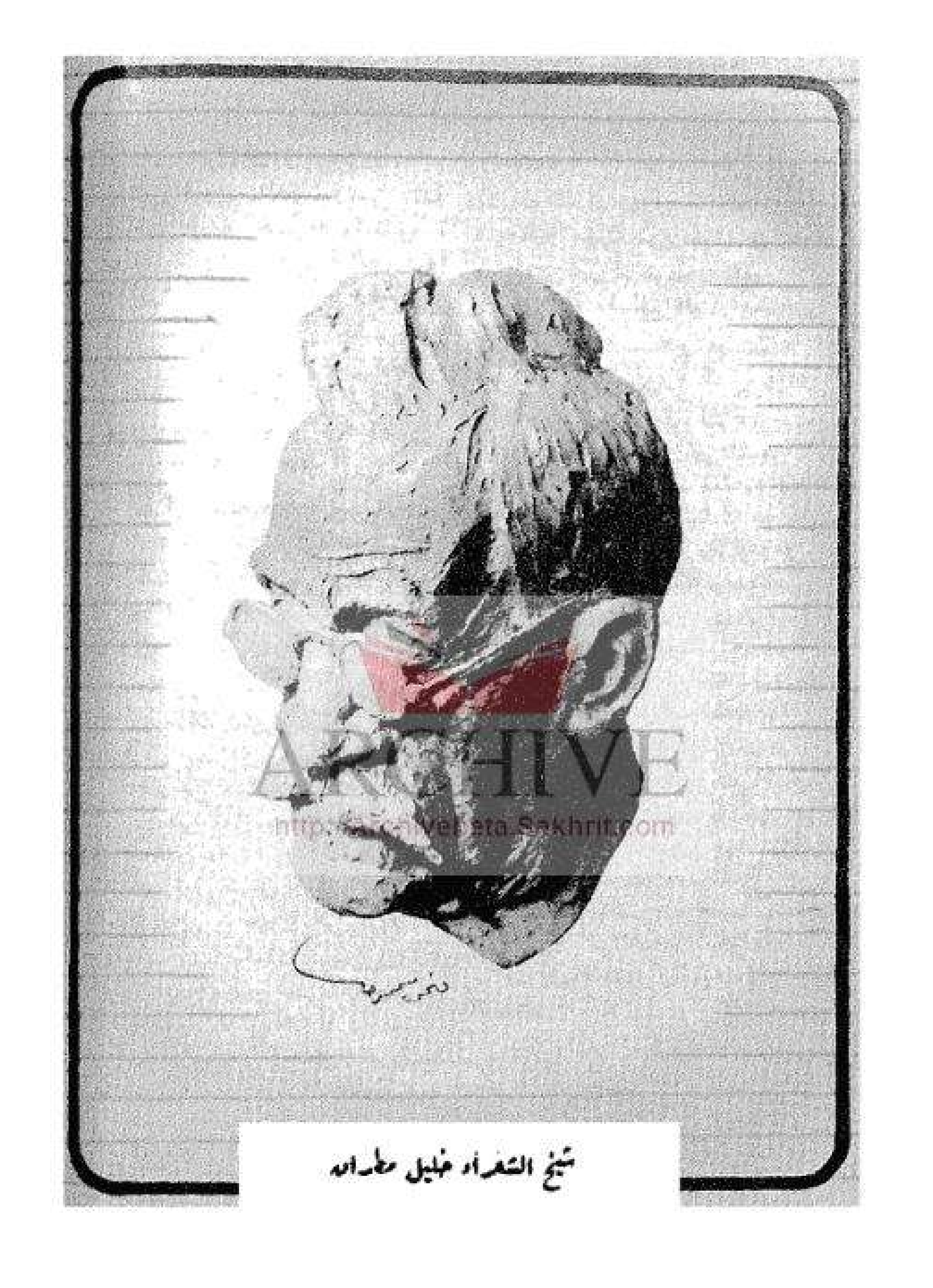
يحدى بهم متطوعين كأنهم
عبس ، ولكن الفناء الحادى

لله يوم قد تقادم عهده
فيها ،وظل يروع كل فؤاد

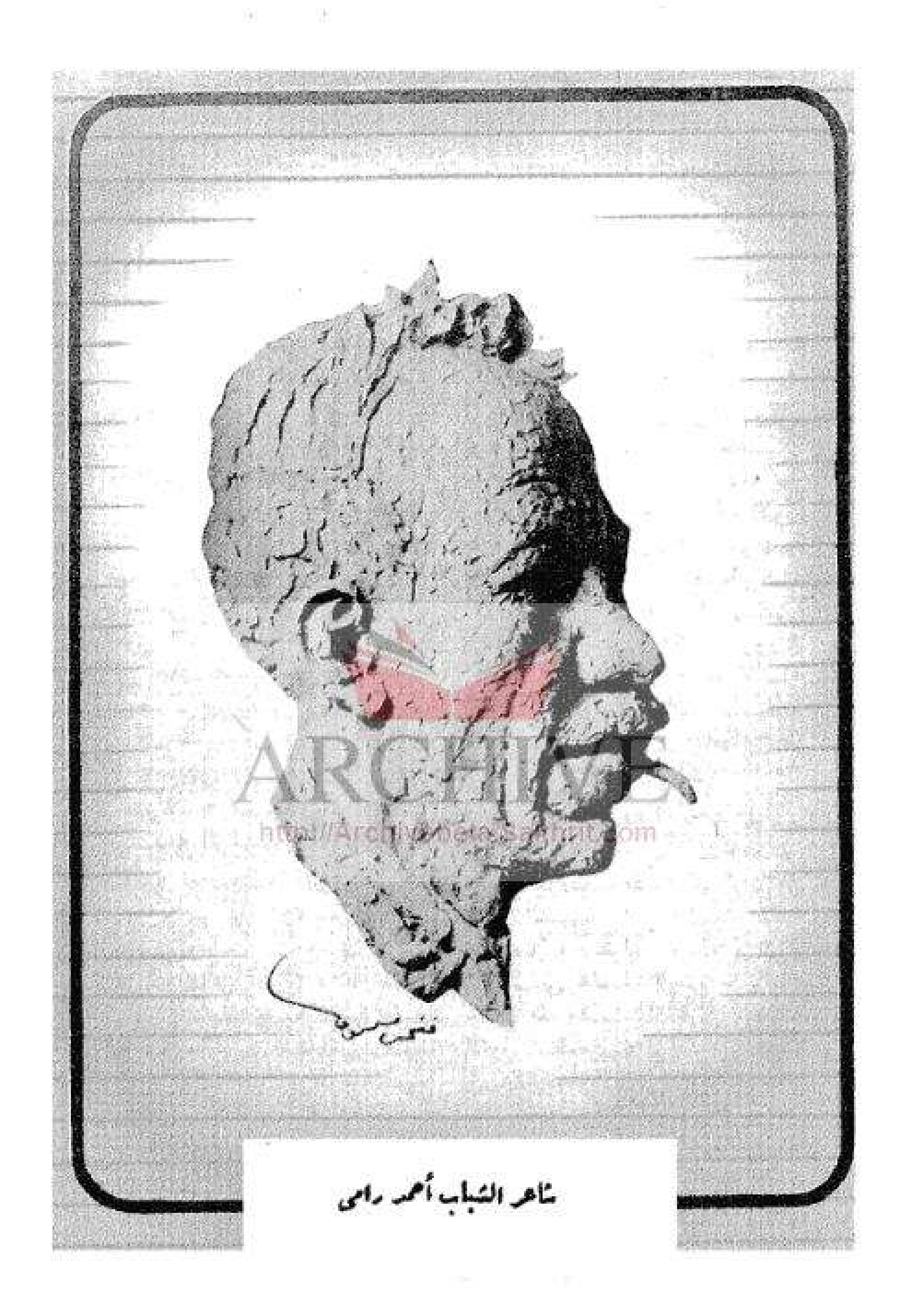
« وقد مضت على فترة عزمت فيها على الانصراف عن الشعر ، ولكنى لم استطع .. فعدت اليه واتخذته فنا رفيعا لا موردا للرزق والتكسب ، ونزلت الى ميدان الحياة العملية واشتغلت بالصحافة والتجارة ، ومارست الاقتصاديات ، فصرت اصعد واهبط ، واهبط واصعد ، فهذبتنى آلام الحياة ومصاعبها ، وصرت اقرب الى الايثار والنجدة ، ورأيت فى نفسى حافزا على القيام بشعر آخر ـ شعر حى ـ شعر عملى ، لا خيال فيه ، ولا خواطر ، ذلك هو مساعدة الناس فى السراء والضراء ، والشعور بواجب الخدمة للضعفاء والمستضعفين لانه واجب انسانى » !

وقد صدق الخليل ، فانه رجل لم يخلق لنفسه فقط ، وهو من الشعراء النبلاء الذين لم يعرف عنهم ما يشين ، او يقف بهم عن موكب السابقين المجلين

طاهر الطناحى



شيخ الشعراء خليل مطران



شاعر الشباب أحمد رامى

« يعجبنى فى كل ما ينظمه رامى ، ترجمته الدقيقة عن مكنونات العواطف وخلجات القلوب ، وسبقه دائماً إلى التجديد والابتكار »

٢ ـ أحمـــد رامى

للآنسة أم كلثوم

مجموعة روحانية من الاحساس الملهم ، والثورة العميقة المكبوتة ، والهدوء الرزين ، مع ظرف نادر ، وخيال محلق ، وخاطر سريع ، واخلاص لذات الاخلاص

ذلك هو « رامى » شاعر الشباب ، والفنان الذى جدد شباب الاغانى المصرية ، وخرج بها من الافق الضيق المحدود الذى كانت تضطرب حائرة فيه ، الى آفاق فسيحة عديدة تسرح فيها وتمرح وتحلق ، وتغوص الى اعماق النفوس ، وتثير شتى الاحاسيس

عرفته قبل ان اراه ، من قصيدته الرقيقة التى يقول فيها :

الصب تفضحه عيونه
وتنم عن وجد شجونه
انا تكتمنا الهوى
والداء اقتله دفينه

وكان يومئذ فى باريس ، مقيما بها منذ عامين ، فلما اطلعنى عليها استاذى الكبير المرحوم الشيخ ابو العلا محمد ، اعجبت بخفة وزنها ، ورقة الفاظها ومعانيها ، فطلبت اليه ان يلحنها . واخذت اغنيها فى الحفلات العامة والخاصة ، وكلما رأيت شدة الاقبال على سماعها ، ازداد اعجابى بها وبناظمها الموفق المجيد

الى ان رايته لاول مرة . . وكان قد حضر ليسمعنى فى حفلة بحديقة الازبكية عقب عودته من باريس ، وجلس فى الصف الاول متتبعا غنائى بعناية ملحوظة واصغاء تام . فلما انتهت الوصلة كان فى اوائل من تقدموا لتهنئتى ، وعرفنى بنفسه فكان سرورى عظيما بلقياه ، واجبت طلبه فغنيت فى الوصلة التالية قصيدته المذكورة ، ووفقت فى ادائها توفيقا لم أظفر بمثله قبل ذلك

وكانت تلك الحفلة خاتمة الموسم بالقاهرة ، وسافرت بعدها الى راس البر حيث بقيت هناك طوال مدة الصيف . ثم عدت لابدا غنائى فى « تياترو البوسفور » . . وهناك فى الحفلة الاولى ، رايت رامى قد اخذ مكانه فى الصف الاول ، فسررت لرؤيته وغنيت قصيدته دون ان يطلبها . فلما جاء لتحيتى فى فترة الاستراحة ، كان معه بعض اخوانه ، فقالوا انه نظم لى قصيدة جديدة مطلعها :

صوتك : هاج الشجو فى مسمعى
وارسل المكنون من ادمعى

واسمعني هو أبياتا أخرى منها ، ووعد بأن يزورني بعد أيام في منزلي بحي عابدين ، ليقدمها لي بعد أن يتمها ، وقد كان .. ومنذ ذلك الحين والود والتقدير بيننا متصلان ، على انى لم أغن هذه القصيدة الجديدة، بل غنيت قطعة اخرى ، هي أولى ما نظمه باللغة الدارجة ، وتلك هي اغنية :

خايف يكون حبك لى
شفقـــــه على
وانتى اللى فى الدنيا ديه
ضـــــى عينى

وتوالت بعد ذلك اغنياته التى نظمها لى ، وكلها حافلة بروائع الصور ، وبدائع المعانى والخواطر ، ودقائق الاحساس ، ومناجاة الافئدة ، والتغنى بالجمال .. الجمال فى كل ما هو جميل ، حتى ذل الهوى وتباريح الذكريات !

*

ويعجبنى فى كل ما ينظمه رامى ترجمتــه الدقيقــة الصادقة من مكنونات العــواطف وخلجات القلوب وسبقه دائما الى التجديد والابتكار والتلوين ، والافتنان فى انتقاء الالفاظ والاوزان . فهـو يجمل فلسفة الحب فيقول :

كيف مرت على هواك القلوب
فتحيرت من يكـون الحبيب ؟
وهوى الغانيات مثل هوى الدنيا
تلقـــاه تارة ، وتخيب !

ومن بدائع صوره فى خواطره الجديدة قوله :

من كتر شوقى سبقت عمرى
وشفت بكـره والوقت بدرى

و « رامى » بعد ذلك ــ بدين فى حياته بالجمال الحنون والحنان الجميل ، ومن اخص صفـاته : الوداعة ، والابتسام على الدوام ، والوفاء لذات الوفاء .. ثم هـو محدث ظريف ، لا يخلو مجلسه من نكتة طريفة يبتدعها او فكاهـة لطيفة يرويها

كان مع بعض اخوانه فى وليمة ، فطاب له أن يأكل من «المحشى» المطبوخ بالزيت من غير لحم ، تاركا ما عداه من الوان الطعام . فقال له أحد اخوانه :

ــ كل فراخ احسن ، وسيبك من الضوله « الكدابه » دى ..

فأجاب رامى على الفور قائلا :

ــ يا سيدى انت مالك ، كدابه كدابه .. انا مصدقها !

ولا أزال اضحك كلما ذكرت الفكاهة التالية التى رواها لى منذ حين :

مر رجل بباب منزل ، فناداه صبى كان يقف هناك ، ورجاه أن يدق له جرس الباب لانه لا يطوله . وسارع الرجل الى اجابة الرجاء ، وما كاد يدق الجرس ، حتى جذبه الصبى وهو يجرى قائلا :

ــ ياللا نجرى بقى .. قبـل ما يمسكونا !

وكم لرامى من نوادر وفكاهات اهتزت لها مجالس الانس والسمر . وكم له من لفتات جميلة وطرائف عمرت بها الليالى الملاح

أم كلثوم ابرهيم

عباقرة الحرب شبان!

بقلم اليوزباشي السيد فرج

> « يقولون إن الشباب عهد الملذات .. لقد تجنوا ، إنه زمن البطولة »

اذا اطلعت على قائمة « اعظم قواد التاريخ » ـ فى رأى المارشال ويفل ـ فانك تجد اسماء لامعة يزهو بها شباب العسكريين فى كل حين : الاسكندر الاكبر ، هانيبال ، بلساريوس ، فردريك الاكبر ، نابليون ، ابراهيم باشا ، جاكسون ، جوستاف ادولف ، تورين .. وغيرهم من النجوم الساطعة فى سماء العسكرية

وقد بلغ هؤلاء المشاهير ذروة المجد الحربى وهم فى اوج الشباب ، وكتبت لهم اعظم الفتوح وابهر الانتصارات وهم فى ضحوة العمر .. وهكذا تتم اعظم الاعمال تحريكا للنفس ، على ايدى شباب غر ميامين يجمعون بين القوة واليقظة والفن والرجاحة . وما أصدق قول بول كلوديل : « يقولون ان الشباب هو عهد الملذات .. لقد تجنوا ، انه زمن البطولة »

وقد روى عن شاعر رومانى قديم انه قال : « ما اتعس الرجل المسن ، فى الحب .. وفى الحرب » ! وقد عقب المارشال ويفل على هذه العبارة بقوله : « يكاد يشق علينا ان نحدد بالتمام تلك السن التى تنتهى عندها مقدرة القائد على قهر اعدائه ، اوالسن التى تنتهى عندها حظوة دون جوان عند النساء . . ومهما يكن من أمر ، فان القائد الشاب المتميز بالحصافة والجسارة افضل دائما من القائد الشيخ ، مهما كانت تجاريبه وحنكته . . »

وقد عرف عن الاغريق والرومان الاقدمين انهم كانوا يختارون لقيادة الجيش شابا جريئا مقداما ، ثم يحيطونه بهيئة اركان حرب من المحاربين القدماء ذوى الخبرة والتجربة ، فيساعدونه على وضع الخطط التى يقوم بتنفيذها .. ولا غرو ، فان فى مقدمة ما يجب ان يتصف به القائد : اليقظة والصلابة والمعرفة . . وهى صفات لابد لتوافرها من « اكسير الشباب » فى العقل والجسم والروح

وفى العصر الحديث بقيت لهذه الصفات مكانتها ، ولم تغير المعدات والمخترعات العصرية من قيمة المعنويات فى الحرب ، فظلت

الاولوية فى القيادة للشباب .. فالشجاعة والصحة والقوة عناصر ضرورية لهذا الرجل الذى يتعامل بأرواح الوف من الرجال، كى يستطيع احتمال الجهد الذى يتطلبه هذا العبء الجسيم

وقد عمد المسئولون فى الجيوش الحديثة الى تخفيض سن التقاعد للقواد . وقرر مجلس الحرب البريطانى فى غضون الحرب الاخيرة : « استبدال الضباط الكبار الذين لا يصلحون لمهام الحرب الحديثة والنهوض باعبائها ، بضباط احدث منهم سنا وأسرع خاطرا واقوى عزما »

واذن، فالبطولة العسكرية قديما او حديثا هى من خصائص الشباب .. وهذا هو الاسكندر المقدونى كان فى الخامسة والعشرين من عمره عندما احرز النصر العظيم فى معركة « اربيلا » ، احدى المعارك الفاصلة فى التاريخ ، فقوض ملك فارس — اول امبراطورية فى العالم — وغزا مصر وبابل وفتح الهند ، واصبح سيد الدنيا وهو فى ريعان الشباب

وهذا هو هانيبال ، الرجل الذى جعل لقرطاجنة قدما فى التاريخ ، والذى غادر بلاده على راس جيش من المحاربين البسطاء ليواجه اعظم امبراطورية فى زمانه . وكان حينذاك فى الثلاثين من العمر ، لا يعرف الا التقدم والبطش بالعدو ودحره ، لان « الاله الاعظم ناداني وأمرنى الا انظر الى الخلف مهما يحدث » !

وكان غزوه لايطاليا عملا عسكريا ممتازا ، وقتاله فى «كاناً» نموذجا يدرسه الى اليوم طلبة كلية الحربية فى جميع المعاهد العالمية ، كاثر خالد فى فن الخطط العسكرية . فلما اجتاز هانيبال مرحلة الشباب ، وبعد ستةعشر عاما من انتصاراته الكبرى ، لم تعد لديه القوة اللازمة لقهر شاب ساطع الشهاب ، وهو «سيبيو» الذى فاز على هانيبال «الشيخ» فى معركة « زاما » المشهورة

*

اما « بلساريوس » احد قواد جوستنيان ، فقد كان قائدا تشرئب لمرآه الاعناق ، وهو



الاسكندر الأكبر — هانيبال — فردريك الأكبر



نابليون   جاكسون   بيتان

دون الثلاثين من العمر . . وقد امتاز بجمعه بين ملكتي الابتكار والتنظيم أكثر من أى قائد آخر

وكان فردريك الاكبر على راس بروسيا وجيشها وهو فى التاسعة والعشرين .. ولم تمض اربعة أعوام حتى صار أعظم جندى فى اوربا كلها

وكان جاكسون قائدا ممتازا وهو فى السابعة والعشرين ، ثم غادر الجيش وجال بفكره فى آفاق أخرى ، ثم عاد بعد عشر سنوات موفور الثقافة ، وصار من أعظم قواد أمريكا شهرة ومكانة

وانتصر جوستاف ادولف فى معركة «برتنفيلد» المشهورة وهو فى السابعة والثلاثين ، وكان تورين مارشال فرنسا فى الثانية والثلاثين ، كما كان كونديه قائدا عاما فى الثانية والعشرين

وكان سابوتي وشارل الثانى عشر والبرنس أوجين ، جنرالات قبل سن الثلاثين ، كما كان سيدلتيز ولورنس وم. نسكيولى قوادا قبل سن الاربعين

وخاض خالد بن الوليد معارك الصحراء الشاقة ، وهو شاب غض الاهاب . دخل ساحة القتال بقدم ثابتة ، فدانت له الشهرة والبطولة ، حتى لقب بسيف الله المسلول .. وهكذا كان مشاهير قواد العرب ومحاربوهم البواسل فى أوج الشباب ، وانك لتجد فى تاريخ عمرو بن العاص ، وطلحة ، والزبير بن العوام ، وأبى عبيدة عامر بن الجراح ، صفحات بطولة نادرة ومزايا تضعهم فى مصاف أعظم قواد العالم

*

وقد حارب نابليون أوربا وهو فى شرخ الشباب ، وراح يحرك الملوك والشعوب فى ساحة الحرب كلاعب الشطرنج . فانشأ الامم ، ونظم الامصار ، ووضع تصميم اوربا الحديثة .. غير أن أروع الصور فى حياة نابليون ، هى صورة ذلك الضابط الحديث الذى خرج من بين مئات ضباط المدفعية ليخمد الثورة ، حتى اذا ما ارتسمت صورته فى مخيلة الجماهير ودوى اسمه فى آفاق فرنسا امتشق حسامه ــ وهو بعد فى السادسة

والعشرين من عمره ـ واعتلى صهوة جواده الابيض ، وذهب يناجز « بوليو » الشيخ المحنك ويهزمه شر هزيمة .. وهو الذى كان قائدا قبل ان يولد نابليون !

وما دمنا قد ذكرنا نابليون ، فلنذكر معه شيطانه دوق « ولنجتون » القائد الذى تفخر به بريطانيا ، اذ جنبها المصير المظلم الذى كاد يدفعها اليه نابليون ، فعبر البحر الى القارة ليوقف الطوفان ، ورفع يده فى وجه نابليون .. وقال : « كفى ! » وذلك فى معركة ووترلو الحاسمة. وقد كان ولنجتون فى ذلك الحين اصغر من نابليون بعامين كاملين !

وفى الحرب العظمى استطاع المارشال بيتان أن ينقذ فرنسا من الهاوية ، وان يحرز فوزا مبينا فى معركة « فردان » .. ولا غرو فقد كان شابا مقداما عنيفا ، استطاع ان يقول فى ثقة تامة ان الالمان : « لن يمروا .. "Ils ne passeront pas" » فحفظت فرنسا هذه الكلمة الخالدة ، وانتشت بها روحها ، وكسب بيتان معركة كانت فى حكم الخاسرة

ولكن بطل فردان فى سنة ١٩١٨ لم يستطع أن ينقذ فرنسا فى سنة ١٩٤٠ ، لانه كان قد مضى على زمن البطولة نحو ربع قرن ، فلم تطاوعه روحه التى دب اليها الوهن مع الشيخوخة ، ولم تجد عليه قريحته المكدودة بغير كلمات ضعيفة متخاذلة : « لقد حلت المحنة .. وطلبت الى العدو انهاء القتال ! ؟ »

وقد تولى الجنرال ديمترى ليلوشنكو قيادة ست عشرة فرقة فى جبهة « رزيف » ـ اخطر جبهات روسيا فى الحرب المنقضية ـ وهو فى السابعة والثلاثين من عمره .. فلما سأله مستر « ويندل ويلكى » عن القطاع الذى يدافع فيه ، نظر اليه كالمغيظ ، وقال : « سيدى ، اننى لا اُدافع .. اننى اهاجم ! »

وهكذا تكون روح القائد الباسل الذى يسيطر على حياة مائة الف جندى ، ويرى مصير امته فى كل ساعة وهو يتأرجح بين النصر والهزيمة او قل بين الحياة والموت

ان المجد العسكرى للشباب .. ولا بد ان يأخذ القوس باريها . فاذا وجب تحديد سن للقيادة ، فليرجع اصحاب الشأن الى قائمة كبار العسكريين، يجدوا ان جميع عباقرة الحرب كانوا شبابا .. أو فليتدبروا رأى نابليون ـ اعظم عبقرية عسكرية ـ فهو يرى الا تزيد سن قواد الكتائب واللواءات عن الخامسة والثلاثين ، وقواد الجيوش عن الخامسة والاربعين .. ولعل هذا يكشف عن سر انهزام نابليون فى « ووترلو » ، فقد كان فى السادسة والاربعين ! لقد ختم حياته بهذه الهزيمة الماحقة وقال فيها كلمته المشهورة : « خسرنا كل شىء الا الشرف »

السيد فرج

« ما خير الشباب اذا كانت حيويته تتبدد كالسيل الذى لا تقام له السدود ! »

كهولتي خير من شبابي

بقلم
الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى



الكهولة والشباب عهدان مختلفان فى كل شىء . ولك ان تقول انهما يجعلان من الانسان الواحد انسانين متميزين، لايشبه احدهما صاحبه ، لا فى المخبر ولا فى المظهر . ولا عجب ، فان سنة الحياة التغير الدائم ، فلا بقاء لشىء على حاله، لان قانون الطبيعة يأبى هذا الجمود . ولا قيمة لبقاء اسم الانسان من البداية الى النهاية ، دون أن يلحقه تبديل او تعديل . فما يمنع بقاؤه طول العمر كما هو ، انه فى الحقيقة اسم واحد لناس كثر جاء بعضهم فى اثر بعض، وذهبوا على التوالى

فانا فى كهولتى انسان جديد من كل وجه ، لا يشبه ذلك الانسان القديم الذى كان ، أيام الشباب . فقد ذهب ذلك الانسان الى غير رجعة ، وذهب معه كل ما كان له من خصائص ، وصفات وسمات ، ومعارف ، ونزعات ، وآمال ، وآلام ، ومخاوف ، ومطامع ، وشهوات الى آخر ذلك ، وحل محله — بعد ناس كثيرين آخرين اتخذوا اسمى — هذا الكهل الذى يدلف الى الشيخوخة ، والذى هو اليوم « انا » ، والذى سيصبح غدا انسانا آخر يعقبه غيره فغيره ، الى ان يمضى الله مشيئته فى مخلوقه

ولك أن تقول ايضا ان الشباب والكهولة معنيان فى النفس .. فان منا من يخطىء معنى الشباب فى عهده المألوف ، ثم يجده فى غير أوانه . وهذا ما وقع لى .. فما عرفت طعم الشباب ، ولا ركبت

به ما يركب الناس به ، لانى امتحنت فى صدر حياتى وغضونة سنى ، بما تركنى احس كأن الدهر كله عمرى

*

ودارت الايام .. وكبرت ، وازددت بالدنيا والناس معرفة ، وبنفسى ايضا ، فاذا كل شىء يتغير . التشاؤم انقلب تفاؤلا واستبشارا ، والضغن اصبح عطفا ورقة قلب ، وحبا للحياة والناس ، وكنت اظننى لن يطول عمرى ، واحمد الله على هذا واسأله فى سرى ان يعجل بالراحة الكبرى وان كنا لن ندرى باننا فزنا بها، فاذا بى واثق انى ساكون من المعمرين جدا ، واذا بى قد صرت احرص الناس على حياة ، بل اذا بى اشعر شعورا قويا انى رددت شابا ، وان كان راسى قد شاب ولم يبق فيه سواد . واذهلنى هذا الشعور المستغرق عن سنى التى لاتكف عن الارتفاع . وكنت فى الترام ذات يوم وكان الزحام شديدا ، ولاموضع لقدم، ولكنى كنت مستعجلا، فجاهدت حتى دخلت ووقفت بين الناس ، فنهضت فتاة صغيرة السن لا اظنها تتجاوز الثانية عشرة ، وقالت : « تفضل ! » ، فسألتها « نازلة ؟ » ، قالت : « كلا ! » ، قلت : « اذن عودى الى مقعدك، وشكرا لك » ، قالت : « لايليق فانك رجل كبير » . فكأنما لطمتنى على وجهى .. لا لانى اجهل ، او اكره أن اعترف ، انى كبرت ، بل لانى لم اكن اشعر انى « رجل كبير » . ولم يكن يجرى لى فى خاطر ان من يرانى يمكن ان يقول انى كبرت ، وثقل على نفسى ظن الفتاة انها اقدرمنى على احتمال الوقوف المتعب فى هذا الزحام . وفقدت السيطرة على اعصابى ، فأبيت ان تقف هى واقعد انا ، فلما رأيت اصرارها نزلت فى اول محطة ، وانتظرت تراما آخر

وليس هذا من مغالطة النفس فى الحقائق ، وانما هو وليد شعور عميق لم يكن لى به عهد فى شبابى . ولو كنت فى شبابى وقدمتنى هذه الفتاة على نفسها، لكان الارجح الا اغضب ، ولعددت هذا من الاحترام الذى استحقه. اولا لان الشاب هو الذى يشتهى - ويسره ولا يسوءه - أن يعد رجلا كبيرا .. وعلى ذكر ذلك اقول انى كنت احلق لحيتى وشاربى ثلاث مرات فى اليوم ، لظنى ان هذا أعون على سرعة ظهور الشعر، وثانيا لانى كما اسلفت ، كنت اشعر انى هرم لا ينقصه الا عصا يتوكأ عليها . وقدكنت اتخذ عصا واتوكأ عليها ولا اتخلى عنها ، وكنت أعلقها على شباك السرير لتكون قريبة المتناول

اما الآن ، فانى استغرب ان يظن او يقول احد انى كبرت . نعم .. علت سنى ، ولكنى لا احس بهذا الكبر ، ولا يدور فى نفسى معناه. وصحيح ان حركتى اصبحت ابطأ، وان ساقى الهيضة

ضمرت قليلا ، فهي تتعبني وتؤلمني ، وتصدني عن المشي والوقوف الطويلين ، ولكن ما قيمة هذا ؟

*

وكنت في شبابي قليل الثقة بنفسي ، على الرغم من غروري. فكنت اراجع الكتب اكثر مما اراجع عقلي، اى انى كنت لا افكر بعقلي ولا انظر بعيني ، بل افكر بعقول غيري وانظر بعيونهم . ولهذا كانت شخصيتي مستترة ، وقلما تتبدى . وكان الذى يتبدى هو اطلاعي ، اى ثمرة دراساتي وقراءاتي . ولهذا اتهمت بالسطو على آثار الاقدمين، وللتهمة وجه . لان عكوفي على الكتب كان يبدو اثره فيما اكتب او انظم . ثم انى طوال عمرى ضعيف الذاكرة سريع النسيان ، فكان معقولا ان تعلق المعاني بذهني حتى اذا كتبت شيئا او نظمت شعرا ، وخطر لي بعض هذه المعاني، توهمتها من «ابتكاراتي» . وقد تنبهت الى هذا الضعف ، لما رايت غير واحد يتهمني بالسرقة الادبية ، فتحرزت جدا . وما اظن الآن ان احدا يذهب الى أنى اسطو على غيري — والحمد لله

ذلك انى الآن لا أرجع الى الكتب الا اذا كان الرجوع لا مفر منه للاهتداء بحقيقة علمية او تاريخية اوما يجرى هذا المجرى . ولا اعتمد الا على عقلي وحده ، ولا اتخذ من الكتب اصناما تعبد، بل اقرؤها قراءة الناقد الذى لا يسلم الا بما يقتنع به . فالمعول اولا وآخرا على نظرى انا ، اما ما اقرا فقد اصبح كله « محل نظر» عندى على خلاف الحال فى شبابي ، فقد كنت اتلقى كل ما اقرا بالتسليم . وعلة ذلك انى لم اجد من يوجهني ويرشدني ويثقفني ، ويفقهني . نعم .. استفدت من اخواني وتابعتهم فى مجال الاطلاع ، وتشجعت بهم ، واعدوني بغيرتهم واخلاصهم ، فمضيت ادب وراءهم فى الطريق القويم . ولكنى لم أكن قادرا كقدرتهم على التمحيص والغربلة والتخل ، فنضجوا هم فى شبابهم ، ولم اشعر انى فى سبيل النضج ، وعلى الدرب اليه ، الا فى كهولتي . وما نضجت بعد ، ولكنى خير مما كنت ، واهدى سبيلا فيما اعتقد ، واقدر على التفكير المستقل ، وتلك نعمة حرمتها فى الشباب

لهذا ولغيره مما لايتسع المقام له ، اقول فى غير تردد ان كهولتى خير من شبابي . ولم لا ؟ وما خير هذا الشباب اذا كانت حيويته تتبدد كالسيل الذى لا تقام له السدود والخزانات للانتفاع به ؟ ولماذا لا تفضله وترجع عليه الكهولة الناضجة التى تحسن الانتفاع بكل ذرة من الحيوية الباقية ؟

ابرهيم عبد القادر المازني

هل الحب أعمى ؟

بقلم الأستاذ ميخائيل نعيمه

الحب اعمى
عين الحب عمياء
القرد فى عين امه غزال
احب حبيبى وان يكن عبداً اسود

هذه اقوال عرفتها العربية ، فصيحها وعاميها ، منذ اقدم الازمان ، ولها ما يماثلها فى جميع لغات الارض . ومغزاها يكاد يكون واحداً . وهو أن الحب يعمي المحب عن كل سيئة فى محبوبه . بل انه يقلب السيئة حسنة ، والبشاعة جمالا

وهل ذلك من العمى فى شىء ؟ انه السحر بعينه . وانه النور الذي يبدد الظلمات . فهو أبعد ما يكون عن العمى ، كما نفهم العمى ، واجدر ما يكون بالدهشة التى تثيرها الخوارق لا بالشفقة التى يبعثها فينا منظر كفيف يستدل على طريقه بعصاه

والعمى أنواع .. ابرزها اثنان : فعمى يحجب النور ، وهو محنة وبلية . وعمى يحجب الظلمة فهو عطية سنية . وعمى الحب من النوع الاخير الذى يحجب النقائص

من بين كل العواطف التى يختلج بها القلب البشرى ليس من عاطفة انبل واسمى واقوى من الحب . انها العاطفة التى تخرج العجائب . فنحن لو جندنا كل ما فى الانسان من ذكاء وعبقرية ودهاء لما استطعنا ان نخلق من القرد غزالا ، اما الحب ، اذا ما تربع فى القلب وبث انفاسه فى نياطه وشغافه ، استطاع فى اقل من طرفة عين أن يعبث بالناس وتقاليدهم ، وبالطبيعة وسننها على هواه . فالعليل يبرأ ، والقبيح يجمل ، والضعيف يقوى ، والقصى يدنو ، والخشن ينعم ، والقاسى يلين ، والمحدود يغدو بغير حدود . واذا الابدية لمحة واللمحة ابدية . واذا الفضاء بكل ما فيه سرير دافىء وثير . فالزمان والمكان كلاهما عبد طيع للحب ومطية ذلول

ان سحر الحب يفوق كل سحر . وكيمياؤه أين منها كيمياء الانابيق والغازات فى المختبرات ؟ اوليس

> **« الحب مفتاح السعادة لولاه ما تذوق الانسان غبطة الوجود ، ولا انتشى بخمرة الحياة »**

الناس حاولوا، وما زالوا يحاولون، تحويل المعادن الرخيصة الى معادن ثمينة ؟ ولكنهم ما أفلحوا حتى اليوم . أما الحب فما انفك ، منذ ان كان الناس، يجعل من الصعاليك ملوكا ، ومن الشياطين ملائكة ، ومن الانذال ابطالا ، ومن سلالة ادم وحواء آلهة خليقين بالتسبيح والعبادة . ومن ذا غير الحب يستطيع ان يسمو بالانسان الى حد ان يجعله يخاطب انسانا نظيره بمثل هذه الكلمات : « يا روحى » و « يا حياتى » و« يا نور عينى » و « يامعبودى» وما شاكلها ؟

▭

انما الحب وحده - تباركت كيمياؤه - يملك السر فى تحويل الانسان الى ما فوق الانسان . والحب وحده - تبارك سحره - يملك المفتاح الى قدس اقداس السعادة التى ينشدها الكل فلا يلمحون وجهها الالمى الا فى لحظات نادرات هى من العمر زبدته ولبابه ، وناره ونوره . وما تبقى. فرغوة وقشور، وحطب ورماد

نعم . هو الحب يجلو بصائرنا وابصارنا . واذا بنا مرآة صافية تعكس المحبوب صافيا . واذا المحبوب اكثر من عظم ولحم ودم ، واكثر من بشر يعقل وينطق ويأكل ويشرب ويشتهى أشياء ويهرب من أشياء . واذا به فتنة وروعة وجلال وطعام وشراب لا تستقيم لنا بدونها حياة . فهو الكيان المتمم لكياننا. هو الحياة فى حياتنا، والرجاء فى رجائنا ، والايمان فى ايماننا. به نكتمل ونخلص. وبدونه نبقى ناقصين ونهلك . به نحيا .وبدونه نموت . به الوجود حلاوة وهناءة . وبدونه حسك وحنظل

الا ان الحب لايدوم . فما ان يشرق حتى يغرب . وما ان يحل فى القلب حتى يرتحل . فيمضى وكانه الطيف فى المنام . وتاتى اليقظة فلا يبقى من الحب غير الذكرى . واذا المحبوب عظم ولحم ودم تتحكم فيها الشهوات البشرية بعديد أصنافها . فآنا تسوقها شرقا ، وآونة غربا. واذا نحن نبصر فى المحبوب اكثر من نقص واحد واكثر من سيئة واحدة . ففى مشيته وفى حديثه وفى هندامه وفى كل حركة من حركاته أشياء يمجها ذوقنا وتنفر منها أذننا وتمتعض عيننا وينكمش قلبنا . وهو ، الى ذلك ، يكثر من شكواه منا . فكلانا يشكو صاحبه . أترانا يوم ابصرناه خاليا من النقص ما أبصرنا غير وهم؟ أم ترى العين التى أبصرنا بها ونحن فى ذروة الحب كانت رمداء وعمياء فما أبصرناه على حقيقته ؟

▭

وبعبارة اخرى ، اى العينين احرى بالتصديق : عين تحصن الحب فى انسانها واجفانها فماتبصر غير الجمال ؟ ام عين هجر الحب انسانها واجفانها فلا تبصر غير

الشناعة ؟ او انها لا تلمح الجمال حتى تلمح بجانبه الشناعة ؟ فقاموسها أوله « لولا » وآخره « يا ليت »

ان جوابى لا يحتمل الشك ولا التأويل . فالناس ، فى عقيدتى ، عميان .الا متى احبوا حبا لا شرك فيه ولا التواء . فهم اذ ذاك مبصرون . اما ان حبهم لا يقيم العمر ، ولا يتألق حتى يخبو فالذنب فى ذلك ذنبهم . والحب منه براء . ذاك لان الحب سيد مطلق لا يطيق فوق سيادته سيادة . فهو يقود ولا يقاد ، ويسوق ولا يساق ، ويأمر ولا يأتمر . ولأنه سيد الزمان والمكان تراه اذا احتل قلبا ولو لحظة أو لحظات قصيرات جعله أفسح من الأرض والسماء، واعتق من الأزل، وافتى من الأبد . هو الطريق والدليل . وهو الغاية والواسطة والبداية والنهاية

□

الا ان الناس أطفال عابثون . فما يكاد واحدهم يحس دبيب الحب فى دمه حتى يروح يعبث بالحب. فحينا يسخره لشهوات لحمه ودمه . وحينا يحاول حبسه فى اقفاص غاياته الارضية والزمنية . فهو يريده سلاحا للثأر ووسيلة الى الجاه والسلطان، أو متعة لساعات القيلولة من التنكيل بالمخلوقات . ثم يعجب للحب كيف تبخر ومن أين افلت وطار ، ويخيل اليه ان ما كان لم يكن . وان حلاوة سماوية تذوقها ما كانت غير حلاوة يتذوقها حالم فى حلمه . وان الحياة حقيقة قاسية نهايتها الخيبة لا الحظوى

ويا ليت الذين يندبون حبهم الطاغى وخيبتهم المقيمة يفتشون قلوبهم وافكارهم ويغربلون نياتهم واعمالهم . اذن لأدركوا ان الحب ما ارتحل عنهم الا لانهم ما احسنوا فهمه والامتثال له

□

ولعل اول ما ينبغى ان نفهمه عن الحب هو انه قوة شاملة لاتقبل الحصر والتجزئة . فالحب حب كامل اذا هو تناول جسد الكون الكامل . فما انحصر فى جزء دون جزء او صفة دون صفة ، واذ ذاك فهو الحب الذى تزول السماء والارض ولا يزول . والكون ، كالحب ، وحدة لاتتجزأ . فمن احبه بكامله كان حبه كاملا وكان مبصرا ابدا . ومن احب بعضه دون بعض ، أو احب ذرة منه وابغض ذرات ، كان حبه مبصرا على قدر ما يحب واعمى على قدر ما يبغض . ذاك لان الحب نور والبغض ظلمة . ونحن لو كان لنا ان نبصر كل ما فى الكون على نور الحب لما أبصرنا فيه غير الجمال . ولكننا ما نزال قاصرين عن بلوغ الحب الكامل . ولاننا ندين مع الحب بدين البغضاء والكراهية . ولكن عين البغض والكراهية عمياء

قلت ان الحب مفتاح السعادة . فلولاه لما تذوق انسان غبطة الوجود ولا انتشى بخمرة الحياة .

فنحن مدينون للحب لا لسواه بتلك الومضات الخلابة التى تكشف لنا آفاقا رحبة تتالق باشهى الآمال والأمانى ، وتسمو بنا الى حيث نفلت من جاذبية الزمان والمكان . فلا هموم ولا اثقال ولا شكوك ولا مخاوف ، ولا بدايات ولا نهايات . بل ديمومة تملى بغبطة الدوام

وهل الحب الا ذوبان المحب فى محبوبه ، ثم ذوبان الاثنين فى الكائنات ؟انه الشعور بأن محبوبك هو الكون والكون محبوبك . فالاثنان وحدة شاملة كاملة . وانك من ذلك الكون بمثابة الروح من الجسد . وانه جسد كامل وروح كامل

ذاك هو العالم الذى يفتح الحب لنا بابه ويدخلنا اليه . وهو حقيقة لا وهم . اما اننا سرعان ما ندخله وسرعان ما نخرج منه فليس فى ذلك ما ينفى وجوده . وكيف ننفى وجوده وقد رأيناه وخبرناه وتذوقناه ؟ ولكن العين التى رأيناه بها ــ وهى عين الحب المتالق ، المتسامى ، المنزه عن كل شوق غير شوق الفناء فى المحبوب ــ ما لبثت أن عاد اليها رمد الانانية المحدودة التى تأبى الفناء فلا تستطيع ان تبصر شيئا الا اذا ابصرت نقيضه . وعالم الحب عالم لا مجال فيه للمتناقضات . فلا عجب ان يتحجب من العيون الرمداء . فكيف بالعمياء ؟

ان الحياة ما جعلتنا نتذوق الحب الا لتدلنا على الطريق الى قلبها الحنون ، الدافىء ، الكريم حيث الوجود وحدة شاملة تتعالى فوق كل المتناقضات . فكأنها تقول لنا : « هذا هو الفردوس المعد لكم منذ تأسيس العالم . وهو فردوس لا تبصره عين غير محبة ولا يدخله غير قلب محب . فمن شاء ان يسكنه دائما ابدا ، عليه ان يحب دائما ابدا »

واذ ذاك فعملنا فى الحياة هو ان نتعلم كيف نحب الحياة حبا صافيا كيما نراها بعين الحب الصافية . وأن نحبها لا ساعة ولا شهرا بل حبا لا انقطاع فيه ولا فتور . وأن نحبها شاملة كاملة لا أن نحب بعضها ونبغض البعض

فنحن ، اذ نحب الحياة كاملة شاملة ، مبصرون . ونحن اذ نحب بعضها دون البعض ، عوران . ونحن اذ نكرهها ، عميان

ميخائيل نعيمه

صورة الأغلاف

يرى القارىء على غلاف هذا العدد صورة لتمثال رمزى صنعه خصيصاً للهلال المثال الشاب فتحي محمود . وهو يمثل « شباب الجيل » فتياناً وفتيات ، ينشدون الحرية ، ويطمحون إلى المجد فى عزم واقدام

الحظ والشباب فى هوليود

هل تؤمن بأثر الحظ فى الحياة ؟.. هذه مجموعة قصص واقعية تتبين منها كيف يلعب الحظ دوره فى مدينة السينما .. فيدفع بمن يشاء من الكواكب إلى سماء الشهرة والمجد ، فتأتيهن الثروة طائعة مختارة

كان ابوها مهندسا متواضعا فى بلدة صغيرة بالقرب من واشنجتون .. وبعد ان اتمت دراستها الثانوية التحقت بالجامعة . ولم تكن تحلم يوما ان تكون فى طليعة النجوم التى تزهو بها هوليود .. ولكنه الحظ — واذا شئت فقل القدر — أوحى الى ابويها ان يقترحا عليها السفر الى نيويورك ، بعد أن جازت امتحانها النهائى ، بقصد النزهة والاستجمام . وهناك لقيت مصادفة المخرج المعروف «شارل فلومان» فاشار على مدير شركة «يونيفرسال» الذى كان يبحث عن وجه جديد بأن يسند اليها دورا معينا . فلم يلبث ان تعاقد معها . وظل الحظ يتابعها حتى غدت فى الطليعة . تلك هى «ايللا رينز» كوكب «يونيفرسال»

*

وكانت «استر وليامز» منذ فجر حياتها شغوفة بالسباحة وعضوا فى نادى لوس انجلوس .. واتفق أن نشرت احدى المجلات المحلية صورتها عام ١٩٣٩ وقالت انها فازت فى عدة مباريات للسباحة وانها تعتزم الاشتراك فى مباريات السباحة الدولية . وتصادف ان هبطت طائرة كانت تقل «بلى روز» — وهو من كبار المشتغلين بالسينما — فى مطار لوس انجلوس فاشترى نسخة من المجلة .. واذ كان يتصفحها اعجب برشاقة الفتاة وجمالها ، فسأل عنها واتصل بها تليفونيا ، يطلب اليها أن تلقاه فى النادى . ولما أبدى لها رغبته فى اشراكها فى فيلم سينمائى .. ترددت ، وقالت انها تعتزم الالتحاق بوظيفة فى متجر للأزياء . ولكنها سرعان ما قبلت العمل معه .. وبعد فترة قصيرة تألق نجمها فى هوليود

*

وسئلت «اليكسيس سميث» عن أسعد يوم فى حياتها ، فقالت : «انه اليوم الذى ارسل فيه القدر «فيكتور أورسانتى» ليشهد مسرحية كنت أشترك فى تمثيلها .. بعد أن قضيت عامين أدرس فيهما فن التمثيل والالقاء فى كلية لوس انجلوس .. فما ان اسدل الستار على الفصل الاخير حتى قابلنى «أورسانتى»



لولا الحظ لظلت «اليكسيس سميث» صاحبة هذا الوجه
الفاتن ، كوكباً معتماً مطموراً لا يسمع عنه أحد

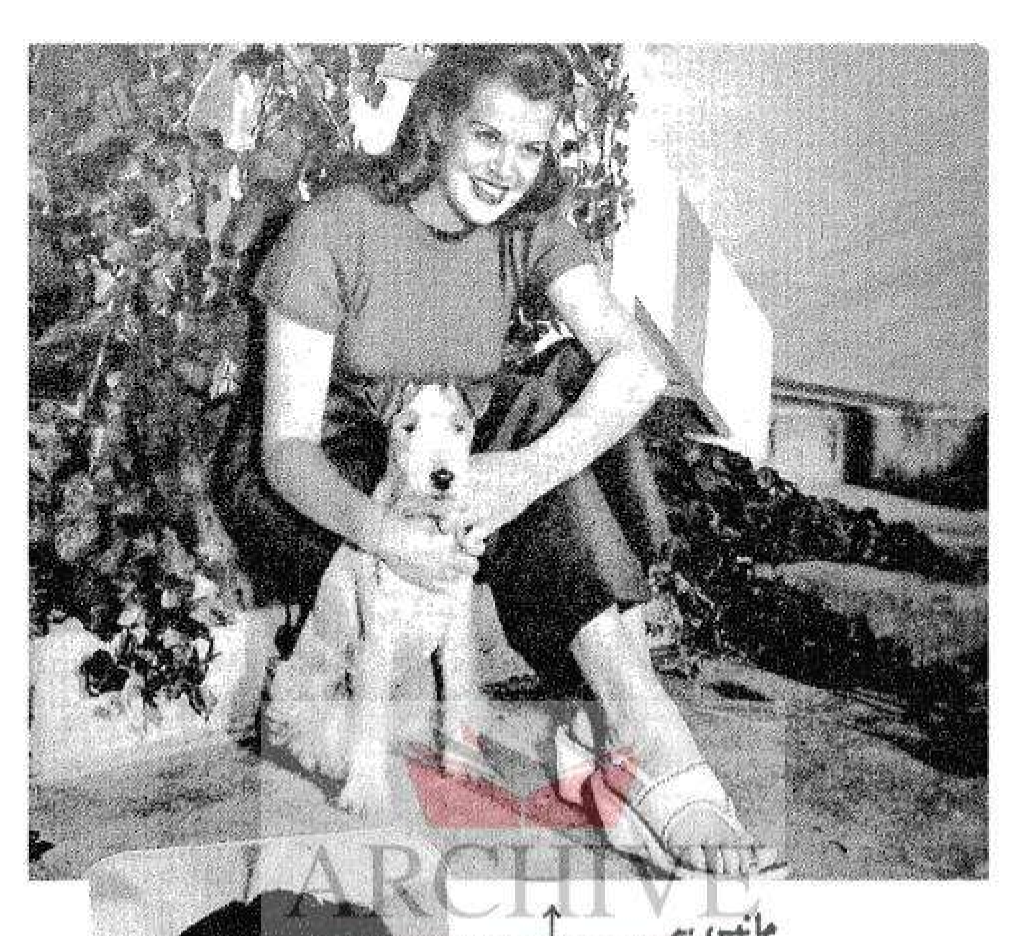


إيلا رينز

لا يكاد الابتسام يفارق وجهها منذ أن ابتسم لها الحظ ، فدفعها إلى نيويورك دفعاً لتلتقى هنـاك مندوب شركة « يونيفرسال » الذى لم يلبث أن تعاقد معها

استر وليمز

لم تكن تحلم بطلة « السابحات الفاتنات » يوماً بالظهور على الشاشة ، وكانت تعتزم العمل فى متجر للأزياء .. ولكن القدر أبى إلا أن يضعها فى طليعة الكواكب



↑ **جانيس بيج**

هذه النادة التي تسيل رقة وجاذبية تؤمن بالحظ إيماناً راسخاً .. وكيف لا ؟ وقد كانت موظفة متواضعة في مصنع للتعدين، فاذا بالثروة والشهرة يهبطان عليها فجأة

← **جينا هاسر**

ظلت سنوات تجاهد عبثاً للظهور في أدوار هامة .. وفجأة تجلت مواهبها فاسندت اليها بطولة احدى الروايات .. ومنذذلك الحين وهى تتألق فى سماء هوليود

وتعاقدمعي على العمل فى هوليود. ويقيني انني لم اكن خيرا من زميلاتي فى التمثيل . . ولكنه « الحظ » دفعه الى ترشيحي للعمل على الستار الفضى »

*

اما « جانيس بيج » .. فقد كانت موظفة فى مصنع للتعدين. وذهبت مرة الى لوس انجلوس لتقضى عطلة آخر الاسبوع . ودعتها صديقةلها لقضاء السهرة فى ملهى معروف . وحدث أن تغيبت مغنية ، كان مقررا ان تحيى الحفلة . . فطلب الى الموهوبين والموهوبات من الحاضرين أن يتطوعوا بالغناء . . وتقدمت « جانيس » بعد الحاح صديقتها، وجلة مترددة ، وانشدت بصوتها الشجى اغنية طرب لها الجميع . وكان بين المتفرجين احد مخرجي هوليود ـ كان « الحظ » قد ارسله فى اللحظة المناسبة ـ فألحقها بشركة « وارنر »

*

وقد يتمهل الحظ ، فيظل واقفا من بعيد ـ ينتظر اللحظة المقدرة ـ ثم يسرع فيبوىء الكوكب مكانة رفيعة بين زميلاتها المشهورات .. وهذه « سيخيا هاسو» ظلت ست سنوات تعمل فى صمت وصبر لتظفر بدور هام على الشاشة ، ولكن جهودها ذهبت عبثا . وأخيرا ابتسم لها الحظ ، فبلغتها رسالة ـ بعد ان كاد اليأس يقضي على طموحها وآمالها ـ من المخرج « جارسون كانين » يقول فيها : « لقد شاهدتك تمثلين على المسرح فى نيويورك منذ ست سنوات مضت .. واننى ارى انك الممثلة الوحيدة التى تصلح لدور البطولة فى فيلم اعتزم اخراجه قريبا .. ويسرنى ان تقبلى هذا العرض ». وبعد اشتراكها فى هذا الفيلم بدأ الاخصائيون يقدرون مواهبها

*

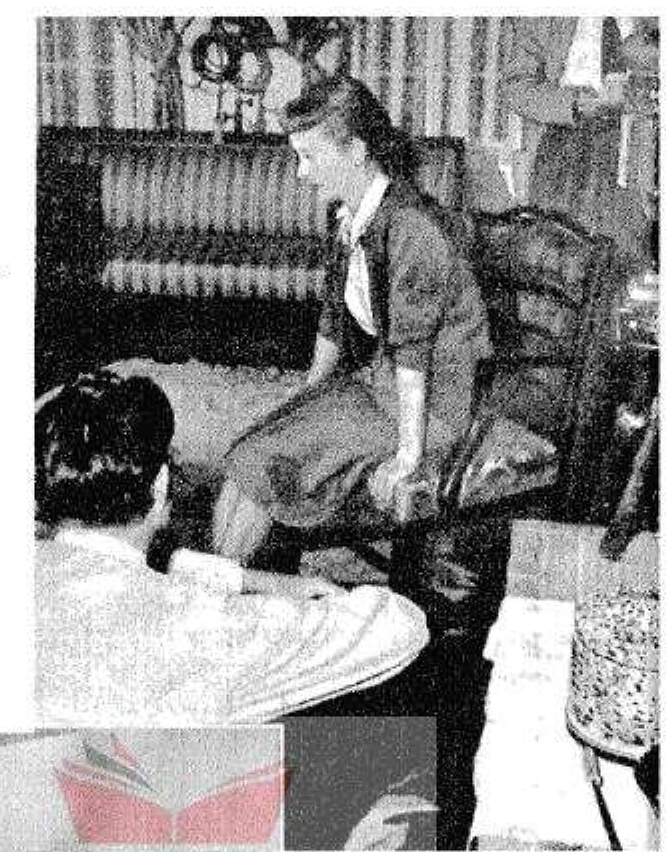
وتؤمن « جرير جارسون » بالحظ ايمانا راسخا .. وقد جاء فى حديثلها بهذا الصدد : «بقيت ثلاث سنوات أقوم بأدوار ثانوية فى مسارح لندن . ولم اكد افرغ من عملى ذات ليلة ، حتى دعيت لمقابلة متفرج . . قيل لى انه «لويس ماير» مديرشركة مترو. وقد كان يزور لندن فى ذلك الحين. وبعد حديث قصير اتفقت معه على العمل فى شركته . . وانني اتساءل كلما ذكرت هذه الليلة السعيدة .. ماذا ارسل «ماير» الى لندن فى ذلك الحين ؟ وماذا حفزه لمشاهدة الحفل ؟ .. أليس هو الحظ الذى شاء ان أبلغ مابلغته من شهرة »

*

ولعل اعجب قصص الحظ فى هوليود قصة « بت دافيز » .. وقد روتها لى ، فقالت : « لست ممن يتعلقون بالوهم والخيال .. ولكنى أقر بأن الحظ لعب فى حياتي دوراخطيرا .. لقد التحقت فى مستهل حياتي الفنية بشركة يونيفرسال ، وغادرت لذلك انا

بنى دافز

كادت تيأس من النجاح فى هوليود ، وهمت بأن تغادرها .. ولكنه الحظ أسرع ليوثيها مكانة رفيعة بين نجوم السينما .. وهى تبذوق ستوديوهات شركة « وارنر »





جين جارموند

ظلت هـــذه الحسناء الرشيقة ثلاث سنوات تقوم بأدوار ثانوية فى مسارح لندن .. وذات ليلة أقبل عليها الحظ فأرسل من استدعاها الى هوليود لتغدو كوكباً لامعاً .. يسطع فى سمائها

وأمى نيويورك لنقيم فى هوليود. وبرغم ان المخرجين فى الشركة كانوا يكرموننى الا اننى بقيت عاما بأكمله لا تسند الى الا الادوار الثانوية . . واخيرا اضطروا للاستغناء عنى . وفى هذه اللحظة تجلت سطوة الحظ . . فقد اعتزمنا العودة الى نيويورك ، واعددنا حقائبنا وهممنا بالخروج من المنزل الذى كنا نقيم به ، واذا بالسماء تمطر مطرا شديدا . . فاضطررنا ان نتريث قليلا حتى تهدأ العاصفة . . واذا بجرس التليفون يدق . . لقد كان المتكلم « جورج ارليس » وكان يبحث عن بطلة لفيلمه ، فوقع اختياره على حين علم باستغناء شركة يونيفرسال عنى . وبذلك بدأت صفحة جديدة فى حياتى الفنية بالعمل فى شركة « وارنر »

*

واخفقت « لوسيل بال » فى معهد التمثيل . . وانبأتها مديرة المعهد انه من المستحسن التفكير فى حرفة اخرى . فانضمت الى فرقة الاناشيد . ولكنها لم تلبث ان طردت منها بعد ثلاثة اسابيع. فالتحقت بوظيفة حقيرة فى متجر بمرتب زهيد قدره ٢٥ دولارا فى الاسبوع . وبعد ثمانى سنوات فى عملها الرتيب ، شاهدها احد المهتمين باختيار الوجوه الجديدة فرشحها للعمل فى السينما . ومنذ ذلك الحين وهى تقوم بادوارها خير اداء وتبشر بمستقبل باهر

[مراسلنا الخاص فى هوليود]



• لوسيل بال ، كوكب آخر حالفه الحظ

« نحب الشباب وإن لم يحقق ما كنا نرجوه منه .. لأنه مظلوم ولأننا نود له الخير ، ونأمل أن يثوب إلى الحق

لماذا نحب الشباب ؟

بقلم محمد على علوبة باشا

يمر الانسان فى حياته بمراحل ثلاث ، وان شئت فقل بمراحل اربع .. هى مرحلة الطفولة ، ومرحلة الشباب التى قد تقصر أو تطول ، ومرحلة الشيخوخة التى قد تقصر أو تطول أيضا ، ثم مرحلة الهرم وهى مرحلة الفناء

ولا يعنينا هنا من هذه المراحل الا مرحلة الشباب ، وهى مرحلة القوة والاقدام والنشاط . فالشباب ربيع الحياة ، والزهر الباسم ، والثمر اليانع ، وهو قوة الامة وعصبها وعضدها فى الملمات ، فلست ترى فى الجندية سوى الشبان فى البر والبحر والجو . وهم عنصر التضحية واحتمال المتاعب ومغالبة الشدائد ، وهم الذين يطبقون ما يوحى به الشيوخ اليهم من اعمال وجهود تنوء بها صحتهم ، وعليهم المعول فى تنفيذ ما يطلب لخدمة البلاد

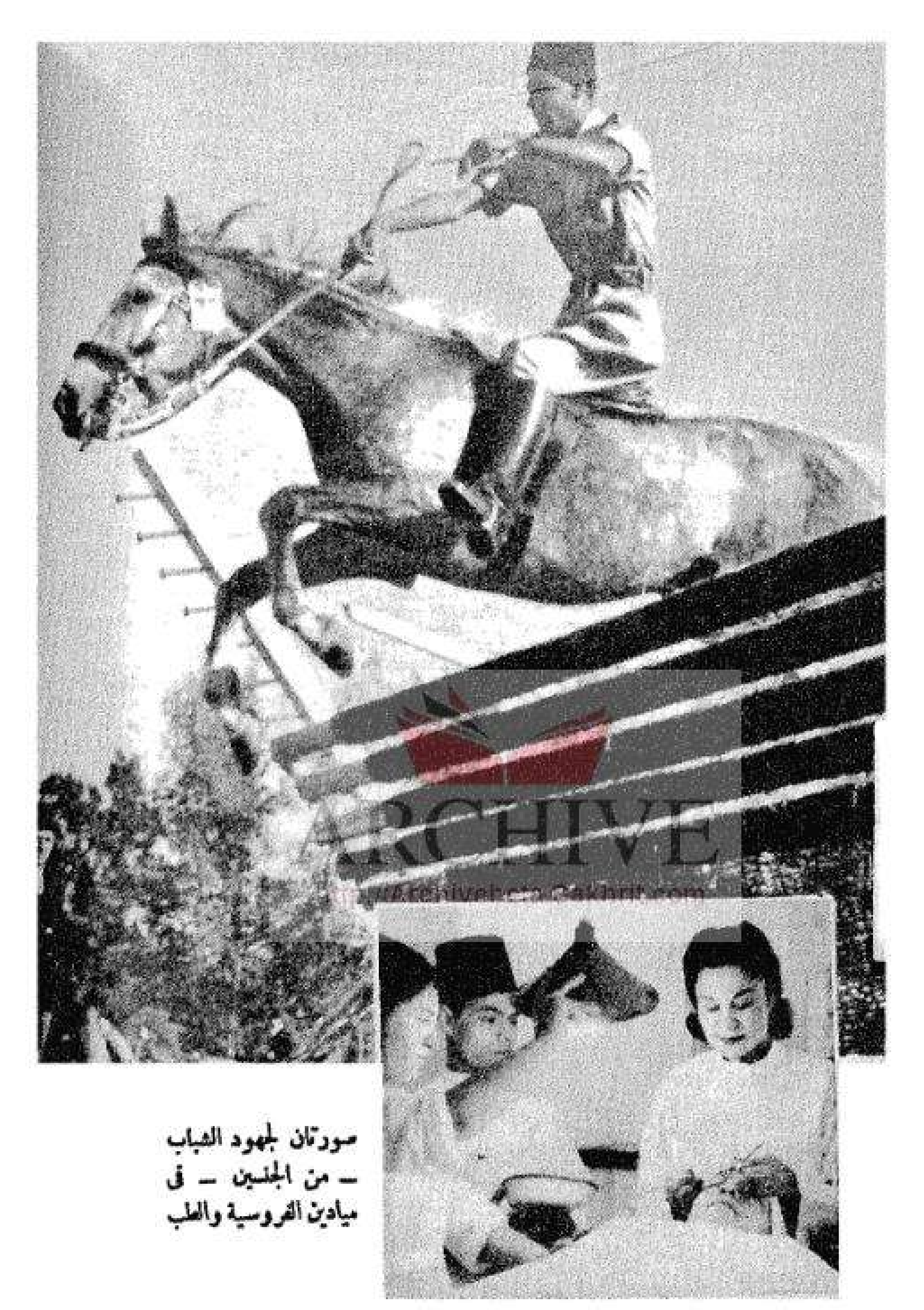
وان أمة اقفرت من شبابها لهى امة ضعيفة واهنة ، فقدت وجودها وسلاحها واداة قوتها ، وانهارت آمالها فى المستقبل

ومن اجل هذا نحب الشباب ، ونشجعه ، ونعنى به فى ايام السلم والحرب ، وندخره للاعمال المدنية والحربية ، ونهيىء هذا النبت ونرعاه ، ونغذيه بغذاء العلم والفضيلة والتربية الخلقية والجسمانية حتى يصبح كما نحب ونبغى شبابا قويا فى عضلاته ، قويا فى عقله ، قويا فى اخلاقه .. ومن هنا تأتى مسئولية الشيوخ ، فعليهم وحدهم واجب تهيئة الشباب لما يرفع بهم شأن البلاد . وان قصرنا ، فقد أجرمنا فى تكوينهم ، وهيأناهم لان يكونوا عنصرا هداما لا عنصرا صالحا لتكوين أمة صالحة كريمة

❋

ويتوقف مصير شباب المستقبل على الصفات التى تكون لشباب الجيل ، فاذا كانوا صالحين انبتوا نباتا حسنا صالحا ، واذا كانوا فاسدين افسدوا نباتهم واضروا بمصلحة بلادهم

فمسئولية الآباء اذن مسئولية كبيرة خطيرة تمس حياة الامة فى أهم دعائمها واركانها . وليس



صورتان لجهود الشباب
ـ من الجنسين ـ في
ميادين الفروسية والطب

الشباب الا كالماء النقي الطهور يتكيف بالاناء الذي هو فيه ، وما الاناء الا الآباء والشيوخ ، وما البذور التي تلقى في هذا الماء الا ما يلقيه الشيوخ من مبادىء صالحة او جراثيم مفسدة فتاكة

على الآباء أن يتدبروا في ان تكون بيوتهم لابنائهم جنات لا يرون فيها الا امثلة صالحة بين الزوج والزوجة .. الأم تعكف على ادارة عشها بعقل سليم ، وتدبير حكيم ، ومراقبة لينة عطوف . وعلى الأب أن يكون مثالا صالحا للجد والعمل وتقديس هذا العش بما حواه من زوج واطفال، وقدوة حسنة في السلوك القويم الذي تنغرس آثاره في نفوسهم وأذهانهم الغضة ، فان هؤلاء الابناء لا يرون أمامهم مثالا يقتدى به سوى الأب والأم في البيت، فاذا درجوا الى المدرسة، وانتظموا في حياتها بدأت مسئولية المدرسة ومسئولية المعلم بنوع خاص . وهذا المعلم يجب أن يكون كالأب الرحيم يوجه ابناءه توجيها نافعا يغرس فيهم حب العلم وحب الفضيلة وحب الوطن

*

وهناك مسئولية اخرى يجب ان نعنى بها ، وهي مسئولية ولاة الامور بعد ان يتم الشاب دراسته، ويخرج للكفاح في هذا الوجود.. كنت شابا كباقي الشباب ، وكانت آمالي في الحياة باسمة ، وكان اعتقادي اني ساجد في معترك الحياة تلك الفضائل التي لمستها في بيتي وفي معاهد التعليم. لكني ــ مع الاسف ــ رأيت حربا غير شريفة،وتزاحما يؤذي الاسماع والابصار ، ورغبة في التزود من المال على حساب الفضيلة والاخلاق

وان كثيرا من الشبان الابرياء الذين خرجوا من دور العلم اطهارا ، وكلهم امل في خدمة بلادهم وانفسهم ، قد تلوثوا من هذا الجو ، وانزلق كثير منهم في الرذيلة بحكم الاغراء والمظالم والانتقام والمحاباة والمحسوبية

تساقط كثير منهم كما تتساقط اوراق الشجر في الخريف، تساقطوا وقد كانوا أطهارا وآمالهم في هذا الوجود واسعة ، ولهم كفايات وضمائر ، ولكن ما الحيلة ، وقد كان ولاة الامور امامهم مثلا للظلم واحتقار العلم والفضائل . .

وهؤلاء الشبان يريدون ان يعيشوا وان يخدموا بلادهم . ولبعضهم عائلات واولاد يريدون ان يقتاتوا، فاذا لم يجدوا امامهم سوى الظلم والمحسوبية كذبوا ما كانوا يسمعونه في مدارسهم عن تقديس العدالة واحترام الفضيلة ، ورأوا ان هذا العالم كاذب منافق

ان الشباب في ذلك مجنى عليه لا ريب ، ونحن نحبه وان فسد لانه مظلوم ، ولانا نود له الخير ونرجو ان يثوب الى الحق ، وان يقتدى بالمثل الصالحة في الحياة ، وان يتنكب عن طريق الشطط ، وينأى عن المثل الدنيا

محمد علي علوبة

مشاكل الشباب كيف نحلها ؟

أحمد لطفي السيد باشا
الدكتور حسن نشأت باشا
الدكتور طه حسين بك
الدكتور أمير بقطر
الدكتور حلمي بهجت بدوي بك

شباب اليوم ، هم رجال الغد ، وعماد المستقبل . وفي حل مشاكلهم تمهيد لا بد منه ، لاقامة ذلك المستقبل وتوطيد أركانه على أساس ثابت متين . وقد دعونا خمسة من أقطاب الرأي وأعلام البيان للمناقشة في هذا الموضوع الحيوي . . واليك ما دار بينهم من حديث سجلناه حرفياً

بدأ الحديث بين حضرات المجتمعين في الندوة عن مشكلة التعليم . . فقال استاذنا **أحمد لطفي السيد باشا** : اعتقد ان مشكلة التعليم هي اهم مشاكل شباب اليوم ، بل مشاكل البلاد عامة . ذلك لأن حلها يستتبع حتما حل اكثر المشاكل التي نعانيها ، والتي تقف عقبة في سبيل رفع مستوانا العام

الدكتور بهجت بدوي بك: ان اهدافنا هي رفع المستوى الادبي والمادي للجيل الجديد . وتحقيق هذه الاهداف انما يقع العبء الاكبر منه على عاتق الخاصة ، اقصد الطبقة المستنيرة . فيجب ان نوجه عنايتنا الى تكوين هذه الطبقة ، وتدعيمها بالكفايات العلمية والاقتصادية والفنية . أي أن نوجه عنايتنا الى التعليم الجامعي ، والتعليم الفني . والعناية التي تصرف في سبيل هذا النوع من التعليم ، ينبغي الا تكون دون العناية التي تصرف في سبيل التعليم العام . وكما يجب أن يزداد الكم ، يجب كذلك أن يتحسن الكيف . وليس يخفى أن المدنية الغربية الحديثة انما قامت على أكتاف الجامعات التي بدأت مهمتها هناك منذ قرون ، بينما التعليم العام لم يبدأ مهمته الا منذ ٦٠ أو ٧٠ سنة

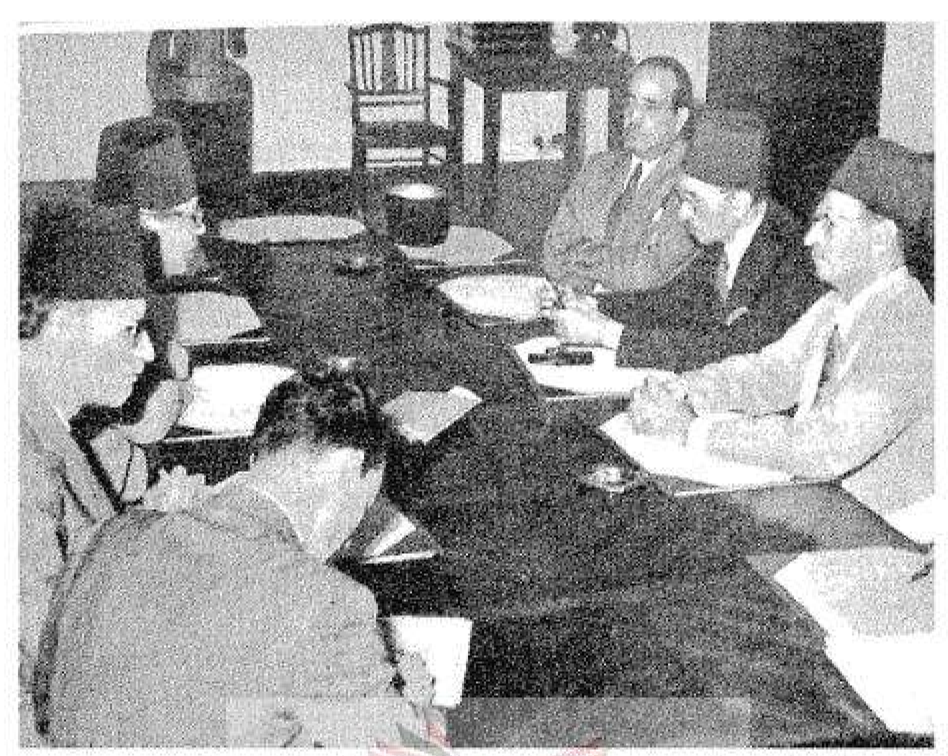
الدكتور بقطر : التعليم العام هو الذي يكشف الكفايات ، والغرض منه تنوير أذهان الأمة . فالوعي القومي لا يوجد الا في أمة متعلمة بها كفايات في كل المرافق

نشأت باشا : في اعتقادي أن الظروف الحالية ، أو ظروف الكوليرا العارضة ، تعطينا فكرة صحيحة عن أيهما أفضل . . التوسع في

التعليم العام ، أم التوسع فى التعليم الجامعى ؟ فهذه الظروف قد أكدت انما ينقص الشعب المصرى، ولا بد له منه أولا وقبل كل شىء ، هو تفهم قواعد الحياة وتبين المسالك المؤدية الى أحسن الغايات دون التعرض للمهالك والاخطار . وهذا هو ما يتيحه التعليم العام . أما التعليم الجامعى ، فالغرض منه ايجاد القادة لا أكثر ، ولا شك فى أن من عندنا من الجامعيين فيهم الكفاية لهذا وزيادة ، لولا أن انعدام التعليم العام من شأنه أن يجعل مهمتهم تعترضها الصعوبات ، فمثلهم ومثل العامة عندنا كمثل جياد أصيلة كثيرة تحاول جر عربة تنقصها العجلات . وثمة دليل آخر على ضرورة عنايتنا أولا بالتعليم العام بما فيه التعليم الزراعى والصناعى ، وذلك ان عددنا قد تضاعف فى نصف القرن الاخير ، ومع هذا لم نفد شيئا من هذه الزيادة ، بل نقصت الاراضى المزروعة عندنا حوالى مليون فدان ، برغم ما جد من الوسائل الزراعية . . فاذا كنا نتألم الآن لما تعانيه البلاد من المرض والفاقة ، فذلك مرده الى أن أكثريتنا لا تزال فى جهالة عمياء ، ومن هذا كانت زيادة عددنا ضغثا على ابالة ، وبعد أن كان الفلاح الجاهل الفقير المريض يكد ويكدح ليحصل على رغيف أصبح هناك آخر من أمثاله يكد ويكدح ليقتسم معه هذا الرغيف بدلا من أن يبحث لنفسه عن رغيف آخر . أما الاغنياء من الزراع ، فأكثرهم كذلك ينقصهم التعليم . ولهذا يعيشون بعقول القرون الوسطى ، فلا يفيدون ولا تفيد البلاد من غناهم الا بمقدار ضئيل محدود



الدكتور طه حسين بك وأحمد لطفى السيد باشا ، يتحدثان معا قبل بدء الندوة . .



المشتركون في الندوة ــ من اليمين، الدكتور أمير بقطر، أحمد لطفي السيد باشا ، حسن نشأت باشا ، الدكتور حلمي بهجت بدوي بك ، الدكتور طه حسين بك

الدكتور بقطر : في اختباراتي بامريكا ، ما يؤيد هذا كل التأييد ، فالرخاء السائد هناك انما يعود الى تعميم التعليم الفني والزراعي والصناعي ، وافادة الشباب جميعا منه في المدارس الثانوية ، وقليل هم الذين يدخلون الجامعات بعد ذلك . وقد قال احد الرؤساء الامريكيين : لو خيرت بين اقفال المدارس واقفال الجامعات لاخترت اقفال الاخيرة

الدكتور طه حسين بك : الحياة جهاد ، يحتاج فيه الى القادة كما يحتاج الى الجنود ، ولا قيمة مطلقا لكفاية القادة ونشاطهم واخلاصهم ما لم يكن جنودهم أصحاء صالحين للقتال ، متدربين على فنونه من هجوم ودفاع .. واذا كانت الجامعات هي التي تخرج القادة ، وكانت عامة الشعب هي التي تتألف منها الجنود ، فلا قيمة مطلقا لمن تخرجهم الجامعات ولا لكفاياتهم ونشاطهم واخلاصهم اذا لم يكن العامة على قسط من التعليم العام ، يفهمون به واجبهم كما يجب ان يفهم ، ويهيئهم لقبول التوجيه ، وتادية مهمتهم أحسن ما يكون الأداء .. فالتعليم الاجبارى العام اذن اوجب واولى بعنايتنا واهتمامنا

من التعليم العالي أو التعليم الخاص ، ثم هو الى ذلك يتيح تكافؤ الفرص لأبناء الشعب جميعا ، لا فرق بين غني وفقير . كما يتيح للجامعة نفسها ان تحسن اختيار ابنائها ممن تتوافر فيهم الكفايات والاستعدادات والميول المطلوبة .. وقد يكون الاتجاه نحو التعليم العام شيئا جديدا لم يعرفه العالم قبل القرن التاسع عشر . ولكن الذي لا شك فيه انه جاء نتيجة للوعي العالمي ، والقصد الى انقاذ الانسانية من الكوارث العديدة التي جرها عليها الجهل ونظام الاقطاع ، أو الاحتكار الذي كان سائدا وقتذاك في جميع فروع الحياة . ولا شك كذلك في أن الانسانية قد افادت وتقدمت أشواطا بعيدة في طريق الرقي ورفع المستوى العام بفضل هذا الاتجاه . فمن السخف أو العبث أن نحاول القضاء على الفقر او المرض أو ان نقر العدل والديمقراطية الصحيحة ، ما لم نمض أولا في ذلك الاتجاه ، ونحقق في البلاد تعميم التعليم بمعناه الصحيح

الدكتور بهجت بدوي بك : ليس هناك من ينكر ضرورة التعليم العام وفوائده . ولعل أخص فوائده انه يتيح الفرصة لابراز أكبر مجموعة من المواهب والكفايات والانتفاع بها ، بدلا من قصر هذه الفرصة على طبقة معينة هي طبقة القادرين . وعلى هذا الوجه لا تهدر تلك المواهب التي يزخر بها الشعب والتي ينقصها التعليم للكشف عنها . على أنه ليس في امكاننا الآن أن نعلم الشعب كله ، لأن مواردنا محدودة أو هي غير مستغلة كما ينبغي أن تستغل . ويجب مواصلة الاهتمام بتحسين هذا الاستغلال حتى تزداد الموارد ، ويمكننا الانفاق على تعليم الشعب . وفي سبيل ذلك نحن في حاجة الى اعداد الكفايات التي كشف عنها اعدادا صالحا ، يمكنها من أن تؤدي مهمتها حق الاداء . وذلك بأن نهيء للجامعة جوا علميا صحيحا يجعلها أقدر على تخريج الاكفاء الذين يقوون روح الانتاج ويمضون بالأمة في الطريق الموصل الى ما تريد

الدكتور طه حسين بك : قد يكون مستوى المتخرجين في الجامعة اليوم أقل منه منذ عشر سنين ، ذلك لأخطاء قد تكون منا ، وقد تكون من الظروف العالمية .. اصبحت معها الجامعة ما تزال مدارس عالية . وانقطعت العلاقة بين اساتذتها وزملائهم في الخارج ولم يبق للدرجات الجامعية من قيمة أكثر من أن تتيح الترقية لأصحابها حتى في الجامعة نفسها . وقد يستطاع اصلاح هذه الحال بالرجوع الى الاساس الذي نهضت عليه الجامعة عندنا منذ سنين .. على أن هذا لن يغني كثيرا عن حاجتنا الملحة الى التعليم العام . وعلى المسئولين أن يدبروا المال اللازم لذلك ، بزيادة الضرائب على الارباح والاملاك ، وتنظيم جبايتها واختيار الوجوه التي تنفق فيها مع ملاحظة تقديم

الاهم على المهم ، وتقديم المهم على ما لا فائدة من الاهتمام به الآن .
فمثلا قد انفقنا على الجيش حوالي اثنى عشر مليونا من الجنيهات ، وكان يمكن ان نوفر هذه الملايين لننفقها فى نشر التعليم العام . فلا شك فى ان الجيش بعد ذلك يكون اكثر فائدة . اما الآن فلا اذكر ان البلاد قد افادت منه فائدة تذكر منذ عصر اسماعيل

لطفي السيد باشا : هذا كلام جميل ، واجمل منه ان نجد الحاكمين الذين يفهمونه حق فهمه ، ويسارعون الى تنفيذه او ان نجد المحكومين الذين يؤمنون بفائدته لهم وللبلاد ، ويقبلون عليه راضية به نفوسهم ، وأين نحن الآن من هذا وذاك ؟!

الدكتور بهجت بدوي بك : مهمة المصلحين هي التوجيه والتبصير بعواقب الامور ، وما دام ايمانهم قويا ، فسيأتى اليوم الذى تتحقق اصلاحاتهم فيه

□

ثم انتقل الحديث الى التربية الخلقية :

الدكتور بهجت بدوي بك : الواقع ان القدوة الحسنة هي التى تؤثر فى الناشئة وليس الوعظ أو الارشاد

الدكتور بقطر : اعتقد أن الطريقة المثلى للافادة من التربية الخلقية هي أن نبدأ بها أولا فى البيت ، ثم يتعاون البيت مع المدرسة

الدكتور طه حسين بك : هذا ما لا سبيل اليه الا بعد أن يعمم التعليم العام ايضا . اما قبل ذلك فالبيئة المنزلية ، مع الاسف الشديد ، لا تزال ابعد ما تكون عن الاضطلاع بمثل ذلك العبء العظيم ، لانها هي نفسها فى حاجة الى الاصلاح . فلو فرضنا أن البيئة المدرسية عندنا صالحة لذلك ، فان التعاون بينها وبين البيئة المنزلية لتحقيق تلك الغاية ، لا سبيل اليه الا بعد حين طويل

الدكتور بقطر : فى استطاعتنا ان نقتبس الطرق المفيدة التى سبقنا اليها الغربيون فى ذلك ، كتنظيم مؤتمرات عامة للشباب ، واصدار الكتب والمجلات الخاصة بهم ، والاكثار من الاذاعات التي يحبونها ، وتوجيههم الى ذلك من حيث لا يشعرون ، والعمل على انشاء الاندية الرياضية والاجتماعية لهم بشرط ان تكون بعيدة عن الطائفية أو الحزبية . وفى استطاعة الحكومة ان تشرف على تنظيم هذه الوسائل

لطفي السيد باشا : ارى ان الحياة الآن ارقى بكثير مما كانت عليه قبل ربع قرن ، وهي ان شاء الله ستكون بعد ربع قرن آخر أرقى منها الآن . فلنترك الزمن يتولى بنفسه حل هذه المشكلة . اما ان

تكل حلها الى الحكومات فهذا يتطلب ان يختار الحاكمون من الفلاسفة ورجال الاخلاق . وهذا ما لا يقره السياسيون

▭

وتناول المجتمعون مشكلة ثالثة هى من اهم مشاكل الشباب ، وهى « التربية الجنسية » ، فقال **الدكتور طه حسين بك** : المسألة التى ينبغى ان نفكر فيها فى مصر وفى كثير من البلاد الاخرى هى مسألة « التربية الجنسية » ، فالواقع أن الحب لا يحتاج الى توجيه

الدكتور بهجت بدوى بك : اعتقد ان هذه المسائل ينبغى أن تترك للشباب ، ليحلها بمحض سلطانه

الدكتور بقطر : فى البلاد المحافظة كبلادنا ، يعجبنى ان حل امثال هذه المسألة يتم شيئا فشيئا وبمعرفة الوالدين ، بعكس الحال فى البلاد الغربية مثلا حيث يمكن القول بان الجنسين هناك قد ترك لهما الحبل على الغارب متى بلغا مبلغ الشباب

لطفى السيد باشا : ومشكلة تعدد الزوجات ، قد حلها الزمن هى الاخرى ، فلا يزيد ما لدينا منه الآن على ٣ ٪ من عقود الزواج القائمة . فالأمر كما ترون لا يحتاج الى تشريع ولا توجيه

الدكتور بقطر : هل هناك تعاون بين الجنسين فى الجامعة عندنا ، كما هو الشأن فى جامعات أوربا وامريكا ؟

الدكتور طه حسين بك : الذى اعرفه ان اختلاط الجنسين فى الجامعة موجود معمول به منذ سنين . فالطالب والطالبة يجلسان جنبا الى جنب فى الدروس والمحاضرات ، ويتناقشان معا خارج الدرس . ولا حرج عليهما البتة من هذا القبيل

الدكتور بقطر : قبل انفضاض الندوة ، احب ان اعود هنيهة الى مسألة التعليم العام ، لأقول ان الحكومة الامريكية تفرض ضريبة على الاثاث تجبى سنويا لذمة التعليم . وفى هذا ما يؤيد ما قاله الدكتور طه حسين بك من ضرورة فرض الضرائب هنا لنشر ذلك التعليم

الدكتور طه حسين بك : أكثر من هذا ياسيدى أن الحكومة المصرية نفسها فى أوائل عهد الاحتلال الانجليزى فرضت ضريبة خاصة بالتعليم فى مجالس المديريات . فليس ما يمنع الآن من فرض مثل هذه الضريبة . على أن تختفى المركزية ، اذ أن ضررها محقق فى مثل هذه الشؤون وهذه الظروف

لطفى السيد باشا : الى هنا ارى ان مشاكل شباب اليوم قد حلت على الورق ، فلعلها ان شاء الله تحل كذلك فى الدواوين

الدكتور طه حسين بك : المهم أن تحل فى المدارس والبيوت !

يبحث الكاتب فى هذا المقال موضوع تجديد الشباب ويقرر
أن العلم قد خطا الخطوة الأولى فى سبيل تحقيق هذه الغاية

تجديد الشباب

بقلم الدكتور كامل يعقوب

تجديد الشباب ومقاومة الشيخوخة واطالة الحياة هى الآمال التى ظلت تداعب احلام الناس من قديم الزمان حتى الساعة . وقد فطن المفكرون منذ العصور البعيدة الى علاقة الشباب بالغدد التناسلية عند الرجل . وكان السبب فى هذه المشاهدة ، هو ذيوع عملية الخصاء فى تلك العصور . فقد كانت هذه العملية تعمل للعبيد وهم فى سن الطفولة لينتظموا فيما بعد فى سلك الاغوات ، ويتوفروا على خدمة ذوات الخدر بين جدران القصور .. فكانت تظهر عليهم علامات الشيخوخة المبكرة ، فتضعف اجسامهم ويقل نشاطهم ويذهب رواؤهم وتنعدم فيهم صفات الرجولة ورغبات الجنس

وفى أواسط القرن الماضى شرع العلماء فى القيام بالتجارب العملية الكشف عن وظائف الغدد الجنسية . واتخذ الاستاذ « برتهولد » الفصيلة الدجاجية ميدانا لهذا البحث . فكان يستأصل خصي الديك ثم يتركه ليشاهد ما يطرأ عليه من تغيير . وكان يجد بعد فترة من الزمن ان هذا الديك قد ذهب عنه نشاطه ، وتقلص عرفه الأحمر ؛ وكف من الصياح ، وتلاشت فيه صفات الذكورة . حتى اذا انقضى عليه بعض الوقت وهو على هذه الحال ، عاد اليه مرة اخرى ففتح بطنه ووضع فى تجويفها خصية من ديك آخر . فلا يلبث الديك ان يعود الى سابق نشاطه ، ويمشى مختالا بين الاناث من الدجاج

*

وكان الاستاذ «سيكار» العالم الفرنسى فى مقدمة المشتغلين بالبحث فى وظائف الغدد الصماء ، فلما اشرف القرن الماضى على نهايته ، كان هو ايضا قد علت به السن، والحت عليه الشيخوخة، وتاقت نفسه الى نفحة من نفحات الصبا ، وعزمة من عزمات الشباب . فما كان منه الا انه اخذ يستأصل خصى الكلاب ، وينقعها بعد هرسها فى محلول من الملح ، ثم يحقن نفسه تحت الجلد بهذا المحلول ، ولبث على ذلك اياما .. ثم اعلن فى المجامع العلمية ان هذه الحقن قد احالته انسانا جديدا ، وأعادت الشباب الى جسمه والنشاط الى ذهنه .. واشرأبت اعناق الناس وازدهرت آمالهم عند سماع هذا الخبر .

واهتزت له اسلاك البرق فى جميع أنحاء العالم . . ولكن شاء القدر الساخر الا ينقضى على هذا الاعلان سوى بضعة أيام حتى كانت جميع أمراض الشيخوخة قد تآمرت على هذا العالم المسكين، فوهن عظمه ، وانطرح فى الفراش، ولاتسل عما اصابه فى اثناء مرضه وبعد وفاته من تهكم مرير

ولم يجرؤ أحد من العلماء بعد تلك المأساة التى اصابت زميلهم فى أواخر أيامه ، على مجرد التفكير فى تجديد الشباب. ولعل الدكتور « فورونوف » كان يجهل قصة الاستاذ سيكار حين جاء بعد اكثر من ثلاثين سنة من وفاته ، واعلن هو أيضا عن طريقة جديدة لاعادة الشباب . وهى تطعيم الشيخ بخصية من الشمبانزى ، وهو أرقى أنواع القردة واقربها شبها الى الانسان . وقد اثارت هذه الطريقة اهتمام العالم فى ذلك الوقت ، وفاضت بالحديث عنها أعمدة الجرائد . ثم درجت فى زوايا النسيان ، بعد أن قامت فى سبيل تحقيقها عقبتان : الاولى صعوبة الحصول على هذه القردة ، والثانية سرعة تلف الغدة وضمورها بعد غرسها فى جسم الانسان

اما العلماء فى وظائف الاعضاء فقد انصرفوا الى البحث فى خصائص الغدد الاخرى، مثل الغدة الدرقية والنخامية وغيرهما من الغدد التى كانت فى نظرهم اعلى مكانة ، وآمن جانبا ، من غدد التناسل . وهداهم البحث الى ان لكل غدة من هذه الغدد عنصرا فعالا أو «هورمون» تفرزه الغدة، فيدور فى الدم ويؤدى للجسم احدى وظائفه الحيوية

وهكذا ظل الافراز الداخلى لغدد التناسل أو هورمون الذكورة مجهولا . فلم يتوصل احد من العلماء للكشف عنه او معرفة تركيبه الكيميائى . حتى جاء فى السنوات الاخيرة الاستاذ « فردريك كوخ » وتصدى لهذا البحث ، بعد أن شجعه على ذلك اصحاب أحد معامل الادوية المعروفة ، وبعد أن امدوه بكل ما يلزمه من المال ، ووضعوا تحت تصرفه بضعة أطنان من خصى العجول . واخذ هذا العالم يعالج هذه الكمية الهائلة من الغدد بمختلف المحاليل المذيبة ، ثم يعرضها لشتى العمليات الكيميائية من تصعيد وتقطير وترشيح وترسيب ، حتى تمكن بعد الجهد الجهيد والعناء الطويل من أن يستخلص من هذه الاطنان العديدة كمية ضئيلة من الهورمون النقى المبلور ، اطلق عليه اسم «تستوستيرون». وكان الاستاذ « بروتيناند » يحاول هو أيضا وفى نفس الوقت العثور على هذا الهورمون من طريق آخر . فقد هداه تفكيره الى امكان العثور عليه فى بول الرجل طالما انه يوجد فى دمه . وما كادت هذه الفكرة تختمر فى ذهنه ، حتى ترك كل ما لديه من الاعمال وراح يجمع ابوال الرجال . الى ان بلغت

الكمية التي جمعها ٢٥٫٠٠٠ لتر من البول . وظل يقوم بعمليات التحليل والترسيب فى هذه البحيرة من البول حتى ظفر فى النهاية بكمية قليلة من الهورمون

٭

وما كاد العلماء يضعون أيديهم على هذا الهورمون الجديد ، حتى شرعوا فى تجربته على الحيوان والطير . فهذه دجاجة تحقن به فاذا هى تمتنع عن البيض والتفريخ وتتخذ صفات الذكورة ، فينمو على راسها عرف كعرف الديك وتكثر من الصياح مثله . وهذا كتكوت يحقن به بعد خروجه من البيضة مباشرة ، فينمو بسرعة مدهشة ويأخذ فى الصياح بعد ثلاثة ايام . وهذا جواد خصى من جياد السباق قد ادركه العجز والهرم . فاذا به بعد بضع حقنات يستعيد نشاطه ويستطيع العدو من جديد فى حلبة السباق . ثم يوقف العلاج بالحقن بعد ذلك ، فاذا بهذا الجواد يعود الى سابق عهده من الضعف

وهكذا دلت هذه التجارب وامثالها على شدة تأثير هذا الهورمون وقوته الفعالة . ولكن وقفت فى سبيل استعماله عقبة كؤود ، وهى صعوبة الحصول عليه وما يتكلفه ذلك من باهظ الثمن .. وكاد يتوقف البحث عند هذا الحد لولا ان تقدم الى الميدان نفر من علماء الكيمياء ، وما كاد هؤلاء يستولون على كمية ضئيلة من هذا الهورمون حتى توصلوا الى معرفة تركيبه الكيميائى . ومن العجيب انهم وجدوا انه يماثل فى تركيبه هورمون الانوثة المستخرج من المبيضين ، وان الفرق بينهما لا يتجاوز ذرة واحدة من الكربون واربع ذرات من الهدروجين . وعلى ذلك يكون الفرق بين الذكورة والانوثة او بين الرجل والمراة انما هو هذا الفرق الضئيل بين رمزين كيميائيين

وقد تمكن هؤلاء الكيميائيون بعد ذلك من تحضير التستوستيرون الصناعى فى المعمل ، واستعمله الاطباء بنجاح فى مقاومة امراض الشيخوخة او سن اليأس عند الرجل ، بشرط ان تكون الاعراض نتيجة نقص الهرمون

٭

وخلاصة القول ان الكشف عن هذا المركب الكيميائى الهام هو الخطوة الاولى فى سبيل مقاومة الشيخوخة وتجديد الشباب . ولا يغرنك حديث أدبائنا المعاصرين حين يزعمون لك أن العبرة بشباب القلب . فشباب القلب هذا لا ينفع الانسان مع العضل المترهل والظهر المقوس . كما أن البطارية القوية لن تجدى السيارة نفعا مع المحرك الضعيف والهيكل البالى المفكك . وانما عليك أن تدعو بالتوفيق والنجاح لهؤلاء العلماء الامجاد لكى يواصلوا السير فى هذا الطريق . لعلهم يهيئون لك شبابا زاخرا متجددا

كامل يعقوب

فتياتنا والفن الجميل

بقلم الأستاذ محمد عزت مصطفى
أستاذ تاريخ الفنون الجميلة بمدرسة الفنون العليا

قدر للفنون الجميلة فى مراحل عدة من عهود ازدهارها ان تزهى بآثار فنانات موهوبات ، خلد أسمهن التاريخ وشهد لهن بالنبوغ والعبقرية

والامثال على ذلك كثيرة ، فقد لمع فى سماء الفن نجم المصورة الفرنسية « فيجيه لبران » فى القرن الثامن عشر ، وبلغ من ذيوع صيتها ان اختيرت عضوا بالاكاديمية وهى فى ريعان الشباب، واستطاعت أن تدعم حياتها الفنية بأعمال تحتل مكانا ملحوظا بين روائع الفن وعجائبه فى المتاحف الكبرى

وبرز فى ذلك العصر نفسه اسم مصورة أخرى موهوبة يعتز الانجليز بنسبتها الى مدرستهم، وهى « أنجلكا كوفمان » التى أدى بها ولوعها بدراسة الفن أن ارتدت ملابس الشبان لتلتحق بمعهد للفنون حرمت لوائحه على الفتيات الانتساب اليه . وبلغ بها حب الدرس ان ظلت طوال حياتها فى طواف دائم بمدن العالم، لتتزود من متاحفها بخبرة أساتذة الماضى وتجاريبهم فى الفن ، حتى انتهى بها ذلك الى المقام بلندن حيث عينت عضوا مؤسسة بأكاديميتها الفنية

والرأى عندى أن شأن الامة يكون بمقدار ما يحظى به أبناؤها من ثقافة فنية .. وكلما ازداد حظ المرأة من ذلك ، كانت الدلالة على رقى الامة أشد وضوحا وأكثر جلاء

*

وانه لمن دواعى فخرنا أن يكون للمصريات نصيب ملحوظ من الاهتمام بدراسة الفنون الجميلة، بل ومن التخصص فى أنواعها المختلفة فى الوقت الحاضر ، وأن تبدو طلائعهن مبشرة ببلوغ الغاية المرجوة من جهادهن الفنى المخلص. ففى المعهد العالى لمعلمات الفنون نخبة من المصريات ، اللاتى حظين بدراسة الفن بمعاهد مصر وجامعات أوربا ، يضطلعن فيه بمهام التدريس، كما يساهمن بأعمال ممتازة فى المعارض السنوية التى يقيمها نادى اتحاد السيدات، واتحاد أساتذة الفن وجمعية محبى الفنون الجميلة

ولقد أتيح لى أن أشهد عن كثب جهودهن التى يبذلنها فى رفع



لوحة « نوح »

نموذجان من الرسم التخطيطي للسيدة « أنعام سعيد » خريجة جامعة « هورنزى » للفنون الجميلة بلندن ..

لوحة « المنتزه »





لكل فنانة اسلوبها الخاص
فهى حين تعالج التصوير
تنساق بتأثير مشاعرها
الخاصة وتقحم روحها فيه
دون أن تدرى. وهاتان
اللوحتان من تصوير
الآنسة «كوكب يوسف»
تكادان تتحدثان اليك
عن نفس شاعرية شغفت
بالتأنق وحسن العرض ،
فجعلت ريشتها تبدع
فى العرض الشائق الجذاب
قبل إبداعها فى إحكام
البناء ومتانة التركيب



لوحتان بريشة الفنانة « عزيزة يوسف » تصوران أسلوبها الفنى الذى يتجه إلى تحليل الشخصية ، حتى ليمكنك أن تقرأ الصفات قبل أن تدرك خصائص المظهر والهيئة . فانت تطالع من الصورة العليا النفس الساذجة والقلب الطيب ، برغم ما يبدو فى عينى المرأة من تحد وعناد ، وكذلك تحس انشغال البال فى الصورة السفلى

مستوى الثقافة الفنية في المجتمع المصري سواء بالتدريس في المعاهد أم بالانتاج الحر خارجها. ويسرني أن أعرض في هذا المقال الى بعض لوحات من اخراج ثلاث منهن ، لكل أسلوبها في التفكير والاداء

نرى مع هذا الكلام بعض لوحات من تصوير الآنسة «عزيزة يوسف» خريجة جامعة «ردنج» بانجلترا، تتضمن اغلب مميزات اسلوبها الفني الذي يتجه الى تحليل الشخصية الانسانية بدقة المتأمل فيما وراء الغلاف المادي من ملامح وقسمات ، حتى ليمكنك أن تقرأ الصفات قبل أن تدرك خصائص المظهر والهيئة ...

*

والمشاهد أن الآنسة «عزيزة» تمارس التصوير بجرأة شاب مطبوع على القوة ، ويتضح ذلك من تلك اللمسات الحاسمة التي تكاد تطوى بها موضوع صورها، وكأنها تسابق ريشتها لبلوغ غاية فرغت في التو من تحديدها. والفنانة « عزيزة » تأبى — كما يبدو لي — أن تقف عند مراحل عملها الفني لتحاسب نفسها قليلا. فهي تمضي مغامرة صوب هدفها في اعتداد وثقة وايمان ...

اما الآنسة « كوكب يوسف » خريجة جامعة « هورنزى » للفنون الجميلة بلندن ، فالتصوير لديها هو احداث الاثر الفني بالاعجاب بما تضفيه على لوحاتها من التأنق وحسن العرض . والمتأمل في بعض لوحاتها المنشورة مع هذا المقال، يرى صورا بشرية خلعت عليها نفس شاعرية الاناقة والعرض الشائق الجذاب . ويلوح لي أن الالوان في صورها هي مادة فنها الاولى .. اما أحكام البناء ومتانة التركيب واستقرار الرؤية، فهي أشياء تأتي في المرتبة الثانية بالنسبة الى الالوان ، وبهذا يظل قدر الفنانة « كوكب » مجهولا ، لمن لم تتح له فرصة مشاهدة اعمالها بذاتها — اي قبل نقلها بالآلة الفوتوغرافية

*

وتعطينا السيدة «انعام سعيد» خريجة جامعة «هورنزى» أيضا أمثلة جميلة من فن الرسم التخطيطي تخالف النوعين السابقين كما يرى في بعض لوحاتها المنشورة هنا. والفنانة «انعام» تهوى انشاء القصص ، وهي بارعة في تخطيط المشاهد الحافلة بشتى عناصر الطبيعة . انها تروى لنا في لوحة «المتنزه» قصة الطبيعة ، والاصح انها تحمل الطبيعة على أن تنشدنا لحنها الازلي بانغام يطيب لنا الاستماع اليها، وبخاصة اذا اطلقنا نفوسنا على فطرتها الاصيلة ...

لقد توثقت بين فتياتنا وبين الفن الجميل صلات يرجى قريبا أن تؤتي ثمارها في البيت وفي المجتمع ، على أنه يرجى أيضا أن يضطلع اولو الامر برعاية هذه النهضة الفتية حتى تظل جهود فتياتنا الفنانات في نماء وعلاء وارتقاء

محمد عزت مصطفى

مدينة الحب القهرى

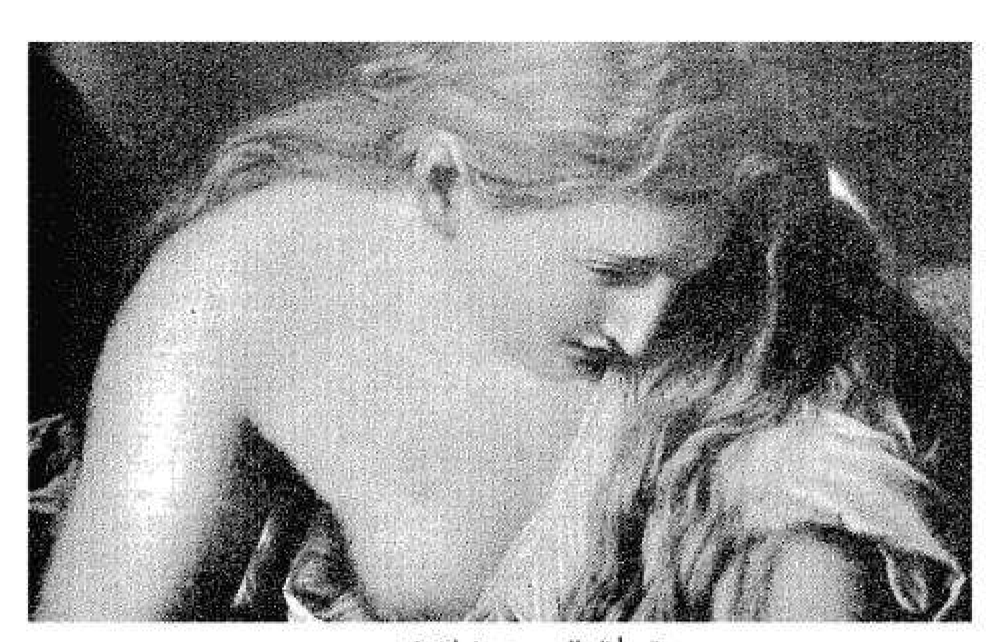
بقلم الدكتور أمير بقطر

«صورة شاعرية لمدينة يجد فيها الزائر أقصى ما يحمل النفوس المتعبة على الهدوء والاطمئنان ، وما يبعث المرح والسرور فى قلوب الشباب والشيوخ على السواء»

●

ليست « فينيس » المكان الوحيد فى العالم ، الذى يثير فى نفس زائره ، ذلك الشعور العميق الغريب .. حب الحياة . الحياة بكل ما فيها من نبات وانسان ، وجماد وحيوان ، وبحار ووديان . فبلدة «نياغرا» بجانبيها الاميركى والكندى مثلا ، مرتع الحب والخيال ، وربوة المحبين وعشاق الجمال . غير أن « نياغرا » تتجلى فى شلالاتها الدفاقة الجبارة ، عظمة الطبيعة وحدها وجمالها ، فى حين أن فينيس تتجمع فيها — فى آن واحد — عظمة الطبيعة وجمالها ، وروعة الفنون وجلالها . « فينيس » شبه جزيرة كبيرة ، تتألف من جزر صخرية صغيرة ، تتسع الواحدة منها لبنايات تعد على أصابع اليد الواحدة او اليدين على الاكثر ؛ وتتصل هذه الجزر الصغيرة بعضها ببعض بجسور ابدعت فى رسم الكثير منها آلة الهندسة وريشة الفن . وتبلغ جسورها الفا ونيفا ، تجرى من تحتها مياه القنوات ، آتية من القناة الكبرى ، المتصلة ببحر الادرياتيك ، ولما كانت شوارعها بهذه الكيفية بحارا ، ووسيلة النقل الوحيدة فيها الزورق « الجندول » ، فانك تحس ، وانت تصعد بصرك الى قبابها وابراجها التى مضت صعدا تسامى النجوم ، انك رميت خطاك الى مشهد عصر غبر ، وانك فى عالم الخيال والاحلام ، لا عالم الحقيقة والواقع ، فيشتد ظمؤك الى هذا الجديد المفاجىء ، وكل شىء فى « فينيس » جديد مفاجىء

ولست اريد أن يركب القارىء معى « جندولا » فنقف أمام القصور التاريخية ، الغنية بفنونها ، الفائضة بأسماء الكتاب والملوك والقواد ورجال الفن والسياسة والادب ، الذين اتخذوا تلك القصور مقرا لهم ، فتركوا لابناء الاجيال بعد موتهم كنوزا لا تفنى ، وذخائر لا تقدر بثمن ، من لوحات وصور زيتية وتماثيل



مثال لجمال الشعر عند فتيات فينيس

فنيـــة ، وتحف واوان واثاث ومخطوطات . لست أريد ذلك ، لانه يتطلب مجلدات كاملة . وقد يقف الزائر مبهوتا أمام هـــذه القصور الفريدة في فنها المعماري، وقد لا يستهويه في باديء الامر منظر بعضها الخارجي ، خصوصا وان الــدور الارضي في أكثـرها مغمور كله أو بعضه بالماء . وقد لا يعجبه ما يراه في بعض الازقة من القنوات الصغيرة التي يركد ماؤها احيانا ، ولـكنه سرعان ما يعبر به « الجندول » الى مدخل الدار ، فيأخذ في تفقـد ردهاته وابهـائه ، حتى يرى صـفحات التاريخ منبسطة امامه ككتاب يقرأ ، وحتى يجد في السـقف والارضـية والحوائط والتـحف الفنيـــة ، ما يوحي الى النفس معاني الجمال ، واشباح الحب والافتتان ، وروعة الفن المعماري

ولنطف الآن بالقـاريء ببعض أحياء المدينة سيرا على الاقدام ، لنشهد الحياة فيها ، وهي حياة تختلف عما سواها في أية مدينة أخرى من مدن العالم . ولنكن على استعداد لصـعود جسر والنزول من قنطرة ، كل ثلاث دقائق أوخمس. واول مايسترعي الانظار، ونحن في فصل الصيف ، تلك الجموع الزاخرة المتدفقة التي تعبر القنـاطر والجسـور صعودا وهبوطا ، وكلهم يبدوعلى اجسامهم النشاط والمرح،وتطفح من وجوههم علائم السرور والمرح، ثيابهم زاهية فضفاضـة نهارا ،

وتكثر بينها ملابس الشواطىء ، ورائعة أخاذة ليلا ، وتكثر فيها ملابس السهرة . ويخيل الى الرائى ان الاكثرية الساحقة من الشباب ، من فتيان ورجال فى تمام الصحة والعافية ، كما تبدو الفتيات والسيدات فى الوان متعددة من الحسن والجمال . والزائرون لهذه المدينة يمثلون جميع البلدان ، خصوصا الاوربية والاميركية ، وينطقون بجميع الالسن خصوصا الانجليزية والالمانية والايطالية والهنغارية . وقد يبلغ عددهم فى يوم واحد مائتي الف نسمة ، فيملاون كل فندق وكل غرفة فيها . وهذا اكبر عدد يفد على مدينة ، اذا استثنينا باريس ، فان متوسط عدد الوافدين عليها يبلغ يوميا نحو نصف مليون نسمة

وفى وسعك ان تميز الاجانب من سكان « فينيس » فى غير عناء ، فاكثراهلها يقومون بخدمة السياح . ولن تجد مشقة فى معرفة المشتغلين بالفنادق والمطاعم واصحاب الزوارق بيذلاتهم وقبعاتهم التقليدية ، ونداءاتهم المتكررة لحث الزائرين على الركوب فى زوارقهم ، وهى التسلية التى لابد منها . ولن تجد مشقة فى معرفة الفتاة او المراة الفينيسية . . فشعرها الاشقر الضارب الى الحمرة ، هو ذلك الشعر الفريد الذى افتتن به الرسام المشهور « تسيان » ، فاختار جميع نماذجه من صاحباته . ولا تزال المراة ، التى يكسو شعرها الاشقر ذلك الشعاع الاحمر الرقيق ، تدعى فى جميع انحاء العالم ذات الشعر التسيانى . واكثر فتيات « فينيس » وسيداتها تغلب عليهن البساطة فى الزى ، مع سلامة الذوق . . يضعن على اكتافهن « شالا » مثلث الشكل او مستطيله ، من الحرير الصناعى واحيانا الطبيعى ، تتدلى منه اهداب طويلة لامعة . وهن عادة غاية فى الرقة وعذوبة الحديث

وفيما عدا الذين يقومون بخدمة السياح من خدم ، واصحاب مطاعم وفنادق ، وتجار التحف والسلع الفينسية الجميلة ، والرواد والتراجمة — ما عدا هؤلاء ، يبدو لك لاول نظرة ان مئات الالوف فى هذه المدينة ، لا هم لهم الا النزهة ، وركوب الجندول ، والاستماع الى الغناء والموسيقى ، والرقص ، والاكل ، واحتساء النبيذ ، ومشاهدة الكنائس التاريخية البالغة حد العظمة والجمال والجلال ، وارتياد المتاحف ودور الآثار ، وركوب البواخر التى تقلهم فى بضع دقائق وباجر لا يتجاوز قروشا ثلاثة الى شاطىء « ليدو » الذائع الصيت ، حيث الفنادق الفخمة ، والمطاعم المشهورة ، وحيث السباحة ، والنزهة ، والغزل ، وشهور العسل

فهؤلاء زمرة من الاصدقاء ، اقتعدوا ارائك الجندول ، تحت مظلات ذهبية اللون ، تتقاذفهم

رياح هوج فى عرض البحر، وهم فى قهقهاتهم العالية ، وضوضائهم الصاخبة ، سكارى بنشوة الفرح لايعون ما يفعلون . وهذا رجل يتأبط ذراع حسناء ، فى جندول ينساب فى تؤدة وخفة ، فوق مياه تجرى تحت القناطر ، لها حفيف رقيق متشابه النغمات ، كحفيف الاشجارفى الهزيع الاخير من ليلة هدأت ريحها . وهؤلاء نفرمن الفلاحين الطليان والفلاحات ملوا أغوارجبال الالب المعشوشبة، فهبطوا بقضهم وقضيضهم على مدينة الحب القهرى ، ليقضوا ليلتهم على ضفاف القنوات ، يستمتعون بنغمات الموسيقى المنبعثة من فنادق وقهوات ومطاعم، لاقدرة لهم على ارتيادها. وأولئك جماعة من عشاق الطبيعة ، وقفوا طويلا فوق جسر التنهدات خلف قصر « الدودج » وهوذلك الجسر التاريخى المشهور ، الذى أعدم خلفه عدد كبير من « المجرمين » السياسيين ظلما وعدوانا. وقفوا هناك والشمس مائلة الى الغروب، يشاهدون الشفق وضوؤه يكسو البحر بساطا رقيقا متراميا ، ثم يطيلون الوقوف حتى يخيم الظلام على ذلك المكان فى ليلة داجية لا قمر فيها ، فتبدو قبة كنيسة السلام ، وابراج البنايات السابحة فى البحر خلفها ،كالاشباح والظلال ذات الاحلام

وليس كل مرح فى « فينيس » عنيفا صاخبا . فبين روادها من يطلب المتعة فى الصمت ، ويتخذ الهدوء والاعتدال وسيلة للذة .

فكم رأينا من رجل يسير على مهل تجاه القناة الكبرى ، وفى ركابه امرأة وهنانة غيداء ، تناسقت قسمات وجهها ، ولكن علاه الشحوب ... ثم لا يلبثان ان يتخذا مكانهما فى جندول انيق، وقبل ان يبتعدا عن الشاطىء ، يأمران البحار بالوقوف . ثم يطيلان النظر الى ما يدور حولهما من زوارق ، وما يتلألأ أمامهما من انوار تبدو أشباحها فى الماء ، وهما لاينطقان ببنت شفة. وقد يطبق الصمت حتى تكاد تسمع العنكبوت ينسج بيته ، وهما فى ذلك السكوت الرهيب مستغرقان فى نفسيهما منطويان عليهما . وقد يخرجان من هذا الصمت الفينة بعد الفينة ، فيطلقان مكنونات الصدور من اغلالها ، ويغمغمان بكلمات هامسة ، وقد تتجمع همسات من الاصوات الخافتة فتصبح لونا من الوان الحديث باهت الظل .. ويقول البحارة ان امثال هؤلاء العشاق « الحزانى » يقضون أوقاتهم على هذه الحال فى الجندول مع خطيباتهم اوخليلاتهم من الغسق الى الفجر . . والجنون فنون !

وان انس لن أنسى حادثا ، هو مأساة من مآسى الغرام والغيرة ، لا تزال فصولها المؤلمة تهز مشاعرى ..كان الشاب شاعرا فرنسيا ، تبدو عليه علائم النعمة، وتنزع نفسه الى الوحدة والهدوء والاعتدال فى كل شىء ، خلافا



جسر « التنهدات » .. أحد جسور « فينيس » المشهورة

لأبناء جنسه . . أما هي فقدكانت سيدة من سكان الشمال ، في العقد الثالث من عمرها وتخطو الى الثلاثين . . خفرة حيية ، مسرفة في الحياء ، ناعمة رقراقة، ممعنة في النعومة والانوثة. كانت شقراء يتقد في خديها وهج أحمر، وتتهافت حلقات من الشعر الذهبي على اذنيها . ولكنها برغم ذلك كانت تمشي مشية مطمئنة بقدها السوي،وخصرها الرقيق. وكان الذكاء يشع من ذات نفسها، فتفيض شخصيتها بسعادة وثقة بالنفس ترسلهما على السجية . كانت تفد الى « فينيس » فتقضي فيها شهري يولية واغسطس ، ولا هم لها فيها سوى التصوير. خمس سنوات متوالية تنزل فيها في كل صيف في الفندق الصغير، الذي يحف بالقناة الكبرى على مقربة من الميدان ، ولم يرها أحد مرة تجالس أحدا ، أو تسامر أو تحادث ، أو تلهو بشيء سوى لوحاتها الزيتية التي تنكب عليها

وكان الشاعر الشاب الفرنسي مفتونا بها ، يسافر من باريس الى « فينيس» مبكرا لينتظرها ، ويحاول كل عام أن يظفر منها بكلمة أو نظرة ، ولكن بلاجدوى. وقداغدق العطاء و « البقشيش» على وكيل الفندق ، متخذا منه وسيلة للجمع بينهما ، ولكنها كانت ترفض في ادب وحزم ، لأنها كانت على حذقولها متزوجة ، وفية لزوجها الذي لا تسمح له وظيفته بترك عمله في فصل الصيف . وكان الشاعر يغرقها بقصائده الغرامية فتردها اليه في غلافها . وهو لا ييأس ، وانما يواصل جهوده ومحاولاته للاتصال بها ، فيبعث اليها القصيدة تلو القصيدة . وكان سكان الفندق لا يقل عطفهم عليه ، عن اعجابهم بجمالها وافتتانهم بحسنها. وقد رفضت باباء أن يرسمها أشهر رجال الفن في « فينيس » ، أو ان يفوز منها احد بحديث أو بلفتة عابرة . وفي اغسطس من سنة ١٩٣٦ قدم زوجها الشيخ الفيلسوف المدينة لأول مرة . وفي صباح اليوم التالي حمل ساعي البريد اليهاكعادته قصيدة الشاعر المفتون ، ففضها الزوج امامها . وما كاد يأتي على آخر القصيدة حتى أخرج مسدسا كان في جيبه الخلفي ، واطلقه على تلك الروح البريئة الطاهرة ، فارداها قتيلة . وبعد دقائق القى الشاعر بنفسه من نافذة الفندق في الدور الثاني في اليم فمات غريقا

اجل « فينيس » . . انت مدينة الحب القهري ، ولكنه حب تغلب عليه الطهارة والرقة والشغوف . . حب للطبيعة فيه النصيب الاوفر ، ولريشة الفن وازميله ما تبقى . حب يسمو بصاحبه الى الزهد في المال وحطام الدنيا ، ونسيان ما فيها من هموم وآلام

أمير بقطر



الى فتيات الشرق

علمني شبابي..

بقلم السيدة أمينة السعيد

ما زلت والله في ريعان الشباب، لم أرتشف من كأس الحياة غير قطرات قليلات. ولم أقرأ في كتاب الزمان إلا صفحات معدودات. وهو تحصيل ضئيل، لا يكسب حنكة، ولا يورث حكمة، ولا يرد شيئاً من شرور الايام. ومع ذلك فقد أفادني هذا القدر الصغير، فأخذت عنه دروساً، آلمتني في حينها، وإن أوضحت لي سبيل التعامل مع الناس!!

عرفتها فتاة كريمة قوية.. وما كان لها فضل فيما اتصفت به، فقد ولدت من عصب جرىء نبيل، لا يعرف الا الصراحة والصدق، ولا يؤمن بغير السبق الى الاصلاح والتجديد. ولذلك تحطمت من حولها قيود المجتمع العتيقة، وغدا بيتها مثلا يحتذى في السفور الرزين، والاختلاط الحكيم، والاستمتاع بالحياة في حدود الاحتشام والاتزان!!

ونشأت صاحبتنا في هذا البيت حرة طليقة تدين بمبادئه، وتسير وفق تعاليمه، فتقرأ مختلف الكتب والمجلات، وتناقش متنوع الآراء والمعتقدات، وتعامل الناس معاملة واحدة، لا تفرق فيها بين نساء ورجال. ولم تكن تدري انها بتلك المبادىء والتعاليم قد اختلفت عن لداتها، وتقدمت زمانها، فخرجت على عقلية متزمتة، لا تستسيغ سبقا الى الاصلاح والتجديد!

وانقضت طفولتها وهي تجهل الحقيقة المرة. ومرت بعدها سنوات الصبا بسلام.. ثم أقبل الشباب، فدخلت الجامعة واتصلت للمرة الاولى بالمجتمع الخارجي!

دخلت الجامعة مطمئنة النفس، فلم تكن في نظرها الا مرحلة ثانية من مراحل الهدوء والاستقرار. لم تكن تعرف أن التقاليد السائرة اذ ذاك تتطلب منها ان تسدل على وجهها ستارا من الحياء المفتعل، وأن تحيط تصرفاتها بجو من التزمت المصطنع، وأن تظهر بما لا يتفق مع تربيتها ونشأتها،

فتقاطع الزملاء الذين تضمها واياهم حجرة واحدة ، وتنفر من الاخوان الذين تربطهم بها صلات العلم الخالدة ! !

لم تكن تعرف شيئا عن هذه التقاليد .. ولذلك اقبلت على حياتها الجديدة ، ولا جديد فيها بالنسبة اليها ، فابتسمت فى سرورها ، وقطبت فى غضبها ، ومارست الالعاب الرياضية ، وتعرفت بالزملاء ، ودعتهم الى بيتها تحت رعاية أهلها وناسها !!

وارتفع حولها ضجيج خبيث ، وكشر الرؤساء عن انيابهم غضبا ، وانتعشت صغار النفوس بالكذب والادعاء ، وسلقتها وريقات رخيصة بالسنة حداد . فهبت ثورة هائلة ، خافت الزميلات أن ينالهن شىء من شرها ، فهربن منها ، وتركنها وحيدة حزينة حائرة ، لا تعرف ذنبا اتته او جرما جنته !!

*

وغدت فى تلك الايام اعجوبة الزمان ، اذا تحركت تبعتها العيون مستنكرة ، واذا تكلمت انصتت الاذان مستغربة ، واذا لعبت « التنس » اجتمع حول الملعب حشد كبير ، يرمقها فى عجب شديد ، وكأنها قرد يمرح فى حديقة الحيوان ! !

ويعلم الله كم شقيت وكم حزنت اذ ذاك ، فكانت تعود كل يوم الى بيتها منهكة الروح والاعصاب ، فتختلى فى حجرتها بالليل ، وتناقش النفس فى اعمالها وتصرفاتها ، وتبحث عن مواطن خطئها وضلالها ، فلا تجد الا ما يضاعف ايمانها بتعاليمها ومبادئها ! !

ومع ذلك كانت تضعف فى بعض الاحيان ، فتوشك على تغيير سياستها لتساير التيار ، فيهب كبرياؤها غاضبا ، ويهتف بها مؤنبا ، وينعتها بالجبن والخذلان ، فتستعيد قوتها من جديد وتقابل الثورة بأنفة وازدراء ! !

*

وهدأت العاصفة بعد سنوات ، فصفت السماء ، وانقشعت الغيوم ، واضاء الحق بنوره الوضاح ، فانقطع الذم والهجاء ، وتردد المديح والثناء ! !

وتمكنت المبادىء التى قاست المسكينة من اجلها . فبدا الاختلاط ضرورة لتقوية الروابط وتهذيب الاخلاق ، وغدت الولائم وحفلات التعارف شرعة طيبة تتبعها الكليات ، واصبح « التنس » رياضة الطالبات النشيطات ، بل وعقدت له بعد ذلك مباريات مختلطة تحت اشراف الاساتذة والعمداء ! !

وخرجت صاحبتنا من الجامعة ثم تبعتها زميلات جديدات ، فوجدن امامهن طريقا واسعا جميلا ، كانت قد شقته لهن بدموعها ، وعبدته بسعادتها وهنائها ، وتكبدت فى سبيل تجميله آلاما واحزانا ! !

وانسدل ستار الزمن بضع



أمهات المستقبل

جانب من مظاهر النشاط لفتيات الجيل فى ميادين الرياضة . . انهن يلعبن الآن « الهوكى » وكرة السلة وغيرهما من ضروب الرياضة العنيفة التى كانت مقصورة على « الجنس النشيط » . إننا نأمل خيراً كبيراً فى هؤلاء الفتيات اللاتى توافرت لهن أسباب الصحة والثقافة والخلق الكريم

سنوات ، ثم ارتفع ثانية وبيدها خطاب تقرؤه .... كان الخطاب من هيئـة كريمـة ، تدعوها الى زيارة مقرها ، لتتسلم شارة ذهبية ، اعترافا بجهودها فى نشر الرياضة بين الجامعيات ، وتدعيم روابط الأخـوة بين الطلبـة والطالبات !

حاولت أن ادفعها الى الذهاب لتسلم الشارة المذكورة ، فأبت أن تفعل ، ورفضت بعد ذلك ان تتحرى عما تم فى امرها ، ولكنها حزنت كثيرا يوم قرأت ذلك الخطاب ، فقد ذكرها بصور كانت تود أن تنساها !

ويذكر الناس عهد الدراسة بحنان .. اما هى فلا تشاركهم فى شعورهم ، وتخاف أن تستعيد فى ذهنها شيئا من ايامها ، ولكنى افدت كثيرا من اتراحها ، واخذت من حياتها درسا قيما ، تعلمت منه ان الاصلاح لا يتأتى الا بجهود الافراد ، وجهود الافراد لا تنجح الا بالتضحية والصبر والشجاعة فى مجابهة الآلام والاحزان ، فالآلام والاحزان نصيب البادئين بالتقدم ، ومثلهم فى ذلك مثل طليعة الجيش التى تتلقى النيران بصدور ابطالها من اجل تحقيق اهداف الوطن ، واعلاء شأن البلاد !!

❋

كنت فى فجر شبابى شديدة الثقة بالناس ، آخذهم بظاهرهم ، واحكم على اخلاقهم بما يتبدى امامى من اقوالهم وافعالهم ، على اعتبار ان الوجوه مرآة صادقة لما فى القلوب !

وبدافع من هذه الثقة العمياء ، اخترت من بين معارف أصدقاء ، ظننتهم نبلاء ، فاخلصت لهم الوفاء .... كانت حياتهم موحشة فآنستها بعطفى ، ونفوسهم كسيرة فقومتها بحنانى ، وقلوبهم فارغة فملأتها بأخوتى ، وايامهم مظلمة فانرتها بصحبتى !

❋

وانسدل ستار الزمن بضع سنوات ، ثم ارتفع ثانية ونحن جميعا نخوض غمار الحياة بما فيها من اختبارات وامتحانات ، فكشفت القلوب عن سترها ، وتبدت النفوس على حقائقها ، واختبلت العقول لاتفه الماديات ، فرخصت المعنويات فى سوق المعاملات !

سخرية !

ضاقت مرة « لادى استور » وهى أول سيدة اشتركت فى مجلس العموم البريطانى ، بالأعضاء الذين كانوا كثيراً ما يتجهمون عليها ويتكتلون ضدها ، فتقف وحدها تناقشهم بالحجة حيناً وبالسخرية حيناً - ضاقت بهم ، فقالت فى تهكم لاذع : « انى أعرف شؤون الأطفال معرفة تامة » فقال بعضهم : « طبعاً لأن لك أطفالا » فقالت : « لا .. بل لأنى أقابل ستمائة طفل كل يوم فى البرلمان ! »

وتلقيت الصدمة دون تمهيد لها ، ورأيت القبح في صور طالما اعجبت بجمالها . فأوجعني قلبي لصدمتي ، وضاق صدري بمحنتي ، فرحت أعالج النفس من جراحها بلومها على تسرعها في ثقتها ، وذكرتها بقول الغزالي : « من لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر بقي في الحيرة والعمى ! »

وشفيت بعد زمن قصير ، ولكن المحنة انهكت قدرتي على الوفاء ، واستنفدت ذخيرتي من العطف ، وعلمتني أن اكون بخيلة بقلبي ، لا اعطي منه الا قليلا ، ولا أتطلب له من الناس كثيرا ، عملا بالقول المأثور : « احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما ، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما ! »

ولكني في الحقيقة لم اتبع الا النصف الاول من القول ، اما نصفه الاخير فما زلت أنتظر من الحياة أن تعلمني كيف اومن بحكمته ! !

*

وكان لنا جار قريب ، واتاه الحظ ، فتقلد منصبا كبيرا ، وكسب جاها عريضا . . كنت أمر ببيته كل يوم ، فأرى الحجرات تعج بالزائرين ، والانوار تضيء للقادمين ، وصفوف السيارات تنتظر خروج المحبين والمريدين ، فيتملكني العجب لهذا الازدحام الذي لا ينقطع بالليل أو بالنهار ، واعزوه الى علمه وادبه ، فاطرب لتقدير الجماهير لخير الصفات والخلال !

واسدل ستار الزمن بضع سنوات ، ثم ارتفع ثانية فاذا بي امر عرضا ببيت جارنا المعهود ، فرأيت الحجرات خالية ، والانوار مطفأة ، ولا اثر لسيارة واحدة امام الباب ، فلما تساءلت عن علة الوحشة والسكون ، قيل لي ان الرجل خلي عن منصبه ، فهرب الاصدقاء من مجلسه ، وكف المحبون عن زيارته !

ومن جارنا العزيز تعلمت ان الناس عبيد الزمان ، اذا اقبل تبعوه ، واذا ادبر سبقوه . فلا يصح والأمر كذلك أن نسعد باقبالهم علينا ، أونشقى بادبارهم عنا ، فما هم في الواقع الا عصا تحركها يد الأقدار ، لتؤذينا او تحمينا كيفما تريد ووقتما تشاء .

ورحم الله ابن مقلة حين قال :

تحالف الناس والزمان
فحيث كان الزمان كانوا

أمينة السعيد

الشباب يتمنون : الحب ، فالمال ، فالصحة . . ولكن سيجيء يوم يتمنون فيه : الصحة ، فالمال ، فالحب ! (بول جيرالدي)

عـزم الشـبـاب ..

بقلم الأستاذ محمود غنيم

آمنتُ أن في الحمى شبابا
ينتزع الثناءَ والإعجابا
ويُسمع الصمَّ إذا أهابا

شاهدتُه وقد مشى أسرابا
يفتل للصناعة الأسبابا
مرتدياً من طهره جلبابا
منتضياً من عزمه قرضابا
فديتُ تلك الأيديَ الرِّطابا
إذ بُسطتْ تسأل الاكتتابا

مَن ناطحت أهرامُه السحابا
لم يُعيه أن ينسج الثيابا
لا تبتنوا القصور والقبابا
بل ابتنوا المصنع والدولابا
مَن يَبنِ مصنعاً بنى محرابا
إن تفتحوه تفتحوا أبوابا
ينصب منها الرغد انصبابا
لم أرَ شعباً بلغ الآرابا
وماله لم يبلغ النصابا

ضيوفُنا باتوا لنا أربابا
جاسوا خلالَ أرضنا ذئابا
وانتشروا في جوّنا ضبابا
واحتكروا الطعام والشرابا
فامتلكوا بذلك الرقابا
لغير مصرَ نيلُ مصر طابا
إذا شربناه فكان صابا
وشربوه سكراً مُذابا

ومن سوى الشباب يحمي الغابا؟
هو الذي يجاهد احتسابا
لا يبتغي أجراً ولا ثوابا
وغيره يقتسم الأسلابا
ويحرز الأموال والألقابا

شبابَ مصرَ حسبُك انتسابا
إنسَ الجدود واذكر الأعقابا
لا تسمُ ميراثاً بل اكتسابا
فالحر يدرك المنى غلابا

أضفْ إلى تاريخ مصرَ بابا
يحدث في صفحته انقلابا
أكلما سألته أجابا
كانوا رءوساً فغدوا أذنابا

الكولونيل عبد الستار

بقلم الاستاذ عباس علام



— ١ —

ولد فى عام ١٧٨٨ من ابوين فقيرين فى ناحية « الفقاعى » من اعمال مركز ببا مديرية بنى سويف ، ولم يدخل مدرسة ولا كتابا

كل الذى ادركه ورآه راى العين ورضعه مع اللبن ، ان البلاد واقعة فى ايدى طغمة من الفجار يدعوهم الناس « البيكوات المماليك » وان هؤلاء المماليك يملكون الارض وما عليها من خلق يسومونهم ،كما تسام البهائم ، وانهم يذبحون الآدمى كلما راق لهم أن يذبحوه كما تذبح الاغنام

وكانت المهنة التى أهله لها فقر والديه هى رعاية الغنم ـ غنم البيك صاحب المقاطعة وسيدها .. وهذه المهنة جعلت منه غلاما دائم التفكير كثير الاحلام . فكان شغله الشاغل اذا جلس الى العشاء ، ان يسأل والده عن معنى « المملوك » ، وكيف ينعكس المعنى فيصبح المملوك مالكا ..!.. وكان يعقب على سؤاله بأن الغنم تستسلم للذبح لانها خلقت لتطعم وتسمن

وتؤكل ، وانها لولا « الذابح » الذى يرعاها ويطعمها ويسمنها كى يذبحها لافترسها الذئب او نفقت من الجوع ، فالخالق لم يهبها عقلا تفكر به وتنظم نفسها وتنبت الزرع كى تطعم منه ، ولا سلاحا تدافع به عن نفسها .. اما نحن الادميين فما الذى يجعل حكامنا سادة علينا ، نجوع لنطعمهم ونفتقر لنغنيهم ونشقى لنسعدهم ، ويأمرون فنطرح على الارض كى نجلد او نذبح .. ! السنا من بنى الانسان مثلهم سواء بسواء ..؟.. ولم يكن يسع والده ـ لقاء ما يسميه ثرثرة ولجاجة وطول لسان من طفله ـ الا أن يتلفت حواليه ويجيبه « اسكت فان للجدران آذانا ..!.. واعلم ان الذى جعلهم سادة علينا هو انهم حملوا السلاح نيابة عنا ، فتولوا مهمة الحكم وحراسة البلاد والدفاع عنها ، كما تولينا نحن مهمة اطعام الغنم وحمايتها من غائلة الذئاب ..!»

فاذا جاء اليوم التالى ، وانبطح عبد الستار على الارض ، يحدق فى السماء وهو يرعى الغنم ، وجعل يستعيد لنفسه ما اجاب به ابوه ، خرج بنتيجة ان الحد الفاصل بين المملوك وعبيده ، هو انه يحمل سيفا ورمحا وبندقية وهم لا يحملون

وآه لو أمطرتنا السماء سيوفا ورماحا وبنادق .. اذن لحاربنا بها المماليك وأجليناهم عن بلادنا وحكمنا انفسنا بأنفسنا ..!

ـ ٢ ـ

عندما بلغ السادسة كان الاولاد فى سنه يصيدون العصافير بالفخاخ و « المخيط » .. اما هو فالة الصيد عنده « نبلة » يضع فيها الحجر الصغير ويصوبها الى الطير البعيد ، ثم يقذف بالحجر فيصيب المرمى .. ويهلل ، ويهلل له الاطفال

وبهذا تولى الزعامة على أقرانه فى السن

وكانت لعبته المفضلة ان يوقف الاطفال طوابير متراصة ، يفرق عليهم عصيا من فروع الاشجار والجريد يتبارزون بها ويتطاحنون ، ويقف هو منهم موقف الضابط المعلم .. ثم يصور لهم ان العصى سيوف ، وان العدو ـ وفى قرارة نفسه ان العدو هو البيكوات المماليك ـ قد اختبأ فى عيدان القصب او زراعة الذرة .. ويناديهم : « هجوم » فيهجمون وهو فى مقدمتهم ، ويحاربون العدو حتى يتغلبوا عليه

وظل يشب ويترعرع وتتمركز احلامه وتصوراته حتى بلغ العاشرة من عمره واصبحنا فى عام ١٧٩٨

ـ ٣ ـ

كان عبد الستار كسائر اهالى « الفقاعى » لا يعلم بوجود امة اخرى اسمها امة الفرنسيس ، وان لها جيشا هز الدنيا وزلزل الارض وملك ناصية البحر ، وان لهذا الجيش قائدا واسع الآمال اسمه نابليون طوحت به مطامعه

الى غزو البلاد المصرية ، قاصدا ان يتخذ منها مركزا لامبراطورية شرقية شاسعة الآفاق يتوج امبراطورا عليها ، ويصدر منها اوامره الى ملوك أوربا قاطبة ، فلما بلغهم انه هاجم الاسكندرية واحتلها ، فتحوا أفواههم دهشا اذ لم يكونوا يتصورون أن احدا آخر يستطيع ان يضع اقدامه حيث يضع المماليك اقدامهم . ثم ترامت اليهم الاخبار بان الجيوش الفرنسية تدفقت من الاسكندرية الى عاصمة الديار ، وان مراد بك « المملوك الاعظم » قابلهم بفرسانه فى امبابة فلم يصبر على قتالهم وولى الادبار الى الصعيد ، وان زميله وشريكه فى الحكم ابراهيم بك هرب الى سوريا دون ان يصطفق سيفه بسيف ! فعاد سواد الاهالى لا يصدقون هذه الاخبار ويطلقون عليها انها « شغل لارنجه » من الفرنسيين ، اما من يصطنعون العقل والفلسفة فقد قالوا انها خدعة حربية وان السيدين المملوكين قصدا ان يقوما بحركة التفاف واسعة النطاق ليحيطا بالجيش الفرنسى احاطة السوار بالمعصم ، ويمسكاه باليد ويلقياه فى البحر

وظل اهالى الفقاعى ينتظرون ما يكون من السيدين العظيمين وفرسانهما الامجاد . فاذا بالاول يوالى الهرب على مراى منهم منسابا فى الصعيد ، واذا وقف فانما يقف لكى يفرق بنادقه العتيقة على الصعايدة ، يحاربون بها المدافع الفرنسية البعيدة المرمى فيحصدهم الموت حصدا ، وتحرق بلادهم وتخرب اراضيهم ، ريثما يوغل هو فى الهرب ويكون بمأمن ممن يطاردونه . . واذا بالثانى قد تبخر فى بلاد الشام وانقطعت اخباره

وبالعكس جاءت الاخبار عمن لم يكن احد ينتظر ان تكون لهم اخبار فى الحرب والقتال . فتواترت على اهالى الفقاعى مواقف السيد محمد كريم فى الاسكندرية ، والسيد عمر مكرم وحجاج الخضرى وعلماء الازهر فى العاصمة . والشواربى فى القليوبية ، وابى شعير فى المنوفية ، وابى قورة وطوبار فى الدقهلية . . ولم يكن فيهم احد من السادة المماليك المغاوير ، بل كانوا جميعا من الفلاحين فعلا أو منبتا . كان كل منهم يرفع علم الثورة فى منطقته ، ويدفع الجيش الفرنسى عن بلاده . ولم يكن لاحد منهم سابق عهد بالحرب وتنظيم الصفوف ، ومع ذلك فقد اذاقوا الفرنسيين الوبال

ـ وعاد عبد الستار ينبطح على الارض ويحدق فى السماء مناجيا احلامه . . واذا بابيه يقف عند راسه ويخاطبه ضاحكا :

ـ اصح ايها الغافل النائم . . فان الراعى يجب أن يكون يقظا مفتح العينين ، والا شردت غنمه

ـ ان لى عينين اتطلع بالواحدة منهما الى السماء أستلهمها الوحى ، وأحرس بالثانية غنمى

من الشرود .. اما راعيكم انتم فماذا فعل بعينيه ..؟.. لقد أبقاهما مغمضتين الا عن شهواته. فلا هو تطلع الى السماء واستلهم منها الوحى، ولا هو واجه الذئب ودفعه عن أغنامه . . كل الذى فعله أنه ترك الغنم للذئب يفترسها وولى الادبار !

ـ انه القضاء والقدر يا ولدى، ولعل الله فى ذلك حكمة

ـ اتريد ان تعرف حكمة الله فى ذلك يا أبى..؟..اسمع ماذا قالت لى السماء .. قالت انى سلطت عليكم الذئب ليوقظكم عواؤه من نومكم الطويل ، وتلمسوا بايديكم ان راعيكم ليس هو الحارس الذى يؤتمن ، ولتعلموا انكم لستم قطيعا من الاغنام بل أنتم آدميون من خير الآدميين .. فعليكم ان تحكموا انفسكم بانفسكم وان تدافعوا عن انفسكم بانفسكم

ـ ندافع عن انفسنا بانفسنا ! ولكن اين السلاح ..!؟ على كل حال قم والعب مع اخوانك كما تقتضيه سنك ، ودع المقادير تجرى فى اعنتها ولا تبيتن الا خالى البال ..

ـ عندى سؤال حيرنى : اين يسكن الآن أمثال السيد محمد كريم والشواربى وابى شعير وغيرهم ممن شنقهم الفرنسيون لانهم جاهدوهم ، وممن قتلوا فى الجهاد .. اتظنهم يقيمون فى الجنة ام فى النار ..؟

ـ انهم فى جنة الخلد ولا شك لانهم ماتوا فى سبيل الله

ـ اذن أقوم والعب ، فلعل لعبى ينتهى بى الى الجهاد ، ولعل جهادى تكون خاتمته الجنة

ونهض عبد الستار نشطا ونفخ فى « البروجى » الذى يلازمه معلقا فى عنقه ، يدعو زملاءه الصغار الى اللعب

ـ ٤ ـ

كان قد خيل لنابليون أن الريح طابت له ، وأنه اصبح قابضا على زمام الموقف فى الوجه البحرى وفى القاهرة ، فوجه حملة عسكرية كبرى الى الصعيد جهزها بكافة معدات القتال ووسائل النقل . وولى الجنرال ديزيه قيادتها العامة ، وعززه بزهرة القواد الفرنسيين ونخبتهم ، ولم يغفل ان يبعث معه باسطول بحرى قوى يسير فى النيل الى جانب الحملة البرية ، فأمدها بإثنتى عشرة سفينة حربية تقل ذخائر الجيش ومؤونته . وعقد لواء الاسطول للقومندان موراندى ، وأعطاه سفينته الحربية الخاصة «ايطاليا» وكان يعز هذه السفينة ويستبشر بها ، لانه اطلق عليها اسم أول بلاد ارتفع فيها نجمه، وسجلت عبقريته فى القيادة والادارة

ـ ٥ ـ

هلت طلائع الجيش البرى على « الفقاعى » وكان يقوده الجنرال ديزيه بذاته، وادهشها أن سمعت صوت النفير عن بعد ، فتجهزت للقتال، واعدت مدافعها وانقسمت

كتائب تتسلل بين النخيل فى حرص وحذر ، فاذا هى تشرف على بضعة من الاطفال واقفين فى هيئة طابور وعلى اكتافهم فروع الاشجار ، واذا بطفل يقف فى مقدمتهم ويناديهم : « هجوم » ، ثم لا يكاد يندفع حتى يلمح الجنود الفرنسية بمدافعها فيصيح : « قف ..! »

ويتقدم منه الجنرال ديزيه :

ــ ماذا تعملون ..؟

ــ نلعب ونتمرن على محاربة العدو

ــ ومن هو العدو ..؟

ــ المماليك ..!

ــ آه ، فليس عدوكم هو نابليون وجيوشه الجمهورية ..؟

ــ عدونا الحالى هم المماليك.. فاذا تغلبنا عليهم وبقيتم أنتم بعد ذلك لم يعد لنا عدو سواكم

ــ وتحاربوننا ..؟

ــ طبعا .. فنحن نحارب كل من يعتدى علينا

ــ من أنتم ..؟

ــ انا وهذا الجيش ..!

ــ وأين سلاحكم ..؟ انظروا الى سلاحنا ..

وامر ديزيه فاطلقت البنادق فى الهواء وقصفت المدافع كالرعد

ــ أنظر.. ان جيشك قد ادركه الرعب واصطكت اسنانه ..!!

ــ اما انا فكما ترى ..!.. وعندما اصبح رجلا سيكون لى جيش لا يدركه الرعب ولا تصطك اسنانه !

ــ كم سنك ..؟!

ــ عشرة اعوام ..

ــ أنت غلام شجاع وانا احب الشجعان .. اتود أن تلحق بجيشى ..؟

ــ باية وظيفة ؟

ــ ما هو عملك الحالى ..؟

ــ رعاية الغنم

ــ اعينك فى سلاح الفرسان تسوس الخيل

ــ كنت اود ان اكون قائدا للمدفعية ، ومع ذلك فلا باس ان اكون قائدا للفرسان ..!

قهقه الجنرال ديزيه ، وقال :

ــ اذن فانت كولونيل فى سلاح الفرسان ..!.. ما اسمك ..؟

ــ عبد الستار

ــ فانت من الآن الكولونيل عبد الستار ..!.. هل تود يا حضرة الكولونيل ان تلحق جيشك معك بسلاح الفرسان ؟

ــ لا لا ، انى لا احب من يدركهم الرعب وتصطك اسنانهم .. وسأسرحهم الى اهليهم

وصاح فى الصبيان :

ــ دستور ..!

فتفرقوا ..

ــ ٦ ــ

اصبح عبد الستار فتى الجنرال ديزيه المدلل ولعبته المفضلة ، وكان يتنقل معه فى بلاد الصعيد ويسرح ويمرح فى وسط الجيش بلا حسيب ولا رقيب ، فاذا ساله الجنرال : « هل تنال كفايتك من الطعام ؟ » اجابه : « حسبى كسرة خبز وشربة ماء .. فلن

انسى انى نشأت راعى غنم ، وان كنت قد أصبحت الآن «كولونيلا» فى سلاح الفرسان ..! »

وكثرت شكوى الجند بأن بعضهم يفتقد سلاحه فلا يجده، وبلغت الشكوى مسامع الجنرال ديزيه فاطلق العسس الى ان ضبط عبد الستار يتسلل ببندقية وذخيرتها فى منتصف الليل .. وجىء به الى الجنرال :

ــ لماذا سرقت البندقية يا عبد الستار ..؟

ــ لا اعدها سرقة احاسب عليها امام الله .. واستطيع ان ادعى انى كنت اقصد التمرن على ضرب النار ، ولكنى ماكذبت فى حياتى فلا أكذب عليك

ــ اذن لماذا أخذتها ..؟

ــ لانى كنت احدق فى السماء فجاءنى الامر ان آخذها !

ــ ولماذا تأخذها ..؟

ــ لاادرى .. امرت ان آخذها فصدعت بالامر !

ــ اصدقنى القول ما دمت تدعى انك لم تكذب ولا تحب ان تكذب .. من ذا الذى اوعز اليك بأخذها ..؟

ــ السماء ..!

ــ كم اخذت قبل هذه البندقية ..؟

ــ لا اتذكر

ــ ولمن اعطيتها ..؟

ــ لم اعطها لاحد

ــ اذن فاين أودعتها ..؟

ــ لا اتذكر

ــ ان جزاءك هو الاعدام ..

ومع ذلك فانى أشفق على غلام لم يكد يبلغ العاشرة من عمره أن يعدم .. خذوه فاجلدوه ثلاثين جلدة

وقيد عبد الستار الى جذع شجرة وعرى من ثيابه وارتفع السوط فى الهواء . رفعه جندى موتور من « الكولونيل »وكبريائه على الجنود ، ومما كان يسلبه من اسلحته واسلحة زملائه .

ونزل السوط يهوى على جسم الطفل المهزول الضعيف ، فلا يرتفع الا بعد أن يشق فى ظهره اخاديد تسيل منها الدماء

كل هذا والطفل لا يستخذى ولا يسترحم ولا يصيح ولا يبكى او يتأوه،بل ولا يهتز أويتململ !

ولا يحسبن القارىء أن منشأ قصتى هذه عن « الكولونيل عبد الستار » هو الخيال وحده . فقد رواها الجنرال بليار فى يومياته Journal du General Billiar وهو قد شهد ما كان من استبسال بطلنا وشموخه وعزة نفسه وقتما حوكم وجلد . وعقب على الرواية بانه « غلام نادر المثال لو وفق لمن يعنى بتعليمه لكان منه رجل من عظماء الرجال »

قال الجنرال بليار ذلك لانه لم يعلم ان عبد الستار لم يكتب له أن يعيش حتى يبلغ سن الرجال اذ مات عقب هذه الحادثة، ومات شهيدا كما يموت الابطال !

ــ ٧ ــ

اعتزم الصبى بعد جلده ان يعود لأهله .. ففاجأ لفيفا من

رجال القرية ذات ليلة وهم يتحدثون في مغارة ، وابتدرهم بقوله :

ـ اني أعذركم اذ كففتم فجاة عن الكلام عندما رايتموني اقتحم عليكم هذه المغارة ، واصفح عن حسبانكم اياي جاسوسا بعد أن رايتموني أتنقل مع الفرنسيين. وهاكم آثار جاسوسيتي ترونها على ظهري .. والآن اسالكم : « بماذا نويتم أن تحاربوا الجيش الفرنسي ..؟.. ابهذه السيوف التي علاها الصدأ وبهذه البنادق التي لا تنطلق ، واذا انطلقت لم تصب الهدف !؟ .. لقد جئتكم بالسلاح .. السلاح الحقيقي .. السلاح الفرنسي الذي يستعمله جيش بونابرت. جئتكم بالبنادق الكثيرة وبثلاثة مدافع وبذخيرة تزيد على الكفاية .. لقد كنت أسلب هذا كله من الجيش الفرنسي وكنت اخفيه في مغارة قريبة من هنا ، الى ان ضبطوني وحكموا على بالجلد .. سادلكم على مخبأ السلاح لتدركوا صدق قولي .. وساضع نفسي رهينة في أيديكم الى ان يتبين لكم وجه الحق من كلامي .. غير انى لن أفعل شيئا من ذلك قبل أن أعرف لحساب من تحاربون الفرنسيين وتقفون في وجوههم ..!.. الحساب مصر والمصريين ، أم لحساب المماليك الذين كانوا أسدا عليكم ثم تحولوا نعامة في الحرب ..!؟ »

صاحوا : « لقد تركنا لشاننا ولن نعود الى المماليك بعد أن خلصونا من انفسهم وخلصنا الله منهم ومن شرهم .. ونحن الآن نجاهد من اجل مصر وحدها .. نجاهد لنحكم أنفسنا بانفسنا .. ولكن اين السلاح الذى تتكلم عنه ..؟ »

قال عبد الستار : « قبل أن اريكم السلاح اود ان أرشدكم الى الطريقة التي تستخدمونه بها .. ولا تستكبروا ان يرشدكم غلام صغير مثلى ، فاني لم ارافق الفرنسيين واخالطهم واشهد مجالسهم عبثا .. لقد تعلمت اشياء كثيرة وادركت من فنونهم ما هو اكثر .. ان الجيش البرى ـ وهو الكثرة العظمى من الحملة الفرنسية ـ لا يستغنى عن الاسطول البحرى لان زاده وعتاده في الاسطول ، وهو لو جرد من الاسطول لاستطعنا ان نصيده كما تصاد الفيران . كذلك الاسطول لا يستغنى عن الجيش البرى لانه يسير في حراسة الجيش .. ونحمد الله اذ قضت الظروف وطبيعة الارض أن يفترق الجيش عن الاسطول وتبعد المسافة بين « الاعمى والمقعد » .. فالاسطول الآن متجمع في نجع البارود ، اما الجيش ففي أسيوط. تعالوا نهاجم الاسطول ونعطبه. فيتخاذل الجيش وينسحب

ـ ٨ ـ

ونفذت الخطة البارعة التي وضعها « الكولونيل عبد الستار ». فبعد أن استحوذ الشبان على السلاح الذى ادخره لهم في المغارة،

انقسموا فريقين سار كل فريق فى جنح الليـل على ساحل من ساحلى النيل الى أن تلاقيا فى نجع البارود، ولم يشعر الاسطول الاوالنار تنصب عليه من الجانبين. وقد ازعج البحـارة والضبـاط والقواد أن رأوا النار التى تطلق عليهم نارا فرنسية ، لا تقصر عن المرمى ولا تخطىء الهـدف . . وابلت سفينة القيادة « ايطاليا » بلاء حسنا، فاطلقت مدافعها على المهاجين وحصـدت منهـم من حصـدت ولـكن البـاقين من البواسل الشجعان استطاعوا أن يسبحوا فى النيل ويقفـزوا الى السفن الاخرى فيستولوا عليها ويقتلوا كل من فيها من جنـد وضباط ، ثم صوبوا المدافع منها الى « ايطاليا » سفينة القومندان الاكبر ، وما زالوا يطلقون النـار عليهـا الى ان أصيب مستودع البارود فيها فنسفت ومات كل من عليها وفى أولهم موراندى

- ٩ -

عندما بلغت أخبار هذه الموقعة الى نابليون ، اظهر حزنا شديدا ودق كفا على كف . ولان باخرته التى اطلق عليها اسم « ايطاليا » نسفت ، تشاءم وصـاح : « ان فرنسا قد فقدت ايطاليا . . ان شعورى لا يكذبنى »

وفى الواقع ان شعوره لم يكذبه، ولكن الذى فقدته فرنسا من وراء انكسارها فى هذه الموقعة لم يكن « ايطاليا » كما توقع نابليون بل كان « مصر »

اما البطـل « الـكولونيـل عبد الستار » فقد مات من قنبلة أصابته فمزقته . . ومات وهـو يصيح : « نحن نحارب من اجل مصر وحدها . . فمصر للمصريين وليست لاحد سواهم . . »

عباس علام

شباب النفس . . لا الجسم !

كان السياسى الأمريكى « جون آدمز » فى أواخر أيامه يسير فى أحد شوارع مدينة « بوسطن » بخطوات بطيئة تنم عن الضعف والاعياء، فقابله صديق قديم له وصافحه بهز يديه المرتعشتين المهزولتين، وهو يسأله : « كيف حال جون آدمز الآن ؟ »

فأجابه السياسى العجوز : « جون آدمز فى أحسن حال ، أشكرك.. لكن « البيت » الذى يقطنه قد بدأ يتهدم، ويتهاوى انقاضاً من أساسه.. إن الزمن قد دمره وحطم سقفه وزلزل جدرانه ، حتى صارت تهتز لأقل عاصفة ، ولم تعد تصلح للسكنى . . وأعتقد أن جون آدمز سوف ينتقل منه إلى دار أخرى قريباً . . أما هو نفسه ففى أحسن حال !.. »

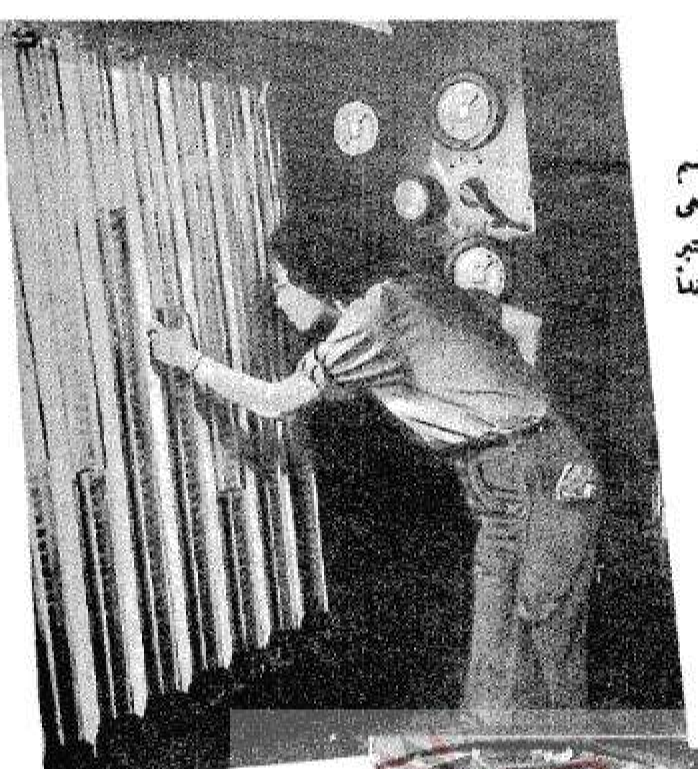


انها تفضل العمل الشاق بين ضجيج الآلات على الاشتغال بالأعمال الكتابية

الشائع في الاذهان أن المرأة لم تخلق للأعمال الهندسية والميكانيكية .. وانها اذا نبغت في الطب أو التدريس أو المحاماة ، فانها لن تقوى على مجاراة الرجل في ميادين الهندسة والصناعة

ولكن كثيرا من الفتيات في أوربا وامريكا درسن الهندسة في الجامعة ، ثم اقتحمن ميادين الصناعة فسرن فيها مع الرجل جنبا الى جنب ، مدللات بذلك على أن « الجنس اللطيف » يستطيع أن يجاري الرجل في اشق الاعمال . وقد اصبح منظر الفتيات في حلل العمل الزرقاء بجوار الآلات و « الدينامومات » في المصانع والمعامل امرا مألوفا في كثير من البلدان الاوربية والامريكية

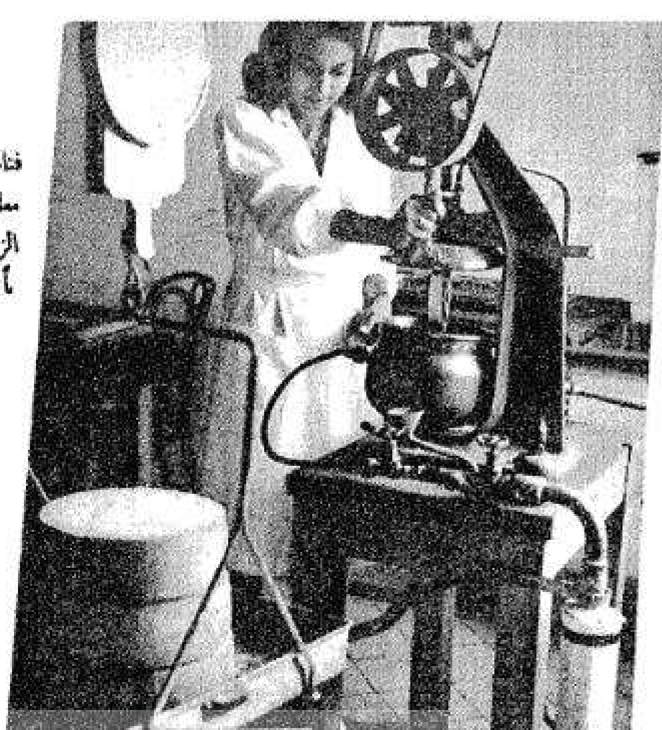
وتقبل شركة « جنرال اليكتريك » الامريكية المعروفة كل عام عددا من خريجات كلية الهندسة في مصانعها ومعاملها ، بعد أن يجزن امتحانات عملية خاصة تعقد للمتقدمين من الشبان والشابات على السواء .. ثم يدربن ـ كما يدرب زملاؤهن الشبان ـ في جميع اقسام الشركة بعض الوقت ، كي يلحقن بالوظائف الملائمة لمواهبهن الفطرية ، على ضوء التقارير التي يكتبها عنهن رؤساء الاقسام والمشرفون عليها . وعلى الرغم من أن العمل في بعض هذه الاقسام يقتضي تلويث المشتغلين بها بالزيوت والشحم ، كما يقتضي السهر ساعات طويلة لمراقبة الآلات وتشغيلها ، فقد لوحظ اقبال كثير من الفتيات عليها ، وتفضيلها على الاعمال المكتبية



عندهم ..

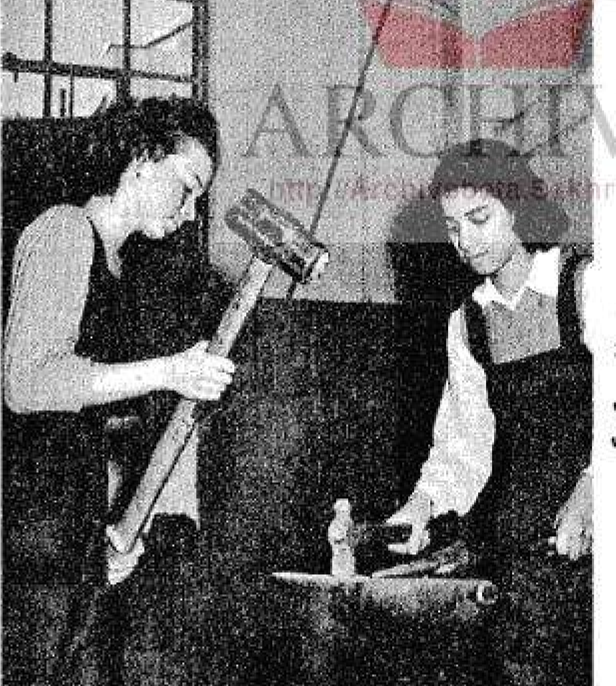
تعمل هذه الفتاة فى قسم الأجهزة الكهربائية. وهى تبدو فى حلتها الزرقاء تختبر جهازاً كهربائياً معقداً

إحدى المهندسات الأمريكيات، تراقب سير الآلات فى إحدى المؤسسات الكبيرة



.. وعندنا

فتاة مصرية تتدرب فى معامل الألبان بكلية الزراعة بجامعة فؤاد الأول تأهباً لغزو ميادين الصناعة



تشتغلان بالمطرقة والسندان بكلية الهندسة بالجيزة ، بنشاط لا يقل عن نشاط زملائهما الشبان



شبابهن الحائر..

بقلم السيدة بنت الشاطئ

« أى مكان يطمئن بهذا الشباب الحائر ؟ أإلى البيت ... أم إلى معترك العمل.. أم بين بين ، نصف هنا ونصف هناك، وذاك هو أوجع التمزق ، وأقسى القلق ، وأشق الحيرة والاضطراب ؟ »

بضعة الوف من الفتيات، في ميعة الصبا وعز الشباب ، ترهقهن اليوم من أمرهن ومن أمر الدنيا حولهن ، حيرة اليمة قاسية ، تمزج المر بحلاوة الشباب النضير، وتنهك الحياة الغضة بصراع محتدم مرير ...

بضعة الوف من الفتيات ، هن زهرات الجيل الجديد ، وزين شاباته اليافعات ، والصفوة الخالصة من اناث الطبقة المتوسطة التي لم يذلها فقر ولم يفسدها ترف ، يقفن اليوم في مفترق الطرق حائرات متعبات، لايدرين ايمضين الى يمين ام الى يسار ، ومن امامهن مجاهل ومتاهات، ومن حولهن ضجيج وضباب ، لايميزن فيه صوتا هاديا ، ولا يلمحن معه على الافق معلما ...

بضعة الوف من الفتيات ، مزهوات بما نلن من ثقافة وما بلغن من تعليم ، اثر امية فاشية وجهالة عمياء ، يعنين اليوم بهذا الذى نلن ، ويعشن به حائرات في شبه عزلة ، في عالم غريب له مقاييسه التي تنكرها كثرة الناس، وموازينه التي لا تعترف بها الدنيا من حولهن !

*

هؤلاء هن فتيات الجيل الحاضر من بنات الجامعة، ومعاهد الثقافة العالية ...

لا اتحدث عما لقين في طريقهن الطويل الشاق بين متاهة الامية، وقاعات الدرس الجامعي ، ولا اسجل ما دفعن من غرامات الانتقال وما حملن من اثقاله واوزاره، ولا اروى مآسي الضحايا اللواتي اعياهن السير الطويل فتهاوين على طول الطريق ، ولا اشير الى ما احتملن من ارهاق وضلال ، منذ استجبن الى الدعوات المرتجلة ، وتبعن الاصوات المختلطة ، محرومات من القيادة الراشدة والتوجيه الامين

لا اتحدث اليوم عن شيء من ذلك ، ولا اصفه ، ولا اروى مآسيه ، وانما اتحدث عن شبابهن الحائر ، يقف اليوم على باب الدنيا ، وما يدرى الى اين المسير

اعودة الى البيت ، ام خروج الى ميادين الاعمال ؟

أرجعة الى حياة الامهات ، ام انطلاق الى جديد الآفاق ؟

أرضا بادارة المنزل وتربية الابناء ، أم تطلع الى لذات الحياة العصرية الطليقة الشائقة ؟

أاصغاء الى صوت الفطرة واستجابة لنداء الطبيعة، أم تلبية للدعوات المستحدثة ومضى مع التيار الجديد ؟

أم لعل هناك مكانا وسطا ، له نصيب من نعمة الامومة ، مع حظ من امجاد الظفر في دنيا الاعمال ؟

حيرة ترهق شبابها
وهم تعنى به ليلها ونهارها

*

كانت تنتظر نعيم الاستقرار اثر كفاحها الدراسي الشاق الطويل ، وترجو حظا من السكينة وراحة البال يوم تفرغ من كدها

فى الدرس والتحصيل ، وتتطلع الى ذلك اليوم لتعرف أين المصير المرجو ، لكنها وصلت فلم تجد سوى حيرة تتلف اعصابها ، وتذهب بما بقى من قواها ...

الم يملأوا اذنيها بدعوى المساواة بين الجنسين ، ويقولوا لها انها غدت كالرجل ، سواء ...

فما بال زميلها الشاب لا يكاد ينتهى من تعليمه حتى يبدأ مرحلة الاستقرار ، ويأخذ طريقه نحو الحياة التى أرادها أوارادتها له ظروفه ، مستثمرا فى عهده الجديد متاعب التعلم ومشاق الكفاح الاول ؟

ما باله يستمتع وحده بحق اختيار الشريكة التى يرضاها زميلة حياته ، وأم أولاده ؟

أما هى ...

فما أبعد ما بينها وبين الاستقرار ! وما أتاها عما سموه الحرية والمساواة ؟ !

*

أى مكان يطمئن بشبابها الحائر ! ؟

الى البيت ، ووداعا يا لذة السبق والنضال ، ويا امجاد الكسب والظفر ؟

أم الى معترك العمل ، ووداعا يا جمال البيت ، ويا أنس الزوجية ونعمة الأمومة ؟

أم بين بين ، نصف هنا ونصف هناك ، وذلك هو أوجع التمزق ، وأقسى القلق ، واشق الحيرة والاضطراب ؟ !

وأنى لها شىء من ذاك ..؟

انها ان غالبت التيار الجديد وعصيت على الاستهواء ، ورضيت بالرجوع الى البيت — على ما فى ذلك من مشقة على مثلها — ساورها ضجيج الدنيا من حولها ، وخايلتها أضواؤها ، ولاحقها صياح الهاتفين بالتحرر والانطلاق ، فأفسد عليها نعمة السكون الى الحياة الهادئة فى بيتها ، وجعلها تئن من أعباء الأمومة ومسئوليات الزواج

وان جاهدت للتخلص من سلطان الوراثة ، والتمرد على ما فى فطرتها من شوق الى الأمومة ، وراحت تمارس العيش الكادح فى الميدان : كاسبة ظافرة ، نائية عن الخمول والجمود ، خذلتها طبيعتها فى جهادها هذا كما يخذلها الناس من حولها ، ثم لا تكاد تملأ يديها من الامجاد الجديدة حتى تغشاها الحيرة والكآبة ، ويسودها السأم والضجر ، وتمسى حياتها — بعد الشباب المضيع — عذابا مرا لا تحتمل معه الحياة !

واذا مضت تحترف مع الزواج ، ضيعت من بهجة العيش فى بيتها ما لا يعوضه عملها الخارجى ، ولم تغن مع ذلك فى هذا العمل الذى اشترته بنصف حياتها ، وعاشت عيشة ممزقة موزعة ، لا تلقى فيها الا العناء والقلق ، والشكوى الملحة من تقصيرها هنا وهناك

ويتحدثون هنا عن الرجل ، يجمع بين العمل والزواج دون أن يلقى فى ذلك الجمع حيرة ، أو يجد

عناء . وتلك مغالطة مكشوفة تعرى نفسها، فالرجل بطبيعته ـ او بالوراثة الطويلة على مر الاجيال ـ يجلد للنضال ، وتجد طبيعته فيه لذتها وراحتها ، على حين لا تقوى المراة على مثل هذا الا فترة قصيرة محدودة ، ثم لا تلبث ان يدركها الاعياء ويضجرها الملل

ثم ان عناء الرجل خارج البيت، يرى من حقه ان يجد ما ينسيه اياه فى بيته ، وتلك كانت مهمة المراة من قديم الزمان ، فماذا تلقى المراة الجديدة العاملة حين تعود الى منزلها آخر النهار ؟

سلوا المحترفات . . .

سلوهن عن الزوج الشاكى الضجر الملول ، وعن الاطفال المهملين المضيعين . . .

سلوهن عن البيت المهجور ، والمسكن الموحش ، والرزق المنتهب

وهناك فى الميدان الآخر . . .

هناك عمل مبتور لا يبلغ حظا من الاتقان ، ولا يدرك غايته ومداه ، وزملاء ناقمون شاكون ، ورؤساء متذمرون يضيقون بالاعتذار ، ويبرمون بأدنى التقصير ، وينكرون التاخر ولو كان لمقاضاة زوج هجر ، او دفن طفل مات ، او وضع وليد جديد يسلم الى المراضع ، او يودع فى دور الحضانة كما توضع العربة فى (الجراج) . . . .

اى صوت يسمع هذا الشباب الحائر ؟

هنا صيحات تصف لها ما عانت امها فى عهود الظلم وآباد الظلام ، وتزين لها الانطلاق الى حياة حرة طليقة، تكفيرا عن خطيئات الاجيال التى حجرت على حريتها وسخرتها لمطامع الرجال . . .

وهناك اصوات تناديها ان تعود الى عز الخباء وكرامة الصون ، وتحذرها ان تسلم نفسها ، وحياتها ، الى ضجيج السوق ، وغبار الطريق ، وهوان الامتهان

والمراة ــ فى شبابها الحائر ــ تسمع هذا الصوت وذاك، فيتشابه عليها الامر ! اى الفريقين عدو لها وايهما الصديق ؟

اى الحزبين يصدر عن هوى ، وايهما يصدر عن صدق واخلاص؟

ام لعل الامر كله زور ووهم ، فليس هناك عدو وصديق ؟

هى فى حيرة من امرها لاتدرى الاصوات المختلفة المتناقضة تاتيها من كل مكان . . . .

تاتيها من يمين ومن يسار . .

وتاتيها من اعماق فطرتها السليمة ، ومن عقلها الناضج . .

تاتيها من ميراثها النفسى والعصبى ، ومن ثروتها العقلية المستحدثة، وشخصيتها الجديدة

وهى الشقية بتلك الحيرة . .

اما امهاتنا من قبل فقد ارتحن الى هدى الفطرة وسعدن بها

واما بناتنا من بعد ، فيريحهن الزمن من مثل هذا الشباب الحائر . . او هكذا نرجو ونأمل

بنت الشاطىء (من الأبناء)



حالة نفسية واقعية لشاب مصرى

كان يوسف ـ وليس هـذا اسمه الحقيقى ـ فى نحو الثلاثين من عمره ، ذكيا ، متواضعا ، هادئا ، حسن الاخلاق . تخرج فى احدى كليات جامعة فؤاد وتوظف فى احدى مصالح الحكومة، وبلغ مرتبه من الجنيهات المصرية،عند وقوع الحادث المؤلم الذى سنرويه للقراء ، ما بلغه عمره من السنوات . وكان كل من مرتبه ووظيفته لا بأس بهما ، اذا قيس بغيره من زملائه ، ولكنه برغم ذلك لم يكن راضيا عن نفسه، فعاش حزينا مهموما. وذلك لانه لم يفكر يوما فى الموازنة بين نفسه واقرانه فى المصلحة ، ولم يخطر بباله راتب هذا او وظيفة ذاك ، ولكنه كان يتطلع الى اخويه الشقيقين ، ويوازن بينهما وبين نفسه، كان كل منهما أصغر منه سنا. تخرج احدهما فى كلية الطب ، وارسل فى بعثة للدراسة فى انجلترا ، فنال منها درجة لم يحظ بها من المصريين الا القلائل. وتخرج الثانى فى كلية الطب كذلك ، وعمل كلاهما فى مستشفى واحد . فدبت الغيرة فى نفسه،وكاد يحترق جسمه من الحسد ، ولكن احدا لم يقرا على ملامحه ، او يكتشف فى مسلكه ما يشتم منه الغيرة او الحسد

بيد أن يوسف ، قبل بدء حوادث القصة بسنوات ثلاث أو أربع ، كانت تبدو عليه مسحة من الكآبة ، وميل للوحدة ، وعدم اكتراث لما يجرى حوله. وكانت امه واخوته وأخواته فى بادىء الامر لا يعيرون مسلكه الشاذ شيئا من الأهمية، ظنا منهم انه لون من الوان الاتزان والرزانة واكتمال الرجولة . ولكن هذا الظن لم يلبث ان انقلب الى مخاوف . وكيف لا . . ويوسف دائب على الصمت ، يدخل ساكتا ويخرج ساكتا ، ويجلس الى المائدة معهم وهو لا يكاد يفتح فمه ، ثم يأوى الى غرفته ويغلق بابها ويهجع فيها ، الى ان يحين موعد العشاء او الافطار . وقد تدرج فى هذا الصمت يوما بعد يوم حتى اصبح لا يجيب عما يوجه اليه من الاسئلة الطارئة ، الا فى بطء شديد وتؤدة وتلكؤ وعلى مضض وعدم رغبة ، أو لا يجيب بتاتا . وعلى هذه الحال أصبح وامسى وحيدا ، يخرج للنزهة احيانا ، ولكن وحده ، وقد تجنب أصدق اصدقائه واقربائه واخوته . واذا ما قصد أحد المقاهى يوما ، اتخذ منه ركنا قصيا ، وقضى وحده ما شاء ان يقضيه من الوقت

ومع ذلك فقد كان صمام الامن فى صدر يوسف ينفتح الفينة بعد الفينة . . فكان يسر لأمه او لواحد من اصدقائه ببعض ما يجول فى خاطره من الافكار المؤلمة ، وكان فيما يبوح به يعزف على وتر حزين واحد ، وينشد دورا

حزينا واحدا لا يتغير .. : « أنا بائس ، منكود الحظ ، غير جدير بالعيش ، لا أجد للحياة معنى ، لو كنت حسن الحظ كاخوتي لكنت أحسن حالا مما أنا عليه الآن، لا بد انني ارتكبت في حياتي ذنوبا ينزل بي الله لأجلها العقاب، افرطت في شهواتي ، واسرفت في شبابي ، فحدث لي ما حدث »

*

ومرت شهور تلو شهور ، وانقضت سنة ثم سنة أخرى وكادت تنقضي الثالثة ، وهو يزداد هموما ووساوس، وشعورا بالنقص وعدم الجدارة، ولم ينزعج أهله من أجله ، فقد كان على كل حال هادئا ، محتفظا بلطفه ودعته وسكونه ، طالما كان بعيدا عن الانسباء ، والاقرباء ، والرحلات، والزيارات ، والحفلات . ولو انهم اخذوه الى اخصائي، لاشار عليهم ان يودعوه مصحة من مصحات الامراض العقلية ، ويبعدوا عنه الانسباء والاقرباء ، فهم يزيدون علته النفسية تفاقما، ولكن شيئا من هذا لم يدر بخلدهم . فقد تعودوا اطواره الشاذة، فأصبحت لديهم صفة من صفاته، واعتقدوا انها طبيعة فيه لا ينجم عنها ضرر ، ولكنهم كانوا في هذا الظن مخطئين ، فقد كان وراء سكوته وهدوئه وصمته واستكانته خطر مدلهم ، كانت في قرارة نفسه تيارات فوارة شديدة الحرارة . كانت هناك مشروعات منظمة مرسومة ، لا يعرف أحد سواه عنها شيئا ، ولا يعرف سواه كم قضى في رسمها وتعديلها وحبك تصميمها . ولم يبد على ملامحه او مسلكه في ذلك الحين ما يدل على شيء من القلق ، أو ما يشتم منه رائحة الخطر. بل على النقيض من ذلك ، كان قبل أن تسدل الستار على الفصل الاخير من هذه الرواية بأسابيع سبعة أو ثمانية ، أقل عبوسا وشذوذا ، تنفرج شفتاه أحيانا عن ابتسامة خفيفة ، قلما عهدوها منه منذ زمن طويل

*

وحدث يوما أن غادر المنزل متأخرا عن موعده . فذكروه ان ساعة العمل قد فات ميعادها ، فهز كتفيه غير مبال. وبعد خروجه بساعة دخلت شقيقته غرفته لتنظيفها ، فرأت على مائدة في وسط الغرفة مظروفا معنونا باسم اسرته. فأخذته الى أمها وفضته وقرأت الرسالة . وكانت طويلة، مليئة بالتفاصيل ، متقنة العبارة، مرتبة الحوادث ، وقد كانت في الحقيقة أقرب الى رسم هندسي لتصميم بناء ، منها الى خطاب، مما يدل على انه فكر طويلا، ودبر كثيرا ، وتروى وتبصر ، قبل التصميم والشروع في التنفيذ

في هذه الرسالة بين المكان بالضبط .. جبل المقطم في احدى زواياه الخفية . كان الرسم واضحا ، والكلام جليا لا غموض فيه . خمسة لترات من غاز البترول ، كومة من الهشيم ، وعلبة من الكبريت. خطة التنفيذ،

والخطوات التي اراد اتباعها في بلوغ ما صمم عليه ـ كلها كانت دقيقة مرتبة ، مما لم يترك مجالا للشك في انه لم يكن هازلا . ولم تمض دقائق بعد الاتيان على نهاية الرسالة حتى كان الشقيقان الطبيبان في طريقهما الى تلال المقطم . وبعد ان تركا السيارة عند اقصى مكان صالح للسير بها ، هرعا نحو المكان سيرا على الاقدام ، صعودا وهبوطا ، مسترشدين بالخريطة والوصف. لم يجدا ادنى صعوبة في المهمة ، فقد كان الوصف دقيقا والرسم ادق . ها هي الكومة المشئومة. لقد وصلا متأخرين. كانت الخطة محكمة،ولم يشأ يوسف ان تفشل التجربة ، لقد حمل معه خمسة لترات وكان يكفيه لتر واحد ، ولكنه كان حريصا على الذهاب في تصميمه الى النهاية . لم يجد الشقيقان من آثار شقيقهم الاكبر سوى رفاته ـ كومة من الرماد لا تزال بقاياها تحترق

*

هذا تحليل موجز لحالة من حالات « الملانخوليا » لا شك فيها ـ اسبابها ، اعراضها ، تقدمها واستفحالها ، وتصميم صاحبها على هدم حياته بيده. وما هو الانتحار ؟ اليس هو بلوغ القمة في كراهية الذات والشروع في الاخذ بالثأر منها ؟ اننا نرى أمثال هذه الحالة يوميا في درجات تتفاوت بين قضم الاظافر بالاسنان ، وهرش الراس بعنف ، وشد الشعر ، وخبط الجبهة ،ونفض الذراعين او الساقين ، الى جرح الوجه ، وكسر الساق ، والاصابة بشتى الاصابات ، فالانتحار.أن هذه كلها اعراض لكراهية الذات، تبدا في العقل الباطن ، وقلما تبلغ العقل الواعي الا متأخرة

لقد رأينا كيف ان يوسف حسد شقيقيه ، ودبت فيه الغيرة.ومن ثم أصبحت الحياة في نظره عقيمة وأخذ ضميره يمعن في ايلامه ، ويطالبه بالثأر لذاته من ذاته . . وقد تم له ما اراد

*

وهنا يتساءل القارىء : هل كان يمكن انقاذه فيما لو عني به اخصائي في الامراض النفسية ؟ في الغالب نعم ، فيما لو جاء العلاج مبكرا. لقدظهرت اعراض الوجوم على يوسف قبل انتحاره بثلاث سنوات ، ولكن العلم يقول لنا ان الوساوس التي كانت تلعب في باطنه ، والشعور الذي كان ساوره ، والعين التي كان ينظر بها الى اخوته ـ كلها كانت شطرا من نفسه قبل وقوع الحادث بسنوات عديدة ـ عشر او خمس عشرة سنة ، وربما اكثر من ذلك. يضاف الى هذا نقطة اخرى تعمدنا ارجاءها . . وهي ان بعض العلل النفسية كلون البشرة والشعر والعينين، والملامح ، وطول القامة وقصرها ، قد تنتقل بالوراثة في الاسر . لقد كان ليوسف شقيق اكبر منه . . ومات منتحرا لاسباب تعزى لنفس الداء

(ا . س)

هذه مسائل اجتماعية ونفسية فى صيغة سؤال وجواب تهم كل شاب وشابة ، يجيب عنها عالم من كبار علماء النفس والاجتماع

مسائل تهم الشباب

للدكتور لورنس جولد
من كبار علماء النفس الأمريكان

● **هل يشقى الشاب فى حياته الزوجية اذا اختار شريكة حياته من طبقة تعلو مكانته الاجتماعية أو تقل عنها بكثير ؟**

— نعم .. يغلب الا يسعد زوجان من طبقتين مختلفتين . ففى جميع البلدان — حتى اعرقها فى الديمقراطية — فوارق كبيرة بين الطبقات من النواحى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية . ولهذه الفوارق اثرها الكبير فى اختلاف الاذواق والطباع والعادات . وهذا يحول دون الانسجام الذى يعد شرطا أساسيا للسعادة الزوجية

ويرى علماء الاجتماع ، ضرورة تقارب المستوى الثقافى والفكرى بين الزوجين . فلا ينبغى أن يزيد الفارق بينهما على ما يعادل أربع سنوات من الثقافة ، ولا سيما اذا كانت الزوجة هى المتقدمة فى هذا المضمار

ان من أهم أسباب الشقاء الزوجى أن يعتقد احد الزوجين انه بزواجه قد أسدى « جميلا » للآخر ، ذلك لاننا — بالفطرة — حين نؤدى خدمة للغير ننتظر منه شيئا يقابلها ، فاذا لم يكن لذلك من سبيل ، فلا اقل من الاعتراف بالجميل . وعلى الرغم من أن هذا الاعتراف عاطفة نبيلة ، الا انه يقترن دائما باحساس عميق بالنقص . وهذا يؤدى — دون وعى — الى نفور من صاحب الفضل الذى عجزنا عن رد خدماته . ومن هنا كان الفتور ثم الكراهية التى تنتهى غالبا بالطلاق بين زوجين من طبقتين مختلفتين

● **هل تحول قسوة الآباء وكثرة مراقبتهم لاولادهم وبناتهم دون ارتكابهم المعاصى وسلوكهم فى الحياة مسلكا شائنا ؟**

— قد تفلح الرقابة والشدة طالما كان الاطفال صغارا . . فانت تستطيع أن تمنع طفلا فى الخامسة من اللعب بعيدان الكبريت اذا ظللت تراقبه ، ولم يغب عن نظرك لحظة واحدة . . ولكنك تعجز عن منعه — وهو فى دور المراهقة — من التدخين أو ادمان العادات الضارة ، اذا هو أراد ذلك . وكذلك فتاتك ، يتعذر عليك أن تقف دون تحقيق رغباتها وأن تثنيها عن فعل ما تريد ، مهما اشتدت الرقابة

ان سلوك الطفل بعد أن ينتهي من مرحلة الدراسة الابتدائية لا يتوقف على معاملة والديه له بعد هذه المرحلة ، بالقدر الذى يرجع فيه الى معاملتهما له قبلها. فالطفل اذا شب فى جو عائلى تشيع فيه الفضيلة والمبادىء النبيلة السامية ، ظفر بحصانة خاصة ضد الآثام والشرور والعادات السيئة ، وأحس ــ من تلقاء نفسه ــ بنفور من أصدقاء السوء ومن السلوك المعيب . ان ما يعين المرء على أن يكون خيرا تقيا هو العادات والاقوال والمشاهد التى نقلها الطفل عن والديه منذ الصغر

واذا عودت طفلك على احترامك والثقة بصحة ما تقوله له استشعر حضورك حيثما ذهب ولو لم تكن معه ، فلا يقدم على عمل فى صباه أو فى شبابه دون ان يفكر فى رضاك عنه او عدم رضاك ...

● هل ينسى حب قديم لم ينته بالزواج ؟

ــ لا «ينسى» شيء مما يحدث لنا .. ولو خيل لنا ذلك . ولكن الحب القديم يفقد سلطانه ويزول اثره فى كثير من الاحيان . لان ما يثير الحب ويؤجج نيرانه ليس هو شخص الحبيب، وانما هو جوع المحب الروحى وتعطشه الجسمانى للحب . فاذا استطاع المرء ان يسد هذا الجوع وان يروى هذا الظمأ فى حبه الجديد نسى الماضى وطمست ذكرياته .. هذا عند ذوى النفوس الصحيحة القوية الذين لا يسلمون الزمام لعواطفهم. غير أن هناك فريقا من الرجال والنساء يعجزون عن مواجهة صعاب الحياة فيفرون الى الماضى ليعيشوا فى ذكرياته . ويجسم لهم الخيال سعادة مثالية زائفة ، ولت مع الحبيب الاول حين ولى، فتتفطر قلوبهم حزنا وأسى

فهذا شاب يتوهم ان زوجه لا تطهى له شيئا يعادل فى جودته ما كانت تطهيه له امه. . فيصور له الخيال انه أساء فى اختيارها شريكة له فى الحياة . فهى ليست « الملاك » الذى كان يمنى به النفس قبل الزواج . ولذلك يعمد الى النبش فى قبور الماضى ليبعث حبا قديما .. وهو اذ يوقظ فى نفسه هذه الذكريات ، لا يفكر فى حبيبته التى لم يقدر له أن يتزوجها ، أو فى زوجه السابقة التى انفصلت عنه، وانما يستعرض صوراخيالية رسمها لشخص لم تنضج عواطفه بعد ، فلم يستطع ان يتذوق للسعادة طعما الا فى دنيا الخيال والاحلام

والخلاصة ان الشاب العاقل المتزن يستطيع أن يحيا فى حاضره وينسى ماضيه ، فلا يمنعه حب سابق من الاستمتاع بحياة زوجية هانئة. وأما من اعتاد ان يرى « المراعى البعيدة » التى لا سبيل الى بلوغها ، هى وحدها المراعى الغنية الخصبة ، فذلك لن يهنأ فى زواجه طالما كان فى عقله

الباطن ذكريات حب قديم يحن الى اثارتها من حين الى حين

● **هل يرجع الشجار والخلاف بين الزوجين ـ فى الغالب ـ الى امور تافهة ؟**

ـ هذا ما يبدو لامرىء يجهل حقيقة الخلاف بين الزوجين . . فقد نرى زوجة مثقفة تصيح فى وجه زوجها لانه نسى ان يشترى لها شيئا طلبته منه ، او زوجا كريما يتشاجر مع زوجه لانها لم تضع جوربه فى مكانه ، فنعجب ونتساءل : كيف يتشاجر هذان الزوجان ـ على الرغم مما عرف عنهما من رحابة الصدر ودماثة الخلق ـ لاسباب حقيرة تافهة ؟

الواقع ان السبب الحقيقى للنزاع بين الزوجين لم يكن نسيان الزوج أو اهمال الزوجة .. وانما هو ـ فى الغالب ـ عامل نفسى مكبوت ، يرجع الى مزيج من البغض والغضب يكمن فى نفوسنا عادة نحو شخص ارغمنا على الخضوع لارادته والاذعان لرغباته ، ونحن نعتقد انه هو الذى ينبغى أن يخضع لارائنا ورغباتنا

ومما يزيد فى هذا الاحساس أن معظمنا يشب ، وفى قرارة نفسه أن الدليل على حب الغير لنا استعدادهم لاطاعتنا وتحقيق رغباتنا . لقد غرست امهاتنا هذه العقيدة فى نفوسنا منذ الصغر ، وهن يوحين الينا فى تصرفاتهن واقوالهن ان المحبة تعنى تنفيذ الاوامر وتحقيق المطالب

وكثيرا ما يكون الدافع الرئيسى للزواج ـ وان لم يفطن لذلك الزوجان ـ الرغبة فى استعادة مباهج الحياة المنزلية ، كما خبراها وهما طفلان . . اى ان كلا منهما يرجو أن يعامل كما كانت تعامله امه . ومن هنا يشعر الزوجان بصدمة نفسية واحساس بالخيبة واليأس ، حين لا تتحقق هذه الامنية . لذلك يتصيد الزوجان الاسباب للغضب وتجسيم الصغائر التى تصادفهما ، ويتخذانها اداة للتنفيس عن هذا الاحساس الدفين . وكثيرا ما يدركان تفاهة الاسباب التى اختلفا من اجلها بعد ان يفكرا فيها مليا . . ولكنهما قل أن يعترفا بذلك !

● **هل يستطيع من يهجر زوجته ، ان يحيا سعيدا مع زوجة اخرى ؟**

ـ يغلب الا يسعد معها . . ولكن مايراه البعض من ان ضميره سوف يشقيه لسوء صنيعه مع زوجه واطفاله ليس هو السبب الرئيسى لما ينتظر له من شقاء . ذلك لان الضمير ليس ذلك « الصوت الداخلى » العام كما يتخيله البعض ، وانما هو مجموعة مبادىء وأسس تستخلص من البيئة التى تحيط بالطفل منذ مولده . وهكذا ما قد يرى منافيا

للاخلاق عند البعض ، قد يكون جديرا بالتكريم عند آخرين لم يتاثروا بنفس البيئة او الثقافة.
انه بنـدر ان يسعد فى زواجه الثانى لانه لا يعنى بفحص نفسه والتفتيش عن علة اخفاقه فى حياته الزوجية وعلاجها ، ويلقى اللوم عادة على زوجه .. وبذلك تظل العلة باقية ويظل الداءالذى يعكر صفو الحياة قائما ، فلا تلبث أن تنهار دعائمها ويتكرر اخفاقه. خذ مثلا شابا تزوج دون ان يدرك مسئوليات الزواج واعبـاءه . . فاحس ــ كما يحس امثاله عادة ، ولو كانت زوجاتهم ملائكة ــ انه لم يوفق فى اختيار شريكة حياته. ذلك لانه وجد ــ خلافا لما كان يتوقع ــ زوجة تأخذ منه مالا يرجو انفاقه فى مطالبه الخاصة ، وتحمله مسئوليات لم يتمرس على القيام بها ، وتلقى عليه تبعات لا يقوى على حلها . . وهو لايزال بعد « طفلا » من الناحية العاطفية فى حاجة الى من يسوسه ويرعاه. ان هـذا الشاب ــ اذا هجر زوجه ــ وظل على حالتـه من الضعف النفسانى، فانه لن يسعد فى زواج آخر ولو تزوج عدة مرات

● هـل اللذة والسعادة شيء واحد ؟

ــ كثير من الفتيـات والفتيان يجيبون عن هذا السؤال بالنفى. وقد يقولون : « لن يظفر المرء بالسعادة اذا قضى حياته ساعيا نحـو اللذة . ولـكنهم ــ كما اعتقد ــ خاطئون . . ان البحث عن اللذة والجرى وراء المتعة يؤديان الى الشقاء فى حالات ثلاث :

١ ــ حين يكـون السعى الى اللذة خاليا من التروى والاتزان . . كأن تنصرف الى المتع الوقتيـة وتغلق عينيك عما يتأتى بعدها ، أو ان تنسـيك المتعـة عملك وواجبك فتظل ــ مثلا ــ ساهرا طوال الليل فى حفل ، بينما تكون مكلفا باداء أعمال هامة او شاقة فى اليوم التالى

٢ ــ حين تتخذ المتعة سبيلا الى الهروب من مشكلة لا بد لك من حلها ــ سواء كانت مع نفسك او مع الآخرين ــ قبل أن تهـدأ نفسك . . وادمان الخمر مثـل واضح لذلك

٣ ــ اذا كنت ممن اسـتقر فى نفوسهم منذ الطفولة ــ بسبب قسوة والديهم ــ ان كل متعة تنطوى على جانب خاطىء محرم ، او انها ــ على الاقل ــ مضيعـة لوقت كان ينبغى ان يقضى فى أمور اثمن وانفس

ان لذائذ الدنيـا ومباهجهـا « فيتامينات » حياتك العاطفية. وهى شيء طيب لا ضرر منه ، اذا لم تنظر اليها كما يراها ذو العقلية المختلة. والصحيح من الناحيتين النفسـية والعاطفيـة هو الذى يدرك كيف يستمتع بهـا سواء كانت ذهنية اوبدنية . . وهوالذى يجد فيه المرء ــ اذا صادقه او اذا اراد ان يتخـذه شريكا له فى الحياة ــ خير صديق وخير رفيق

خمر الخلود..

للاستاذ على محمود طه

هاتها كأساً من الخمر التي سكرت آلهة الفن بها
اسقنيها، وتغنَّ طلق وترنم بأغاني حبها

هاتها في كل يوم حسن نفحة الوحي وإشراق الخيال
وأدرها نغماً في أذني فاض من بين سحاب وجبال

هاتها سحر الوجوه النضرات هاتها خمر الشفاه الملهمات
والعيون الشاعريات اللواتي ملأت بالنور آفاق حياتي

خمرة العشاق لا زالت ولا جف من ينبوعها نهر الحياة
نضبت في قدح العمر الطلا وهي في الأرواح تستهوى الشفاه

هذه الكرمة والوادي الظليل مثلما كانا، وهذا البلبل
حاضر أشبه بالماضي الجميل لو يغنيه المغني الأول!

لم يزل أمس ومغناه الحبيب أيها المسكر بالشدو الوجودا
إن من غنيت بالأمس القريب منحته ربة الشعر الخلودا

مر بي طيفكما ذات مساء وأنا ما بين أحلامي وكأسي
استبدت بي أطياف الخفاء وتغربت عن الدنيا بنفسي!

صحت بالليـل إلى أن أشفقا		فليقف نجمك وليبأ الحِجز
حـــدد العشاق فيـك الملتقى		وحلا الهمس على ضوء القمر

فادخلا بين ضـــياءٍ وغمام		حانة الأقدار والليـل القديم
مجلسٌ يهفو به روحُ الغرام		كل نجمٍ فيــه ، ساقٍ ونديم

وانهلا من سلسل النور المذاب		خمرةٌ ليس لهـــا من عاصر
فنع الصوفى منها بالحبـــاب		وهى تنهل بكأس الشاعرِ

فاروِ يا شاعــر عن إشراقها		إنمــا كأسك نورٌ وصفاء
كيف طالعت على آفاقهـــا		روعــة الغيب وأسرار السماء

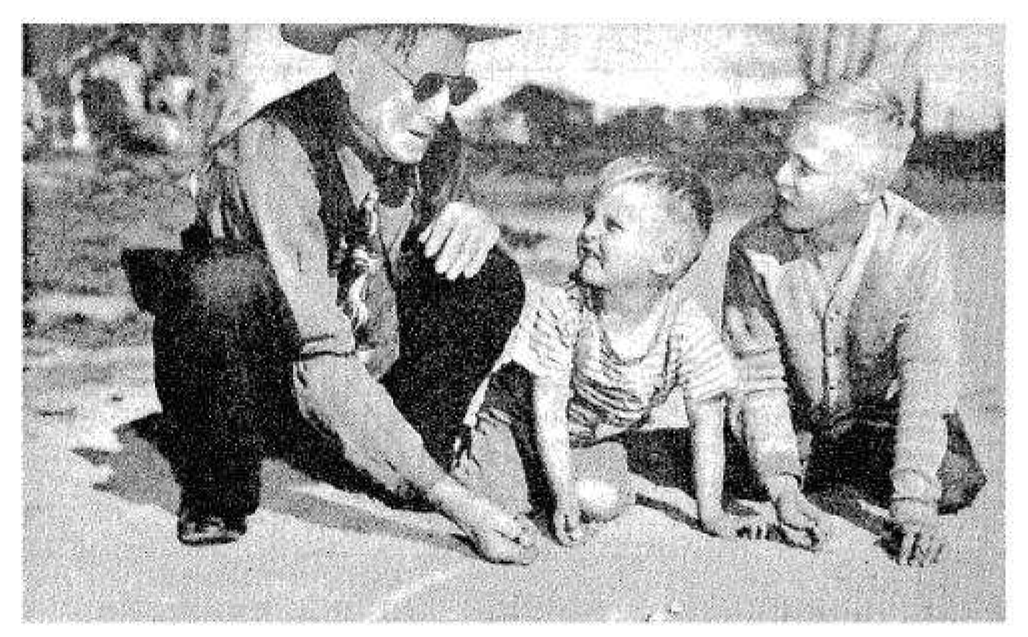
ذاك سر النغم المسترســل		والصفــاء السلسل المطرد
روح شاد ·فنيت فى الأزل		وتحـــدت شهوة المنتقد

صرخت آلامُــه فى كوبه		فهوى يثأر من آلامــه
إنمـا البعث الذى تشدو به		يقظة المفجوع فى أحلامه

قصة الخلد التى غنوا بها		علَّلتهم بالسراب الخـــادع
نشوة الشــاعر . . ما أجملها		هى مفتاح الخـلود الضائع

يا حبيبى دع حديث الفلسفات		طاب يومى فتفيأ ظلنـــق
أترع الكأس، وناولنى وهات		قبلةً تنقذنى من ضائق

أو فقم للغـاب من غريدها		نسمع اللحن الطليق المرحا
ونعب الخمـــر من عنقودها		واترك الدن وخل القدحا !





العجوز الشاب

صادف طفلين يلعبان ..
فلم ير ضيراً في أن
يشاركهما لعبهما ومرحهما

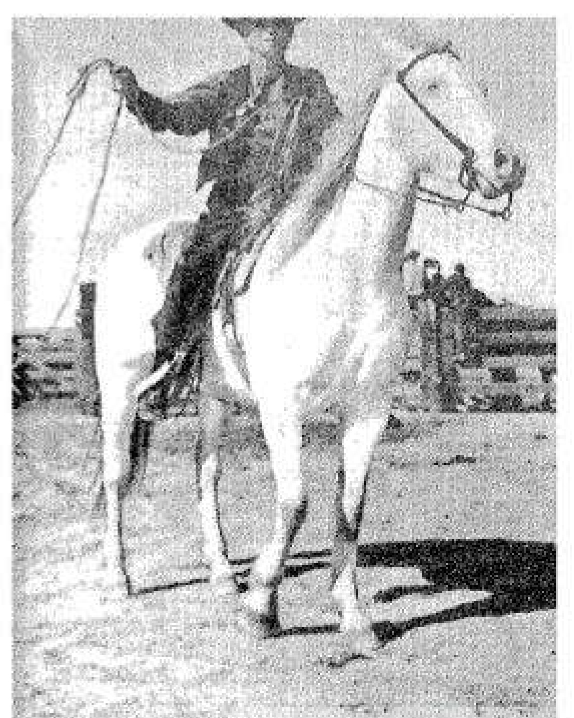
كل ما في الطبيعة جميل .. ولكن الذي ينعم بجمالها انما هو القوى العزيمة ، المتجدد الآمال ، السعيد في نفسه وقلبه . انه يعيش في جنة الجسد لأن قلبه يعيش في جنة الروح . وهو في كلتا الجنتين لن يشيخ ، بل يظل شاباً حتى النهاية .. ان الخوف من الكبر ، والاستسلام للضعف والوهم والخمول ، هما اللذان يذهبان بنضارة المرء وحيويته ، ويقضيان على قواه الذهنية ، ويحولان دون استمتاعه بمباهج الحياة !

وهذا شيخ أمريكي يدعى « هربرت كولنجز » ولد سنة ١٨٣٧ في ولاية « تكساس » - أي ان عمره يبلغ الآن ١١١ سنة - ومع هذا ، يأبى أن يكون كالشيوخ المتقاعدين في مثل سنه ، ويقضي أوقات فراغه مع الشبان والشابات ، يرافقهم في رحلاتهم وأسفارهم ، ويشاركهم في ألعابهم ، وأحاديثهم ، ومغامراتهم . وهو ما يزال يؤدي عمله في المزرعة كما كان يؤديه وهو شاب !

وقد سئل عن سر احتفاظه بحيويته ونشاطه ، فكان جوابه انه دأب منذ فجر شبابه على أن يعيش في حاضره لا يخشى المستقبل ، ولا يأسى على الماضي ، ويقسم وقته بالعدل بين العمل ، والاستمتاع بما تزخر به الطبيعة والحياة من متع ومباهج



لا يزال شاباً . . لأنه يقضى أوقات فراغه مع الشبان والغيد الحسان



من يصدق أن هــذا الفارس قد بلغ من العمر ١١١ سنة ؟ إنه يحتفظ بحيويتـه ونشاطه لأنه يعيش فى حاضره ، لا يخشى المستقبـل ولا يأسى على الماضى



« هربرت كولنجز » يحلب البقر ويؤدى عمله فى المزرعة، كما كان يؤديه وهو شاب .. إنه يقسم وقته بالعدل بين العمـل والاستمتاع بما تزخر به الطبيعة والحياة من متع



شباب العمر وشباب الفكر

بقلم محمد رفعت بك

> قد يصل الرجل الى مرحلة الشيخوخة ، وهو حافظ لكل مزايا الشباب من اقدام وازدهار آمال . ولذلك يقيسون حيوية الامم ومبلغ حضارتها بمدى تمتع رجالها ونسائها بنعمة شباب الفكر

يتحدث الناس عن مرحلة الشباب ، ويحددونها عادة — فيما يخص الرجال على الاقل — بالفترة التى تنقضى بين سن الحادية والعشرين والاربعين . ولو انك سألت رجلا اجتاز هذه المرحلة عن شعوره بعد ان انتقل الى مرحلة الكهولة او الشيخوخة ، وعن اثر المرحلة الجديدة فى حياته ومدى نشاطه ، لما استطاع ان يدلك على شيء جديد طرا عليه . وقد يكون المشيب صبغ شعر الرجل ، واحتاج بصره الى منظار وفمه الى اسنان ، واصابه الضعف والهزال حتى لم يعد يقوى على السير الا مستندا على عكاز او اثنين .. ومع ذلك تراه يستنكر سؤالك ، وينفي عن نفسه تهمة الشيخوخة واعراضها ولو فى سره . والرجل معذور فى ذلك ، لانه وهو فى مرحلته الجديدة لا يحس الا الحرمان من اشياء افتقدها او قصرت عنها طاقته . وحساب الشيخوخة طرح وحطيطة ، لا جمع وارباح مركبة كما فى الشباب . ثم يجب ان نذكر ان للطبيعة سنة ترعاها ، لا تتبدل فى جميع مظاهر الحياة النباتية والحيوانية . وهى ان الاحياء لا تتغير ولا تتحول ولا تنال منها الاحداث فجأة ، ولكنها تنمو ببطء وتتطور رويدا رويدا حتى تأخذ الهيئة التى تناسب استعدادها وما قطعته من الزمن . ثم تتدرج الى الفناء بسرعة تتفاوت درجتها ، ما لم تبطش بها القوة فتترديها قبل اوانها

*

فاذا كان المقصود من الشباب هو شباب الجسم والعمر ، فان مرحلة الشباب مصيرها الى الزوال لا محالة . واما اذا سمونا بالشباب من اديم ارض المادة الى اجواء الروح والفكر العليا ، وحاولنا أن نرسم لشباب الفكر خطوطا او حدودا والوانا تميزه ، لباءت جهودنا بفشل ذريع . فان تجارب المرء فى حياته من المهد الى اللحد ، ما هى الا سلسلة من

التصرفات ، متصلة الحلقات لا انقطاع لها الا بالموت والفناء . واذا خيل لنا احيانا أن تجارب الحياة قد تكون متسلسلة،ولكنها سلسلة مقطعةالاوصال والاجزاء متباينة الحلقات يتميز بعضها عن بعض ، فما ذلك الا لاننا نرجع ببصرنا كرة او كرتين ونحاول بنظرتنا الى الوراء ان نرتد الى سابق ايامنا وعهودنا ، وحينئذ تتراءى لنا تجاربنا مفصلة مبعثرة على حين انها في قرارة انفسنا وصميم عقولنا ليست سوى نسيج متماسك الخيوط وصفحة واحدة مسطورة تنقش عليها تجاربنا وافكارنا في كل آن

هذه الوحدة المتصلة بالروح والفكر والتجارب،لا يسرى عليها ما اصطلح عليه الناس من تقسيم العمر الى مراحل . فقد يبلغ الفتى دور المراهقة او الرجولة ، وهو لا يزال طفلا في تصرفاته وآرائه . وقد يكون الرجل في ميعة الصبا والشباب ، ولكنه يضيف الى مزايا شبابه آراء وتصرفات لا تصدر الا عن رجل كهل او شيخ عركه الدهروحنكته التجارب . وقد يصل الرجل الى مرحلة الشيخوخة ، وهو بعد حافظ لكل مزايا الشباب فيه .. من اقدام وتقدم وازدهار آمال. لذلك يقيسون حيوية الامم ومبلغ حضارتها بمدى تمتع رجالها ونسائها بنعمة شباب الفكر ، ويربطون هذه بتلك . فاذا انحطت درجة حضارة الامة ، كان ذلك نتيجة او دليلا على قصور مرحلة شباب الفكر وقصرها بين أفرادها ، وكذلك كلما ارتقت مدنية شعب ، استطالت معها مرحلة شباب الفكر بين أفراده

*

واذكر اننا كنا رجالا فوق الحادية والعشرين من عمرنا،حين ارسلنا الى انجلترا لتلقى العلم في جامعاتها ، فهالنا أن يسمينا القوم « اولادا » في أحاديثهم وفي الجامعة وفي البيوت التي نسكنها وفي المنتديات التي نرتادها. وزادت دهشتنا لما استقر بنا المقام في البلاد ، ورأينا الناس حتى الكهول والشيوخ منهم يرتضون هذه التسمية ويأنسون بها ، ولا يجدون فيها ما يحط من أقدارهم أو يمس كرامتهم كرجال . بل على العكس رأيناهم في اجازاتهم واعيادهم وحفلاتهم يشتركون مع الاطفال والشبان في العابهم ومسابقاتهم وملاهيهم ، لا فرق عندهم بين شاب أو كهل أو شيخ. وقد حدثنا العائدون من امريكا في هذا الصيف ، انهم رأوا الاساتذة والمدرسين مخالطين لتلاميذهم وطلابهم في غدواتهم وروحاتهم وفي كل أنواع نشاطهم ، وانهم رأوا أساتذة في الجامعات يمشون في الطرقات والاسواق وهم يأكلون وبأيديهم مختلف انواع المثلجات يقضمون منها ويمصون رحيقها بشوق وكلف ، كما لو كانوا أطفالا !

والى جانب ما نراه فى البلاد الراقية من مظاهر شباب الفكر وحركاته ، نشهد فيهما ايضا حيوية رائعة ونشاطا فكريا مشبوبا فى شتى النواحي ، ففي السياسة والادب وفى الرياضة والصناعة وفى الكشوف والمخترعات وجميع ضروب النشاط والانتاج ، ترى الكهول والشيوخ وقد تقمصتهم سرابيل الشباب الفكرى مثابرين مجددين دائبين على اعمالهم بهمة تكاد تبلغ عند بعضهم حد الاعجاز . ولا تزال جهود تشرشل وبرنارد شو وأينشتين ماثلة للعيان

وليس ذلك غريبا فى بريطانيا او امريكا متى عرفنا أن مدى مرحلة الشباب الفكرى فيهما الآن وفى معظم الدول الغربية طويلة بعيدة الغور . اما فى مصر وفى بلاد الشرق عامة، فمرحلة الشباب الفكرى فيها محدودة، تنقضى عادة بانتهاء مرحلة شباب العمر ، وقد تنقضى قبلها فى كثير من الاحيان، ولست ترى فى بيئاتها من الكهول والشيوخ الذين ما زالوا يحتفظون الى جانب نضجهم وحنكتهم . بشجاعة الشباب ومثاليته وقوة أيمانه ، الا عددا ضئيلا يعتبرهم البعض خوارق وعباقرة

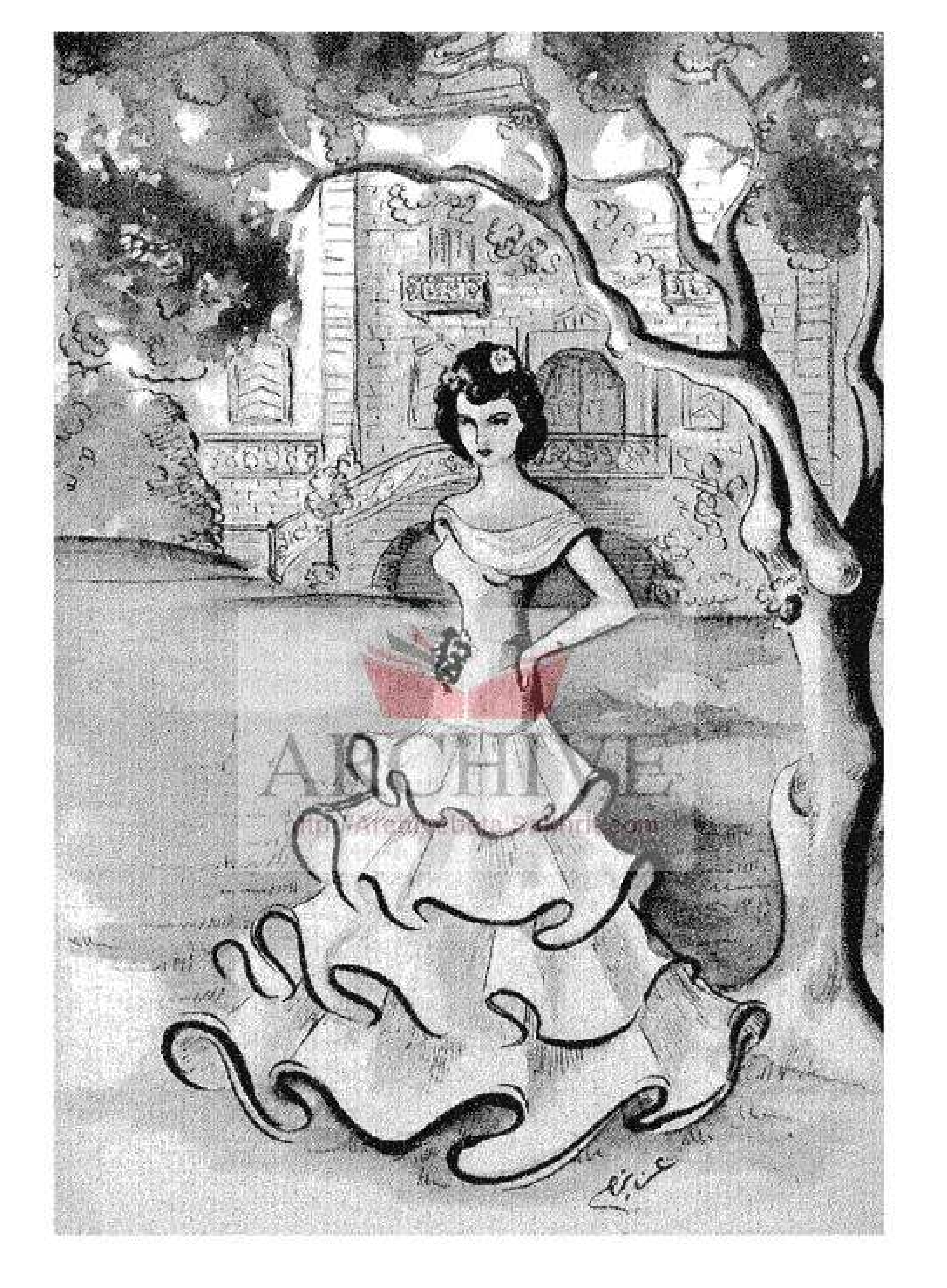
*

وما العهد ببعيد بالاطفال الذين كانوا يخلعون عليهم الجبب والعمائم ، وهم لم يشبوا عن الطوق بعد ، أو بالمراهقين والشبان الذين يطلقون لحاهم ثم يتزوجون وهم بعد صبيان لا يكسبون ما يسد رمقهم ويقوم بأودهم . ومالنا نذهب الى الماضي ، وأمامنا الشبان الذين لا يأنفون من ان يسميهم اخوانهم «أساتذة» و «بكوات» ومعظمهم قد هجر ميادين الرياضة والالعاب ، واستصغروا على انفسهم أن ينخرطوا فى سلك المباريات حتى عقمت ملاعب الجامعة وأقفرت من اللاعبين ، وعمرت المقاهى والصالات، وغصت المراقص ودور الملاهى بطلابها . هؤلاء الفتيان جميعا فى شباب العمر ، ولكنهم فى احاسيسهم وخبايا نفوسهم كهول وشيوخ لا يلبثون اذا ما دخلوا مرحلة الرجولة العاملة ان تكتنز اجسامهم لحما وشحما ، وتصبح حياتهم فى مكاتبهم ومتاجرهم أو حقولهم ومصانعهم حياة جهد فاتر وعمل رتيب ، لا تجديد فيه ولا ابتكار ولا أثر لشباب الفكر فيه ، وما العمل فى عرفهم الا « تسخير » تتخلله الراحة كلما استطاعوا اليها سبيلا ، ويعقب ذلك غذاء وشراب فنوم ثم موت ورب غفور !

محمد رفعت

لو اجتمعت قدرة الشباب وادراك المشيب ، لصار الفقر أسطورة !

(مثل قديم)





الهوى والشباب

للكاتب السويدى أكسيل مونثيه

لم تشهد السنوات الأخيرة كتاباً نال من الرواج ما ناله كتاب « قصة سان ميشيل » لمؤلفه الطبيب السويدى « أكسيل مونثيه » حتى لقد ترجم إلى ٢٩ لغة .. وفى الصفحات التالية موجز لما رسم المؤلف فيه لشبابه من صور رائعة فيها تحليل ممتع لمشاعر الشباب وانفعالاته وعواطفه ، فى كل زمان ومكان !

— ١ —

الصيف .. وأنا .. وشبابى .. فى باريس !

وبرغم ذلك كنت أقل الناس استمتاعاً بالمغريات الثلاثة ! .. فإن باريس فى الصيف مكان ممتع للباحثين فيها عن اللهو والعبث ، فأما للباحثين فيها عن الجد والعمل فإنها تغدو شيئاً آخر ، لا يتصل بالمتعة بأى سبب ! .. وخاصة إذا كنت طبيباً تكافح وباءين خطرين ، كالتيفوئيد الذى انتشر فى أحياء العمال — والدفتريا ، التى انتشرت بين أفراد الجالية الإيطالية فى حى مونبارناس ، وشارع روسيل حيث دخل مرض الدفتريا كل بيت ، فأزهق أرواح نصف أطفاله ، وترك النصف الآخر معلقى الأنفاس بين الحياة والموت ، جاحظى العيون ، يتصيدون نسمة الهواء بشق النفس ، وقد ضاقت بهم لفرط كثرتهم المستشفيات ، ووقع عبء

معالجتهم على عاتقي وحدي ، دون زميل آخر ، او ممرضة تعاونني .. اللهم الا كناس الشارع الايطالي الطيب « اركانجيلو فوسكو » الذى ترك عمله وتطوع لتمريض المصابين، جهد طاقته ، وبغير ان يتطرق الى قلبه الملل ، او الياس ، أو الخوف من عدوى المرض الرهيب .. في وقت لم يكن قد اكتشف فيه بعد أى علاج له ، أو مصل يقى منه !

وهكذا ناءت اعصابي تحت وقر العبء الثقيل ، والارهاق الشديد .. في الوقت الذى كان فيه المترفون من خاصة اهل باريس يحزمون أمتعتهم استعداداً للسفر الى قصورهم في الريف او الى شاطىء البحر ، بينما ازدحمت شوارع مدينة النور بضيوفها من الأجانب ، الذين هبطوها من كافة أرجاء العالم ، باحثين عن مسراتها وملاهيها التى تخلب اللب، وتفرغ الجيب !

وازدحمت عيادتي بجموع الموظفين والعمال الذين جاءوا يتنافسون في الحصول على شهادة مرضية تعطيهم الحق في «اجازة» جاءوا يطلبونها من طبيب مرهق هو أحق منهم جميعاً بالاجازة ! وتوالت على تليفوني نداءات الاستغاثة من نساء ... كنت أجدهن مسترخيات على المقاعد الوثيرة وقد ارتدين احدث ازياء الشاى الأنيقة وجلسن ينتظرنني، كي اشفي وعكة اعصابهن واولي اعداد « مزاجهن » المرهف لحضور حفلة كرنفال تنكرية في الاوبرا موعدها غداً ! ..

.. وهكذا ضقت اخيراً بمرضاي ومريضاتي ، وبنفسي ، فمضيت نحو بيتي ذات ظهر اجر قدمي المتعبتين جراً فوق « أسفلت » الطريق المحترق، من شدة الحر، محتمياً بظلال أشجار الكستناء التى كانت تمد أغصانها الذابلة في الفضاء ، باحثة بدورها عن نسمة هواء ! فهمست مناجيا : « انى أعرف ما ذا بك ، وبي ... كلانا في حاجة الى تغيير الهواء .. الى الفرار من جو المدينة الصاخبة .. ولكن كيف السبيل الى النجاة من هذا الجحيم ؟.. أنت بجذورك الحبيسة تحت الأسفلت ، وبهذا الطوق الحديدى حول قدمك .. وانا ومرضاي من اطفال الايطاليين يحتضرون في أسرتهم، ومريضاتي من مترفات الامريكيات يملأن حجرات عيادتي ؟ »

.. قضيت أياماً نهباً للحيرة والتردد .. حتى تلقيت ذات صباح خطاباً من صديقي الكونت « س » زوج احدى مريضاتي المترفات ، يقول لى فيه : « قلت يوما انك تحب صوت الكروان .. وها هو ذا يصدح هذه الايام ، لكنه لن يظل يصدح طويلاً .. فهلا جئت لتقضي معنا أياماً في قصر « لورين » ؟ »

... الكروان ؟ !.. وانا الذى انقضى على عامان لم اسمع فيهما غير صوت الغربان ، في حدائق التويلري ! •

— ٢ —

كانت الجياد المطهمة التى اقلتنى من المحطة الى القصر جميلة حقا .. وكان القصر الذى يرجع تاريخه الى عهد ريشليو ، بحدائقه الغناء واشجاره وازهاره ، جميلا .. وكانت الغرفة التى خصصت لى فيه من طراز لويس السادس عشر .. اما ربة القصر «الكونتس» فكانت آية فى الجمال بثوبها الأبيض والوردة الحمراء التى تزين خصرها .. حتى خيل الى وأنا اتأمل محياها ان عينيها قد ازدادتا اتساعاً ، وفتنة ، عن ذى قبل !

واستقبلنى الكونت بابتسامة ترحيب صادقة انستنى خجلى ، وراح وهو يطوف بى حدائق القصر يحدثنى عن صحة زوجته . انها ما عادت تشكو من مرضها .. وهى تذهب الآن كل صباح الى القرية لتتفقد فقراءها وتعد العدة لتحويل احدى الضياع التى تملكها الى مصحة للأطفال المرضى .. بل انها قد دعت فى يوم عيد ميلادها اطفال القرية الفقراء الى حفلة شاى فى القصر ، وقبيل انصرافهم اهدت كلا منهم دمية جميلة من الخشب .. أليست هذه فكرة رائعة منها ؟ .. نعم ، بكل تأكيد !

وفى المساء احتوتنا جلسة سمر ممتعة فى شرفة القصر ، وكانت الحديقة تحت ابصارنا تستحم فى ضوء القمر الهادىء .. ثم دقت ساعة البرج الحادية عشرة ، فقال الكونت : « اعتقد انه يحسن ان ننام الليلة مبكرين فقد أوصيت باعداد الجياد لنزهة الصباح فى تمام السابعة » .. وقالت لى الكونتس وأنا اهم بالصعود الى غرفتي : « نوماً طيباً وأحلاماً سعيدة »

وتحقق نصف امنيتها ، فانى لم أنم طويلا ، لكننى حلمت كثيراً !

وفى السادسة صباحاً سمعت اظافر الكلب « ليو » تعبث ببابى ، لايقاظى .. وبعد ساعة كنت والكونت نتهادى بجوادينا فى الطريق الجميل المؤدى الى الغابة ، بين صفين من الأشجار العالية العتيقة .. ثم بلغنا الغابة ، وكانت ساكنة سكون الليل ، الا من اصداء بعيدة تتردد بين الحين والآخر لفاس حطاب او هديل حمامة برية ، او صرخة عصفور ذبيح ، او تغريد بلبل طروب !..

ثم خرجنا من قلب الغابة الى الحقول والأحراش الشاسعة المستلقية تحت أشعة الشمس .. وهناك كان الكروان المحبوب يتماوج على اجنحة خفية فى أطباق الجو العليا مغرداً للأرض والسماء بقلب مفعم ببهجة الحياة .. فنظرت الى الطائر الصغير وباركته ، كما اعتدت ان افعل فى طفولتى فى بلاد الشمال المتجمد وأنا أرقب طائرى الجميل ، رسول الصيف ، بعينى العارف بجميله ، الموقن ان ظهوره بشير بانتهاء الشتاء القارس الطويل .. !

— ٣ —

وفى المساء استصحبتنى الكونتس لزيارة احدى صديقاتها التي كانت بدورها من مريضاتى .. ومضت بنا العربة فى طريق جبل تحف به الاشجار وتؤنس وحشته زقزقة العصافير .. فجرى بيننا حديث لطيف يتفق وشاعرية الجو ، وداعبتنى الكونتس بضع مداعبات نقلتنى كأنها بساط الريح الى أجواء حافلة بالسحر والفتنة والاحلام ! .. وانتقل سحر الجو الى الكلب « ليو » الذى كان بصحبتنا ، فنظر الى بعينين تقولان « يبدو انك شخص ظريف .. فهل لك فى اسداء خدمة لى ؟ انني فريسة الملل والضيق ، وفى حاجة الى شيء من الترفيه .. » ثم غمز لى بعينه واستطرد : « الا تعرف أية « كلبة » فى هذه الضواحي ، أيا كان شكلها وحجمها وسنها ؟ فقط مدنى الا تشى بي لدى سيدتى .. وفى مقابل ذلك أعدك بالصمت عما أقرؤه فى عينيك من نوايا ، وما قد تراه عيناى .. وخاصة ان بهاء الليل سوف يكتمل غداً ، حين يصير القمر بدراً ! »

وقد صدق « ليو » ، فان القمر كان سيصير بدراً فى الليلة التالية .. وأنا أكره القمر ! لقد طالما سلب النعاس من عينى وهمس فى أذنى بفيض من الاحلام ، هذا الشبح الغامض .. انه ليس كالشمس ، الالهة المشرقة فى وضح النهار ، التى تجلب النور والحياة لدنيانا المظلمة وتسهر على سلامتنا بعينها المضيئة منذ الأزل — وما تزال — بعد ان غابت وتلاشت فى زوايا العدم آلهة الكون الأخرى جيعاً ، سواء ما كان رابضاً منها على ضفاف النيل وما كان مطلا من فوق جبل الاوليمب ! ..

وهكذا ، فى الوقت الذى تعلن الشمس عن نفسها فى وضوح ، لايوجد من يعرف شيئاً عن القمر ، شبح الظلام الشاحب الذى يتسلل الى السماء فى سكون وغموض ، ويقضى الليل جائلا بين النجوم ينظر الينا من عل بعينه الباردة التى لا تنام ، وابتسامته الساخرة الصفراء !

ولم يكن « الكونت » يبالى بالقمر ، ما أتيح له أن يجلس فى ركنه الساكن بغرفة التدخين ، وصحيفة « الفيجارو » فى يده ، و « سيجار » بعد العشاء يتأرجح فى زاوية فمه ! .. أما زوجته الكونتس « جولييت » فقد أولعت بالقمر ، أولعت بظلاله الغامضة وأحلامه الهامسة ..

وأولعت بأن تضطجع صامتة فوق ظهر القارب تتطلع الى النجوم ، وأنا أحرك لها المجدافين فى بطء عبر البحيرة الساجية ..

أولعت بالتجوال فى الحدائق تحت ظلال أشجار الليمون ، وقد كساها الضوء الفضى آناً حلة من البهاء ، وطواها الظلام المعتم آناً فأحوج المرأة الى ان تتلمس ذراعى كي تعرف الطريق !

أولعت بالجلوس على مقعد

مزو بين الأشجار ، والتحديق بعينيها الواسعتين الساهمتين فى أطباق الليل الساكن ، او فى عينى انا كلما راقها ان تقطع صمتها بين الحين والحين كى تهمس همسات قصيرة عابرة ثم تعود الى صمتها ! .. وكان صمتها يفتنني كما يفتنني كلامها ! ..

ـ لم لا تحب القمر ؟

ـ لست أدرى .. ربما لأنى اخافه !

ـ وما ذا يخيفك منه ؟

ـ لست أدرى .. انه مضيء الى حد انى ارى فى ضوئه عينيك كنجمتين براقتين .. وهو مع ذلك معتم الى حد انى اخشى ان اضل فى العتمة طريقى .. انى غريب فى هذه الأرض ، أرض الأحلام !

ـ اعطنى يدك وانا ارشدك الى الطريق .. كنت احسب يدك قوية واثقة ، فلماذا ترتجف هكذا فى يدى ؟ .. نعم ، انك على حق ، انه ليس غير حلم .. فاحذر ان تنطق ، والا طار وتبدد ! .. انصت ! اتسمع البلبل يغرد ؟

ـ انه ليس البلبل .. انه عصفور الجنة !

ـ بل انا واثقة انه البلبل .. فاصمت .. واستمع !

وغنت « جولييت » بصوتها الحنون ، الرقيق رقة نسيم الليل حين يداعب اوراق الشجر :

« كلا ، كلا .. انه ليس نشيد الفجر »

« ولا هو تغريد الكروان »

« الذى صافحت انغامه اذنيك الملهوفتين »

« وانما هو البلبل ... رسول الغرام »

ـ لا تنطق .. لا تتكلم .. اعلم ما تريد ان تقول !

وشق سكون الليل نعيب بومة تصرخ من الشجرة التى فوق راسينا ، فنهضت « جولييت » فزعة .. وسرنا فى طريق العودة صامتين ! ..

وقالت الكونتس وهى تودعنى فى ردهة القصر : « ليلة سعيدة .. غداً يكتمل البدر ، فالى غد ! »

ـ ٤ ـ

وحين دخلت غرفتى وجدت « ليو » رابضاً ينتظرنى .. قال لى بعينين يتطاير منهما شرر الاتهام : « اين كنت حتى الآن ، ولم تبدو شاحباً ؟ .. ان جميع الانوار فى القصر قد اطفئت ، وكل كلاب القرية قد كفت عن النباح وهجعت .. لابد ان الوقت متاخر .. ؟ »

ـ كنت بعيداً فى أرض غريبة مليئة بالغموض والاحلام ، حتى كدت أضل فيها طريقى ..

ـ وانا كنت مستغرقاً فى النوم حين ايقظتنى البومة فى الوقت المناسب كى « أضبطك » عائداً فى هذه الساعة ..

ـ وانا ايضاً ايقظتنى البومة فى الوقت المناسب ! .. قل لى يا ليو ، هل تحب البومة ؟

ـ كلا ، بل افضل عليها عصفور

الجنة ، وقد اكلت واحداً الليلة ، رأيته يجرى فى ضوء القمر امامي، فى متناول فمى ، فلم أستطع مقاومة الاغراء ، برغم علمى بأن ذلك أمر محرم .. انك لن تشي بى لدى البستانى ، اليس كذلك ؟

ـ كلا يا صديقي ، وانت لن تشي بى لدى كبير الخدم ، فتقول اننا عدنا الليلة متأخرين ؟

ـ بالطبع لن افعل ..

ـ ليو .. ألست على الأقل آسفاً لكونك سرقت ذلك العصفور الصغير ؟

ـ انى أحاول ان آسف على ذلك ..

ـ لكن ليس بالأمر اليسير .. اصغ الي يا ليو : انك لص ، لكنك لست اللص الوحيد هنا .. ثم انك كلب حراسة فاشل ، فقد وضعوك لتذود اللصوص من القصر ، فلماذا لم توقظ سيدك بنباحك العالي حين ضبطتني متلبساً « بالجريمة » بدلا من جلوسك هكذا أمامي تبصبص لي بذنبك وترمقني بهذه النظرات الودية ؟

ـ لم استطع .. فقد احببتك بالرغم منى !

ـ أتدرى من المسئول عن كل ذلك ؟ انه ذلك الحارس الليلى المهمل الذى لايكف عن التجوال فى السماء ، دون جدوى .. لماذا لا يدير مصباح عينيه الشبيهتين بعينى العجل فى كل ركن مظلم من الحدائق حيث يوجد مقعد لاثنين تحت شجرة ليمون عتيقة ، بدلا من أن يتشح بالغمام ويخفى رأسه فى طيات ردائه الليلى ثم يخلد للنعاس ، تاركاً مهمة الحراسة لصديقته البومة ؟ .. أم ترى هو يتظاهر فقط بالنوم ثم يظل يرقبنا طوال الليل من زاوية عينه الخبيثة، هذا « الدون جوان» العجوز الذى لا يفتأ يتسكع بين النجوم كالشيخ العربيد الذى أعجزته الشيخوخة عن مغازلة الحسان فجعل همه التجول فى الطرقات للاستمتاع على الأقل بمرأى الشباب يغازلون!

فقاطعنى ليو قائلا : « ولكن الناس اعتادوا وصف القمر بأنه كحسناء فاتنة الصبا والجمال »

فاجبته: «لاتصدقهم ياعزيزى ما القمر الا عجوزمتصاب يتسلى بالتجسس على البشر من ركنه السحيق ، لمراقبة اطوار المأساة الخالدة ، مأساة الحب الفانى »

ـ بل ان القمر شبح ميت خارج من القبور ! ..

ـ شبح ميت ؟ من قال لك ذلك ؟

ـ سمعه احد اجدادى منذ العصور القديمة .. وهذا سر خوف النجوم منه وفرارها من السماء عند ظهوره ، بل خوفنا نحن الكلاب منه ونباحنا عليه كلما ازاح عنه اكفانه وتسلل من قبره فى قلب الظلام ! .. ثم هل تحسب نفسك المخلوق الوحيد الذى لايستطيع النوم حين يسلط القمر عينه على الكون من علاه ؟. انك اذن لمخطىء ، فان جميع

الحيـوانات المفترسة والزواحف التى تعيش في الغابات والحقـول تهجر اوكارها ، اذا ظهر وتجول، حائرة على غير هدى من خوف اشعته الخبيثة الناعمة .. نعم ، ولا شك انك كنت الليلة مشغولا بكل حواســـك بشخص ما فى الحديقة ، والا لرايت بوضوح ان عينه المضيئة التى كانت ترقبك الوقت كله ليست الاعين شبح !. شبح يحلو له دائماً أن يتسلل تحت أشجار الليمون فى منتزه مهجور كى يرعى طلل قصر قديم او معبد مهدم .. أو يسعى فى ممرات مقبرة موحشة فينحنى فوق كل قبر كى يقرأ اسم قاطنه ! أو يتسلل من نافذة الى مخدع آمن كى يطل على النيام فيه بعينيه الباردتين الغبراوين ويزعج نومهم بكابوس مفزع ! ..

ــ كفى يا ليو .. ولنكف عن حديث القمر ، والا فر النعاس الليـلة من اجفاننا ، فقد بدأت اشعر برعدة الخوف ! .. هيا يا صـديقى قبلنى قبلة المساء ولنأو الى فراشنا ..

ــ لـكنك سوف تغلق خشب النافذة ، اليس كذلك ؟

ــ نعم ، فانى أفعل كذلك دائماً حين يبزغ القمر !

ـــ ٥ ـــ

.. وفيما كنا نتناول فطورنا فى الصـــباح التالى همست لليو بنبأ اعتزامى العودة الى باريس تواً ، توخياً للأمان .. فان البدر ســـوف يكتمل الليـلة ، وانا فى السادسة والعشرين ومولاته فى الخامسة والعشرين .. أو لعلها فى التاسعة والعشرين؟ .. وأدرك ليو قصدى على الفور فانه كان قد رآنى احزم امتعتى ، وكل كلب يفهم ما يعنيه ذلك ! ..

ثم هبطت السلم الى حيث كان الكونت يمسك باعنة جواده تأهباً لنزهة الصـــباح ، فسردت له الأكذوبة المألوفة: انى قد استدعيت فجأة الى عيادة مريض فى حالة خطرة ، ولا مفر لى من الذهاب فوراً .. فأبدى لى الكونت اسفه البـالغ وودعنى بتحية حارة ، بعد أن رجوته أن ينوب عنى فى الاعتذار لزوجته الـكونتس عن عدم اسـتطاعتى رؤيتها قبـل سفرى ، بحجة أن الوقت فى هذه الساعة المبكرة .. غيرمناسب ! »

وبلغت مسكنى فى باريس فى المساء بعد سفر مضن ونهار طويل ، فـأويت الى فراشى فى الحال وقد خيل الى أن بى حمى خفيفة ، لـكننى لم استوثق من ذلك فان الأطبـاء فيما يتصـل بأنفسـهم قلما يدققون !

ومن فرط تعبى أدركنى النعاس على الفور .. ولا أدرى كم من الوقت بقيت فى نومى. ثم تنبهت فجأة الى انى لست وحيـداً فى الغرفة ، ففتحت عينى لأطـالع وجهاً شاحباً يطل على من النافذة بعينين غائرتين بيضاوين .. ثم شيئاً يزحف الى داخل الغرفة فوق البـلاط فى بطء وصمت ، حتى يبلغ فراشى فيمد نحوى

ذراعاً طويلة بيضـــاء ، كذراع اخطبوط ضخم .. ويهمس فى وجهى من خلال فمه الخالى من الأسنان، وشفتيه المجردتين من الدم ، بفحيح مخيف: « او لاتفكر فى العودة الى القصر ثانية ؟ .. لكم كانت جلسة لطيفة وخلوة هادئة بالأمس تحت شـجرة الليمون ، والبلابل من حولـكما تصدح باعذب الأصوات ! .. فهل تريد العودة الى نفس المكان الليـلة .. اذن فارتد ثيـابك وتسلق اجنحة اشعتى البيضاء ، التى كنت مؤدباً منـذ هنيهـة فنعتها بذراع الاخطبـوط .. تجد نفسـك مرة اخرى تحت شجرة الليمون فى اقل من دقيقة فان ضـوئى يطير باسرع من احلامك ! »

ـ لست احلم الآن ، انى فى اتم يقظتى ولسـت اريد العودة الى هناك .. فاذهب عنى ياشبح « مفيستو » !

ـ او تحلم انك يقظان .. ولا تريد أن تكف عن اسـتخدام مفردات قاموسك البذىء ؟ .. انك قد اطلقت على حتى الآن : « دون جوان » .. و « العربيد العجوز » .. و « الشيخ المتسكع » . و « شـبح مفيسـتو » .. و « الجاسوس اللعين » .. الخ .. نعم لقد تجسست عليك ليـلة امس فى الحديقة واريد ان اسالك : « اينا يستحق أن يقال له « دون جوان » ؟ .. الا اذا اردتنى ان اسميك « روميو » .. لكنك وايم الحق لا تشـبهه فى شىء ، فمـا تسـتحق الا أن تسمى « الغبى الأعمى » .. الغبى الذى لا يستطيع حتى ان يرى ويدرك ما ادركه كلب ، من اننى شبح ، ليس له جنس ولا سن ولا حياة ! ..

ـ شبح ؟ .. شبح من ؟

ـ شبح عالم ميت .. فاحذر الاشـباح ، وكف من الفـاظك البذيئـة والا اصـبتك بالعمى بومضـة من اشعتى الســحرية الأشـد خطراً على عين الانسان من سهام الشمس الذهبية .. هـذا هو انذارى الاخير لك ايها الحالم المجدف على الآلهـــة .. والآن ، ها هو ذا الفجر يقترب من الافق الشرقى ، فيجب ان اسارع بالعودة الى قبرى والا تعذر على أن ارى طريقى ، فانى عجوز ومتعب .. أو تظن من السهل أن تكون مهمتك التجوال فى الفضاء من المساء حتى الصباح بينما المخلوقات الاخرى كلهـا نائمـة تستريح ؟ .. انك تدعونى شريراً مكتئباً فهل تحسـب فى الامكان ان اكون مرحاً باسما وقد حكم على أن اعيش فى القبـــر ؟ انك ستذهب الى قبرك يوماً ، وكذلك الأرض التى تعيش فيها ، وعندئذ ترى وتحكم ! ..

ونظرت الى الشـبح بامعان ، فرأيت لأول مرة كم هو طاعن فى السـن ، مرهق القسمات .. حتى كدت ارثى له ، لولا أن تهديده باصابتى بالعمى أثار ثائرة غضبى عليه من جديد ، فصحت فيه :

« اليك عنى ايها « الحانوتى » البغيض .. ليس ثمة امل فى ان تجد لك رزقاً هنا .. فاننى حى مفعم بالحياة ! »

.. فعاد الى فحيحه المخيف وهو يزحف على فراشى ويضع ذراعه البيضاء الطويلة على كتفى ويهمس : « اتعلم لم اشرت على ابن عم الكونتس بالاعتكاف فى الفراش اسبوعاً ووضع كيس من الثلج على رأسه . وقربة من الماء الساخن على بطنه .. دون اى مبرر صحى ؟ .. انك لم تفعل ذلك لتنتقم للعصافير البريئة التى كان الشاب مولعاً بصيدها وقتلها ، كما زعمت لنفسك ، وانما فعلته بدافع الغيرة يا ربيب « معطيل » كى تحول بين الفتى والتنزه فى ضوء القمر مع جولييت .. »

ـ ابعد مخلبك عنى ايها العنكبوت الخبيث والا قفزت من فراشى وانقضضت عليك .

وبذلت مجهوداً عنيفاً لرفع ذراعى وجذعى للنهوض .. فافقت من نومى لاجدنى اتصبب عرقاً .. والغرفة يغمرها ضوء فضى ناعم ، وعندئذ سقط القناع عن عينى فرأيت القمر من النافذة المفتوحة فى اتم جلاله وسنائه ، يطل على من سماء صافية لاتشوبها غيوم !.

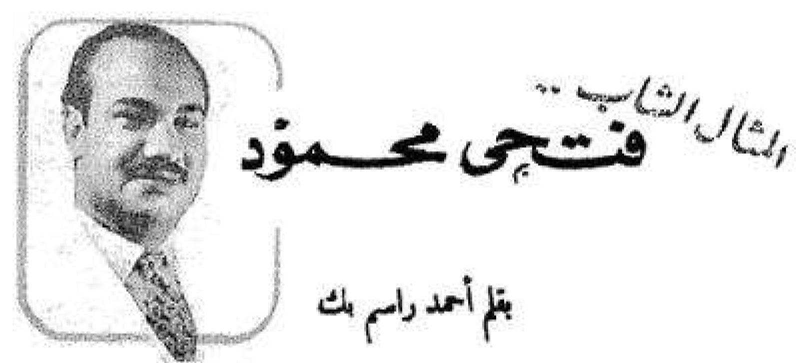
ايتها الآلهة العذراء ، اتستطيعين سماعى فى سكون هذا الليل ؟ .. ما لطلعتك تبدو حزينة ساهمة .. او تعرفين انت ايضاً الأحزان ؟ او تملكين الغفران ؟ او تعينين على النسيان ؟ او فى مقدورك ابراء الجروح ببلسم نورك النقى الصافى ؟ تعالى ايتها الأخت العزيزة واجلسى الى جانبى ، فكم انا متعب .. ضعى يدك الباردة على جبهتى الملتهبة لعلك تسكنين الأفكار التى تبلبلنى .. اهمسى فى اذنى بما ترين ان افعله والمكان الذى اقصده كى انسى .. شبابى !

واتجهت الى النافذة فوقفت ارقب ملكة الليل تخطر بين النجوم ، التى كنت قد عرفتها جميعاً خلال ليالى ارقى الطويلة . ولكن ، ما اسم هذه النجمة المضيئة فوق رأسى ، التى تومىء الى بنورها الثابت القوى ؟ .. اننى اعرفها جيداً ، فكم من ليلة امتطيت فيها قاربى فى خضم البحار الغضبى يقودنى سناها .. وكم من نهار ضللت فيه طريقى بين غابات الجليد فى مسقط رأسى فهدتنى هى الى سواء السبيل ! انها .. النجمة القطبية !

وسمعت همسها فى اذنى : « هذا هو الطريق .. فاتبع نورى تصر فى امان ! »

وفى اليوم التالى شددت رحالى الى القطب ، انشد بين ثلوجه السحيقة زهرة السلوان ، عساها ان تنسينى .. شبابى !

ع ٠ م



المثال الشاب .. فتحي محمود

بقلم أحمد راسم بك

صادف فتحي نجاحا كبيرا وهو في مستهل حياته . وأمكنه وهو في سن مبكرة ان يحتل مكانة محترمة في الاوساط الفنية، ودانت له سبيل الشهرة وكان لم يزل في عهد التحصيل

رأيت لفتحي الطالب تمثاله الذي احرز به الجائزة الاولى لمسابقة مختار في عام ١٩٣٧، وكان لي شرف الاشتراك في التحكيم بين المتسابقين فيها . وترامى الي بهذه المناسبة طرف من جهاده واستعداده الفني . واذكر اني فكرت حينذاك — وانا اتأمل التمثال — فيما قد ينفرج عنه مستقبل هذا الفنان ، وظروفه هي كما علمت ، وباكورة انتاجه هي ما رأيت .. والواقع انني لم اهتم بالمسابقة مع عظم الغرض الذي تؤديه ، قدر اهتمامي بشخص الفنان الذي تفتحت عنه، والعوامل التي بعثت به الى عالم الفن ، ومدى التوفيق الذي قد تؤدي اليه تلك العوامل .. كل هذه الخواطر ، اجاب عنها الفنان بما انتج بعد ذلك وما أصاب من تقدم استرعى الانظار

ان سيرة فتحي كما وقفت عليها تدعو الى شيء من الاعجاب .. فحياته الفنية جهاد ونضال .. ولكنه الجهاد الذي يدعمه الاعتداد بالنفس ، والنضال الذي تذكيه الارادة القوية .. لقد انس في نفسه — وهو لا يزال في مرحلة الدراسة الابتدائية — الميل للفن فعمد في الحال الى مطاوعة رغبته واشباع ميوله .. وشرع يعمل في جو لا يشاطره فيه أحد ، والسبيل امامه شائكة محفوفة بالصعاب والعقبات

استهواه فن مختار ، وافعم به قلبه الغض ، فانصرف الى فن النحت بقلبه ووجدانه، واستعاض عن العاب الصبيان في مثل سنه بالازميل والحجر .. وهو لم يكن يعلم ان هذا الجموح في هوايته ، انما كان مظهرا لقوة فنية كامنة فيه . وما كان ذلك الا اشعاعا ينبثق من تلك الروح الفنية التي وهبها له الله

لم يكن هناك من يرشد فناننا الصغير الى سلوك الدراسة الفنية




تمثالا « عنتر بن شداد » و « شهر زاد » يمتازان بالدقة وبساطة التعبير

الملائمة. فكان جهادا آخر لارضاء نزعته الفنية التى الهمته أن يعنى بتنشئة نفسه بنفسه ، مع ما يتطلبه ذلك من مجهود. وأخذ يتلمس الفن فى أوساطه المختلفة برغبة صادقة وجوانح متأثرة ، فوصل الى الهدف ، ولم يطل به العهد حتى رأيناه يتقدم فى المسابقات ويفوز فيها ، ورأيناه بعد ذلك يسير بخطى واسعة فى التقدم بانتاجه وتحسينه تحسينا يتجلى ظاهرا ملموسا من قطعة لأخرى

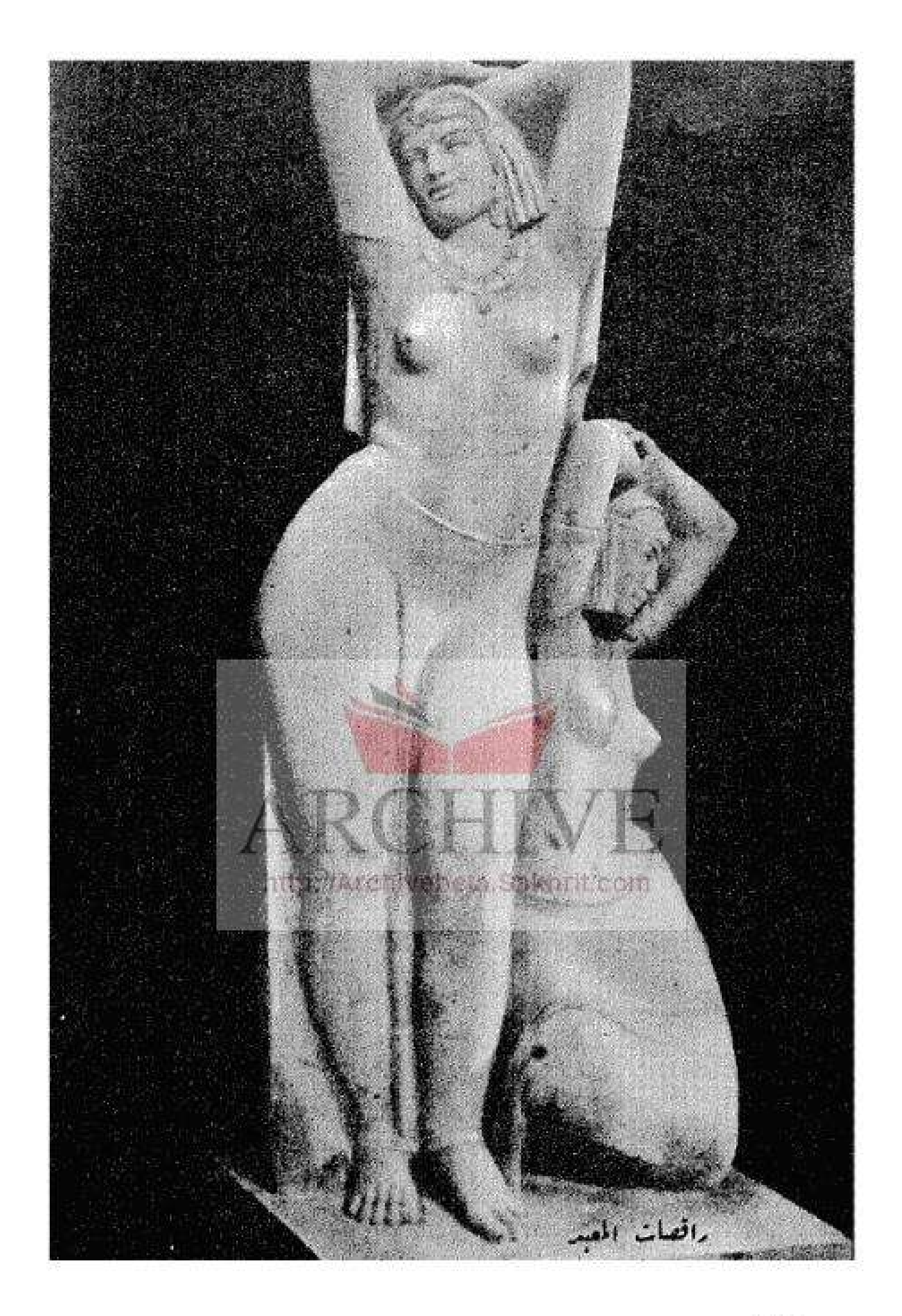
ففتحى نبت هذا الفن. والفن وحده هو الذى تعهد هذا النبت الصغير ، حتى قوى عوده فأينع وأزهر . وأن الفن يطالبه من ذلك وفاء واخلاصا ، فيما يأخذ به نفسه من خطة لاستكمال دراساته وتركيز أسلوبه

ومما يجعلنا نتفاءل خيرا لفتحى توفيقه العجيب ، وبلوغه ما وصل اليه فى هذه الفترة الوجيزة. فكم من نبوغ دفن فى المهد ، لحاجته الى من يقدره أو الى من يتعهده. وكم من همة فتية أعوزها التشجيع والتنشيط . وكم من روح فنية طاحت بها الظروف القاسية ، فانطوت عليها الجوانح متحسرة .. ولكن فتحى بفضل مثابرته وقوة ارادته ، أخضع الظروف حتى واتته ، ثم لقى فوق ذلك تشجيعا مبكرا تفيض معه أمانينا بأن يحالفه مثل هذا



وحدة وادى النيل

مصر والسودان على شكل طائر ، كل منهما أحد جناحيه .. لا تستقيم لهما الحياة فى سماء الحرية إلا معا



راقصات المعبد

التوفيق طيلة حياته الفنية

ولعل نشأة فتحى الاجتهادية، وعدم تقيده بالاوضاع المدرسية وتقاليدها ، جملاه يتحررنوعا من تأثير الدراسات النموذجية ، ويتسامح فى اداء بعض التفاصيل حتى يبرز فكرته . ونحن ان كنا نجد فى ذلك جراة ربما افادت فى بعض القطع ، الا اننا نحذره مغبة التمادى فيها. فليكن فتحى جريئا ، وجميل أن يكون كذلك . ولكن بحرص ، وخصوصا وهو فى بداية الطريق ؛ حتى تسلم شخصيته وهو فى دور التكوين من عوائق المؤثرات الخارجية التى تبدو ظاهرة فى تمثاله « الأمومة » الذى يشبه الى حد كبير رسما« لميكيل آنجلو » . فكلا التمثال والصورة يمثلان تكوين متقاربتين بنفس التفاصيل والاوضاع وفى تخطيطات متشابهة

*

ويكفينا من فتحى الآن انه عين لنفسه هدفا قوميا ، وانه مهد السبيل الى هذا الهدف ، ولا نحسبه ـ قياسا على ماضيه واعتمادا على حظه الوافر من المثابرة وقوة الارادة ـ الا بالغا هذه الغاية قريبا

ومن بين قطع فتحى التى وفق فيها : « شهر زاد » و « راقصات المعبد » ، وكذلك تمثاله لعروس النيل وعنتر بن شداد ، وكلها تمتاز بالبساطة مع الدقة فى تسجيل ملامح الوجه ، وما تنم عنه تلك الملامح من صفات ينفرد بها اربابها . وكذا تمثال الفجرية . فبرغم ما وجه لهذا التمثال من نقد ، لم يكن يقتضيه داع من الدواعى الفنية، فانه بهذه الملابس الشفافة لم يقصد المثال الا اظهار اخلاق هذه الفتاة السافرة مكشوفة . وهو كما يقول ان



إحدى الجنيات تضرب الدف وتزف « عروس النيل »

الملابس عند المرأة الساقطة تفقد قيمتها لستر الجسم . واظهر ما فى هذا التمثال التوازن الذى يبدو فيه واضحا جليا

وتمثاله «على الشاطىء» قطعة فنية رائعة يظهر فيها التأليف القوى ، والتكوين المتين ، والانسجام فى الاوضاع والخطوط . وهو فوق ذلك يفيض حيوية .. ويجعلك تحس بالجو الذى نعيش فيه

*

وأما تمثال « نحو المجد » او « مصر الظافرة » الذى نشر على غلاف الهلال منذ عام ، فهو من احسن ما انتجه فتحى ، فمصر الحديثة تبدو وقد استردت مجدها الحربى القديم ، واستمدت القوة التى ينم عنها قوامها الممتلىء فتوة وحيوية من باس ابنائها البواسل . وفى امتشاقها الحسام دليل على صدق عزيمتهم فى الذود عن بلادهم . وتظهر القوة فى هذا التمثال فى الحركة العنيفة مع التوازن التام فى خطوط الذراعين

*

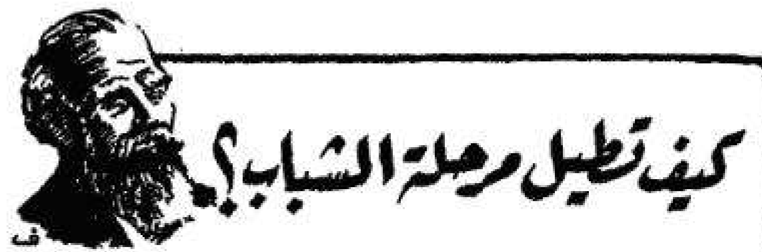
وفى تمثاله «وحدة وادى النيل» الذى تقدم به اخيرا فى المسابقة التى اقامتها « دار الهلال » أجاد فتحى فى تمثيل الفكرة ، اذ رمز للوحدة بالقرآن الكريم وقد امسك به ملكان كريمان احدهما بملامح أهل شمال الوادى ، والآخر بملامح اهل الجنوب ، والتاج يرعى هذه الرابطة المقدسة

وهذه ميزة أساسية فى فن فتحى . فهو يصور عادة فكرة مبتكرة واضحة معينة . وهو اذ يعبر عن فكرته ، يتمثلها دائما حتى فى ادق التفاصيل .. ثم هو بليغ فى فن التعبير عن النواحى النفسية التى يود ان يظهرها

أحمد راسم



أمير من قصص ألف ليلة وليلة يحتضن معشوقته وهو على جواده الطائر



كيف تطيل مرحلة الشباب؟

ليس الاحتفاظ بالشباب قضاء وقدراً .. وإنما هو فن من الفنون الجميلة ، وعلم ومعرفة ، وخطة حكيمة يمكن أن يسير عليها الرجال والنساء

من الناس من يبلغ الشيخوخة وهو بعد في عنفوان العمر ، ومنهم من يموت في سن الثلاثين ويدفن في الستين أو السبعين أو المائة . ومن الفتيان الاشداء اليافعين من يودع مرحلة الشباب في نهاية شهر العسل ، أو قبل انقضائه بايام . ويمكن ان يقال بوجه عام ، ان الغدد تأخذ في الضعف تدريجا ، وينقص افرازها للهرمونات ، بعد الخمسين . . على أن الرجل الذى يعيش عيشة وادعة ، رضية ، يستطيع ان يحتفظ بقوته الى حد كبير الى ما بعد ذلك بعشرين سنة أو اكثر

•

الانسان كالسيارة تماماً من حيث قدرته على الاحتفاظ بقوته ومظهره وكيانه . فمصنع فورد يخرج السيارة ويقدر لها ان تعيش عدداً معيناً من السنين ، اذا ما استعملت استعمالا عادياً معتدلا . كذلك سائر المصانع . . فاذا ما أساء صاحبها استعمالها بأن داب على سرعة ٨٠ ميلا فى الساعة بدلا من ٤٠ ، أو اعتاد قيادتها فى طرق حجرية وعرة غير ممهدة ، فانها تعطب ، ولا تعود صالحة للسير ، أو على الاقل تهبط سرعتها تدريجا ، ويقصر عمرها الى ثلاث سنوات أو سنتين أو سنة واحدة ، بدلا من عشر سنوات . قف فى أحد ميادين القاهرة ، وتأمل السيارات التى تمر منها عشرات كل دقيقة . تجد سيارتين من « ماركة » واحدة ، ومصنع واحد ، وعمر واحد ، ولكن احداهما لامعة كاللؤلؤة المصقولة ، تجرى بخفة وسهولة ورشاقة . اما الاخرى فمهشمة ، تنفث من باطنها انفاسا متقطعة ، واصواتا نكرة

•

انت ايها القارىء العزيز كذلك . . كتب عليك يوم ان وجدت فى عالم الوجود ـ وقبل ان ترى عالم النور بتسعة اشهر ـ كتب عليك أن تعيش سنوات معينة ، لا لان قوة خاصة ارادت ذلك ، ولكن لأن ما اكتسبته من والديك من عوامل الوراثة ، كان كالمواد التى

امدها مصنع فورد فى الانتاج ، فكان لابد لك ان تعيش عدداً معيناً من السنوات ، فيما اذا لم تسيء استعمال بدنك — وعقلك — ولم تسر به بسرعة فوق المعقول، فوق طرق من طرقات الحياة الحجرية ، الوعرة ، غير الممهدة !

وليس معنى هذا ان الاحتفاظ بالشباب، يتطلب الخمول والتواكل والكسل . بل على النقيض من ذلك ، كلما نشطت ، وفكرت ، وثابرت على عمل تحبه، وتحسنه، وتولع به ، فى حدود المعقول ، تضاعفت حيويتك ، واستطعت ان تكون شاباً من شرخ الصبا الى سن متاخرة جداً من العمر. ومن الاقوال المأثورة للفيلسوف الألمانى « غوته » : « ان الرجل المعتدل فى عيشته ، راجح العقل، محب العمل ، لايمر بمرحلة المراهقة مرة واحدة ، بل مرات عدة » . وقد كان « غوته » احد هؤلاء السعداء ، فقد بقى الى اليوم الأخير من شيخوخته شاباً ، يحب فيمعن فى الحب ، ويغازل فيمعن فى الغزل ، وينتج بدائع الفن والادب ، فيمعن فى الانتاج

وكان « فيكتور هوجو » فى سن الثمانين ، حينما نظم تلك القصائد الغرامية ، التى تنبيء عن حيويته ، وتشببه . وما كانت لتبلغ ما بلغته من الروعة ، لولا استمتاعه بقوة الشباب فى تلك المرحلة المتأخرة من الشيخوخة

وليس الاحتفاظ بالشباب قضاء وقدراً . وانما هو فن من الفنون الجميلة ، وعلم ومعرفة ، ولون من الوان الحياة ، وخطة حكيمة موضوعة ، وفلسفة يسير المرء بموجبها ، ولعل خير مثال لهذا اللون من الوان الحياة ، هو « الصالون » الفرنسى بين سنتى ١٦٠٠ و ١٨٠٠ . فلم يكن رواد هذه « الصالونات » — وهى مجالس ادب ، وفلسفة ، وعلم ، وفن ، وحب — لم يكن روادها من الشبان ، وانما كان اكثرهم من الشيوخ ومتوسطى الاعمار ، واقلية منهم فى مقتبل الشباب . وقد كانت هذه الفترة فى تاريخ فرنسا ، عصراً ذهبياً لم يعهده التاريخ سوى فى عصر بركليس الاغريقى » . ولو رجع فتيان هذا العصر وفتياته — فى القرن العشرين — الى دراسة تراجم شهيرات النساء الفرنسيات، اللاتى اقمن تلك الصالونات ، واختلفن اليها ، لدب الحسد فى قلوبهم ، وودوا لو استطاعوا ان يكون لهم ماكان لاولئك من نضرة الشباب فى سن الشيخوخة . فقد عاشت اولئك النساء حتى النهاية ، ودم الشباب يجرى فى عروقهن ، كما كان الراح يجرى فى كؤوسهن ، الى ساعة متأخرة من الليل

والتاريخ الاغريقى حافل بذكر النساء اللاتى احتفظن بجمالهن وشبابهن الى سن متاخرة. ومن هؤلاء خليلات : « افلاطون » و «بركليس» ، اللاتى تجاوزن سن الشباب بزمن ليس بقصير، ومع ذلك كن فى مقدمة الجميلات اللاتى تهافت الرسامون والمثالون

على اتخاذهن نماذج لرسومهم ، وتماثيلهم الفنية الرائعة

وعلى القارىء ان يعيد الى ذاكرته ذلك الجيش الجرار من نساء هذا العصر ورجاله الذين تشحب وجوههم، ويذهب بريق عيونهم وشعورهم ، وتتجعد جباههم ، ويبدون فى سن الستين وهم بعد لم يتجاوزوا الثلاثين !

●

واكثر الناس انما يبلغون مرحلة الشيخوخة او الهرم ، وهم فى منفوان الشباب، لانهم لايحسنون قيادة « السيارة ». فيستمرون فى السير بها بالرغم من الضوء الاحمر ، يحملونها بالمتاع والاصدقاء فوق حمولتها المقررة ، ويستنفدون إقصى حد الطاقة فيها ، وهى تلهث من التعب ، وتستنجد بغير جدوى . ومما يدعو للدهشة ان الكثيرين يحسنون قيادة «كريزلر» و « بكار» و « كادلاك » ويعنون بآلاتها ومظهرها الخارجي ، ولكنهم لا يحسنون قيادة اهم هذه السيارات وادقها.. انفسهم. فاذا قلبت لهم الايام ظهر المجن، امعنوا فى الحزن واليأس . واذا لم ينزل الناس على رغباتهم ، استشاطوا غيظاً . واذا توعك مزاجهم ووهن بدنهم ، ابوا الا ان يواصلوا فى العمل ليلهم بنهارهم . واذا اتيح لهم تقرب النساء منهم،انغمسوا واستهتروا، وبذلك تحترق اعصابهم وتهن ابدانهم ويتصدع وجدانهم !

والأمثلة التاريخية التى احترق فيها امثال هؤلاء قبل الاوان كثيرة . وقصة الامير «كونتى » فى بلاط لويس الخامس عشر درس وعظة . فقد وجد عنده يوم وفاته نحو ٤٠٠ خاتم و ٨٠٠ علبة نشوق ، وقد نقش على كل منها اسم الخليلة التى اهدته ذلك الخاتم او تلك العلبة !

●

وعلينا ، كى نطيل مرحلة الشباب ، أن نذكر الاشياء الآتية:

(١) لندرس منذ نعومة اظفارنا آلة « السيارة » البشرية ـ جسم الانسان ـ اذ انها أعجب آلة عرفت الى الآن، وادقها صناعة ، واشدها تعقداً

(٢) لنتعلم قيادتها ونتبع فى ذلك قوانين « المرور » وانظمته بكل دقة

(٣) لنحافظ على سلامة آلتها، ونحط مظهرها الخارجى بكل عناية

(٤) لنتجنب كل ما من شأنه ان يعرض هذه السيارة الى الخطر او الضعف والوهن ، خصوصاً السرعة الجنونية الخاطفة

(٥) لنعلم اننا لسنا آلات صماء او حيوانات عجمى، وانما الانسان مخلوق ادبى ، له وجدان وشعور وحياة عقلية ، اوسمها اذا شئت نفسية او روحية . وهى قوة مستترة غير منظورة ، وينبغى ان نحافظ عليها

(٦) واخيراً .. ليس المهم ان نستعيد شبابنا ، بل المهم والأجدى ان نحتفظ به ، فتطول مرحلته

أشعر الشعراء الأحياء

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام بك

نشرنا فى عدد أكتوبر الماضى مسابقة خاصة بأشعر الشعراء الاحياء ، وقد بعث الينا الدكتور عبد الوهاب عزام بك هذه الكلمة لهذه المناسبة ننشرها هنا ، ثم نتبعها بنتيجة المسابقة وأسماء حضرات الفائزين

ذكرتنى مسابقة اشعر شعراء العرب الاحياء التى اقامتها الهلال ، بما حفلت به كتب الادب القديمة من آراء الناس فى اشعر الشعراء فى الجاهلية أو الاسلام

قيل: امرؤ القيس اشعر الشعراء ، لانه اول من وقف على الديار وشبب واجاد التشبيب

وقيل : زهير اشعر ، لانه لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع وحشية ولا يمدح احدا بغير ما فيه . ولشعره ديباجة ان شئت قلت شهد ان مسسته ذاب ، وان شئت قلت صخر لو رديت به الجبال لازالها

وقيل : الاعشى اشعر ، لانه امدحهم للملوك وأوصفهم للخمر واغزرهم شعرا

وقيل : طرفة اشعر ، لانه بلغ بحداثة سنه ما بلغ القوم فى طول اعمارهم .. الى اقوال اخرى فى تفضيل شاعر على الشعراء جميعا . ومن الرواة والنقاد من رتب الشعراء كما قال أبو عبيدة : امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة

وكذلك اختلف الناس فى شعراء العصر الاسلامى ، اختلفوا فى جرير والفرزدق والاخطل ، كما اختلفوا من بعد فى ابى تمام والبحترى والمتنبى . ولكن اختلاف المتأخرين كان على آراء مفصلة ، ومذاهب فى النقد مبينة ، حتى وضعت كتب كاملة فى تفضيل شاعر او الدفاع عنه . كما كتب القاضى عبد العزيز الجرجانى الوساطة بين المتنبى وخصومه ، وكتب الصولى اخبار ابى تمام والف الآمدى الموازنة بين ابى تمام والبحترى

واذا نظرنا الى احكام المتقدمين وجدناهم يفضلون شاعرا لفن

من الشعر نبغ فيه ، دون أن ينظروا الى فنونه كلها والى فنون الشعراء الآخرين كذلك ، بل ربما يفضلون الرجل لقصيدة واحدة أو لأبيات قليلة

وقد احترز بعض النقاد من الاحكام العامة ، فقالوا فلان أشعر فى ضرب من الشعر ، كما قيل أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب ، والاعشى اذا طرب ، وزهير اذا رغب ، انهم يعنون أن امرء القيس أوصف للخيل والصيد ، والأعشى أقدر على وصف الخمر ومجالس الطرب ، والنابغة أسبق فى المدح الذى تدفع اليه الرغبة فى المكافأة . ومن النقاد من قصر حكمه على قصيدة أوبيت فقال : فلان أشعر الناس قصيدة أو أشعرهم بيتا الخ

والحق ان تعميم الحكم مظنة الغلط فى كل الامور الادبية وغير الادبية . والحازم من قضى فى أمر محدود يحيط به علمه ، ويستغرق نظره . بل الحكم فى أمر جزئى عسير وعرضة للخطأ لاسيما فى المسائل الادبية التى تتصل فيها الاحكام بالذوق والعاطفة ودرجة الثقافة . وقل أن تخلو النفس من هوى أو تسلم من عصبية وان اجتهد الناقد فى تنزيه نفسه عن العصبية والهوى

*

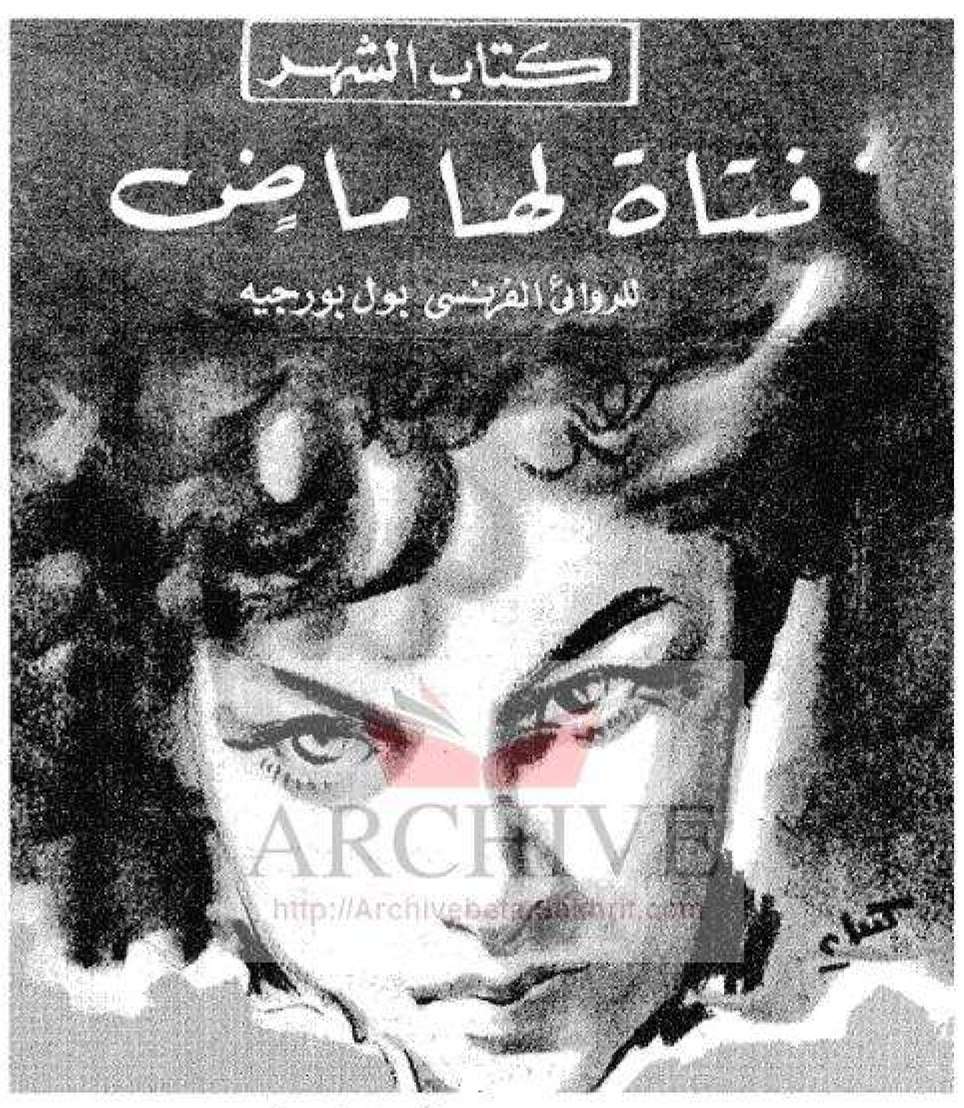
وبعد ، فقد سأل الهلال عن أشعر الشعراء المعاصرين . وعد جماعة يراهم شعراء العصر . وربما يخالفه الناقد فى ذكر واحد من هؤلاء بين كبار الشعراء ، أو اغفال واحد أو جماعة لم يدخلهم فيمن عدهم كبار شعراء العصر . ولن يستطيع الناقد ان قصر حكمه على هذه الجماعة ان يوازن بينها ، الا ان يقرأ ديوان كل واحد منها قراءة ناقد متثبت ، ويكون قد عنى بها وقرأها واستقر على رأى فيها على مر الزمان . . وليت شعرى من فعل هذا من النقاد ؟

ولست أنكر أن شاعرا يبرز فى عصر حتى ينقطع القياس بينه وبين معاصريه ، فلا يختلف الناس أنه أشعرهم ، ولكن هذا نادر

واحسب الذى دعا الى هذا السؤال ان الناس ألفوا أن يسموا أحمد شوقى رحمه الله أمير الشعراء ، فلما توفى رغبوا الا تبقى امارة الشعر شاغرة . واذا نظرنا فى تاريخ الآداب الشرقية ، وجدنا ألقاب الامارة والملك معروفة بين شعراء ايران مثل ملك الشعراء معزى . وقد تلقب بلقب ملك آخرون من شعراء الفرس من بعده وفى عصرنا هذا يعرف الشاعر الكبير بهار بلقب ملك الشعراء . وهو أستاذ فى جامعة طهران

وأما فى تاريخ الادب العربى فلم تعهد هذه الالقاب . . وبعد ، فان لم يكن بد من بيعة أحد الشعراء المعاصرين بالامارة أو الملك ، فأيسر وسيلة لذلك أن يجتمع الشعراء وحدهم ويختاروا لأنفسهم من بينهم ملكا أو أميرا عليهم : فان فعلوا فليس بعد رأيهم مقال لقائل

عبد الوهاب عزام



عرض وتلخيص الأستاذ حلمى مراد

عند ما وضع « بول بورجيه » هذه القصة فى عام ١٩٢٨ كانت المرأة العربية تجتاز دور الانفعال ، أو الانقلاب ، الذى تجتازه المرأة الغربية فى هذه الأعوام . . فهى قصة الفتاة العصرية التى انساقت فى تيار التشبه بالرجال ، وامتهنت مهنهم ونسيت أو تناست أنها امرأة ، لكن الرجل لم ينس .. ولا يكاد يلتقى بالمرأة حتى ينسى هو ، وتنسى هى ، أنها محامية أو طبيبة أو معلمة أو موظفة ، ولا يذكر إلا أنها أنثى !

— ١ —

الضباب الكثيف يحجب شمس الصباح عن سماء باريس ، ويسدل ستارا من الظلام على ذلك الجزء من الحى اللاتينى الذى لا يزدهر عادة الا فى الربيع والصيف .. أما الآن — فى الخريف — فقد قل مرور السابلة فى شارع سان ميشيل ، المواجه لمحطة « اللوكسمبرج » ، فيما عدا جموع الطلبة الذاهبين الى مدارسهم أو العائدين منها ، والموظفين الذين تقع دوائر أعمالهم فى تلك الطريق

فلندخل مع نفر منهم الى فرع شركة « الجران كومبتوار » ، التى يديره المالى الشاب « جاك ريدول » ، حيث نرى البهو الكبير مزدحما بالعملاء ، وموظفى الشركة من الرجال والفتيات منهمكين فى العمل ، منهم من ينحنى على الاضابير ، ومن يحرر القسائم ، ومن تنقر على الآلة الكاتبة ، على ضوء الكهرباء التى تلألأ مصابيحها المضاءة سقف المكان بسبب الضباب ، برغم اننا فى الصباح !

وفى ركن من القاعة نرى فتاة واقفة وراء الحاجز الخشبى الذى يفصلها عن العملاء تقلب دفاتر الحسابات ، وتتطلع بين الحين والآخر الى باب غرفة المدير فى قلق ظاهر ..

ثم تحزم أمرها أخيرا فتحمل الدفاتر والاضابير وتسير بخطوات ثابتة نحو غرفة المدير ، حتى تبلغ بابها .. فتتريث برهة أمامه كالحائرة ، تتبع بعينيها السراويل شبحا يبدو ظله من خلال زجاج الباب المدهون — شبح امرأة تذرع غرفة المدير فى الداخل

ولحظت أعين زميلات الفتاة وزملائها أن وقفتها قد طالت ، فبدأ الهمس يدور وينتقل من فم الى أذن . قالت واحدة منهن لجارتها وهى تنقر على الآلة الكاتبة: «أرأيت يا «فرنسواز» كيف أنها تتردد فى الدخول ؟ » ..

فأجابتها هذه: «نعم انها تبدو خائفة . ولكن مم ؟ »

— مم ؟ .. ألم تلحظى دخول مدام ريدول منذ هنيهة ، مع طفلها ومربيته ؟ .. ان زوجة مديرنا الرشيق لا تحب الموظفات الجميلات ، لهذا تخشى « آنييس » أن تدخل فتلتقى بغريمتها .. ألا تعلمين ان الفتاة متيمة بـ « ريدول » ، حتى لم تعد تملك زمام عقلها ؟ .. آه ، ما أصدق الشاعر الذى قال « أيها الحب .. عند ما تصيبنا يجمل بنا أن نقول : وداعا أيها الحذر . وداعا أيها العقل ! »

.. وبينما كان هذا الهمس ومثله يدور بين الزميلات الحاسدات لـ « آنييس » كان لغط آخر مماثل يدور بين الزملاء الحاسدين لـ « ريدول » .. فقال أحدهم لجاره وهو يرقب تردد الفتاة أمام الباب ، ويبتسم ابتسامة ذات معنى: «ترى هل ستدخل أم تتراجع ،

« دجاجة » مسيو جاك ريمول هذه ؟ »
فأجابه الآخر «انك تعال ياصديقي ..
فانى أعمل هنا منذ شهر .. وبرغم
ذلك لم ألحظ على مدموازيل آنييس
ديلاس غير دلائل التحفظ .. »

ـ صه ! .. ان زميلنا « جوزيف
لينييه » يسمع حديثنا .. انظر كيف
يرتجف القلم في يده !

ـ أهو يحبها اذن ؟

ـ أوهوه .. أين عيناك وأذناك
يا عزيزى ؟ ان قصتهما صارت حديث
الشركة كلها .. آه ، انظر .. لقد
دخلت الدجاجة أخيرا غرفة «الديك»!
والآن يمكنك أن تستمتع بمنظر فم
« لينييه » وهو يختلج . يا له من
منظر طريف .. انالفتى يتميزقلقا ..
كم هو ساذج مخدوع !

كان «لينييه» فى الثلاثين،شابا دمث
الخلق طيب القلب ، يظهر ما يبطن ،
وكان لونه الشاحب وخداه الغائران
وشعره المتناثر وبدنه النحيل تنبىء
كلها عن مزاج صاغته الاحزان
والاشجان ، كما ينبىء انسانا عينيه
الزرقاوان تحت أجفانه المختلجة عن
حساسية حادة مكبوتة .. أما الشريط
الرفيع المعلق بعروة سترته ، فيشهد
بأنه منذ عشر سنوات ، حين كان
حدثا ، أدى واجبه فى جبهة القتال
يبسالة . وأما هندامه فبسيطمتواضع

وتعلقت عيناه بالفتاة وهى واقفة
بالباب ، فغمرتاها بنظرة أفصحت عن
حبه الكظيم ، ثم تنبه لنفسه فطوىذيه
على همه ، وعاد ينكب على عمله بفؤاد
كسير ، وقد أخذ يسائل نفسه : «ترى
هل بين آنييس وريمول علاقة خفية
تجاوز علاقة المرؤوسة برئيسها ؟ ..
وهل لفروض وأقاويل زملائه الساخرين
ما يبررها من الحقيقة ؟ » ..

ووجدت آنييس فى الغرفة أشخاصا
أربعة : الزوجين ، ومربية ممسكة
بيدها مقبض عربة يمرح فيها طفل لا
تزيد سنه فيما يبدو عن عام ، وكان
أبوه جالسا فوق السجادة ينعم بملاعبته
وهما يتضاحكان ..

أية خواطر أثارها ذلك المشهد
البرىء فى رأس ، ونفس ، آنييس ..
حتى تغضن جبينها على هذا النحو ؟
.. ولم تلبث الزوجة أن خرجت
بعد حين ، فألقى ريمول نظرة عاجلة
على الاوراق التى جاءت بها الفتاة ثم
قال : حسن للغاية .. انك كعهدى بك
تنالين مكافأتك . أتعلمين أن أسهم
«بترول أوفيرنيه» فى صعود مستمر ؟
سوف أخبرك لتبيعى نصيبك منها فى
الوقت المناسب .. وآمل أن أحظى
منك يومئذ بكلمة شكر ، مصحوبة
بابتسامة لطيفة من ابتسامات الماضى!»

ثم نهض ، فألقى نظرة على الباب
استيقن منها أنه محكم الغلق ..
وعندئذ اقترب من آنييس وهم بأن
يتناول يدها .. لكنها تراجعت قائلة
فى حدة : «لا تلمسنى!» .. فهدا فى

اصرار: « أهكذا نسيت كل شيء أيتها الخبيثة الصغيرة ؟ »

فأجابته ساخرة : « بالعكس .. فانني لم أنس شيئا ــ وخاصة شارع دومبال ! ــ فأرجو ألا تخاطبني بهذه اللهجة ، ولقد وعدتني بذلك ، فكن عند وعدك ! »

شارع دومبال ؟ .. ان اسم هذا الطريق الباريسي الصغير الذي أشارت اليه الفتاة في عبارتها ، لا بد يقترن في ذاكرتها بحادث أليم .. لكن جاك ريدول لم يكن فيما يبدو يقدر شعورها بازاء تلك الذكرى ، فقد هز كتفيه وأردف بلهجة جافة: «شارع دومبال! لقد أديت لك يومئذ خدمة كنت أنتظر ان تشكريني عليها » .. ثم استطرد في لهجة المتأثر الحزين: «لقد انتهى كل شيء يا آنييس، وها أنذا بعد عامين ما أزال ذلك الشقي في حياته وبيته ! »

فأجابته في احتقار مرير: «لن يشك أحد في ذلك حين يراك تساق طفلك!»

ــ لن تستطيعي لومي على حبي لطفلي!

ــ ولن تستطيع لومي على انى أذكر أنه في نفس السن التي كانت تصير لطفل .. لو أنه عاش !

وساد بينهما سكون مفجع .. فأرخى هو عينيه ، بينما التهبت في عينيها شعلة من نار البغضاء ، ثم خرجت مسرعة في اضطراب ظاهر .. ولم يكد يلفظها الباب حتى تلقفتها عيون زميلتيها وزميليها الذين كانوا يخوضون في سيرتها ، فقال أحدهما لزميله : « أراهن ، ان آنييس سوف تتحدث مع « لينييه » فتهدئه، ثم يخرجان معا ؟ »

ــ وماذا في ذلك ؟ ألم تخرج أنت بالأمس فقط مع جولي ؟

ــ المرة الواحدة غير المرات المتوالية فعند ما يتكرر الامر كل حين يكون هناك ولا بد .. شيء ! .. ومن يدري ما سوف يناله « لينييه » من «عطف» المدير من وراء ذلك ؟

ــ كيف .. ألا يغار منه ؟

ــ يا لك من غرير .. ألا تعلم ان السذج لا يغارون من غرمائهم العشاق الذين يجلبون المنفعة ؟ .. ان القلب شيء شديد التعقيد يا عزيزي !

وكانت آنييس قد عادت الى مكتبها فرتبت أوراقها في عجلة ، وفعل جوزيف لينييه مثلها ، ثم توجهت نحو خزانة الثياب لأخذ قبعتها ومعطفها ، فلحق بها هناك حيث ارتدى معطفه .. ثم سارا معا الى الباب ..

لكن صوت مسيو ريدول لم يلبث أن أوقفهما: «مسيو لينييه .. لي عندك بعض الاستيضاحات »

ــ طوع أمرك يا سيدي الرئيس. لحظة واحدة يا مدموازيل ديلاس

ــ لا داعي للعجلة .. سأنتظرك على الرصيف ..

« على الرصيف ؟ .. غمغم فيرما لزميله ، انه بالضبط مكانها ! »

— ٢ —

« دع أخطاء الامس حيث هي » · · حكمة خالدة فاه بها الامبراطور مارك أوريل · · ولكن هل وعاها لينيه ، وعمل بها ؟

منذ التحق بهذه الشركة « الجراند كومبتوار »وعلق قلبه بزميلته «آنييس ديلاس » وهو يحاول ان يصل الى معرفة اللغز الذي يخص حياتها ، ويهتدى الى يقين في شأن الاقاويل التي تلوكها الألسنة عن علاقتها بمدير الشركة « ريمول » · · فهو لا يفتأ يسأل نفسه في حيرة مرة تتزايد كل يوم: «هل هي حقا عشيقته؟ واذا كانت كذلك فلم تركته هو يلاحقها ويخطب ودها ، بل · · ويطلب يدها ؟ »

كان ذلك في نفس المكان ، ونفس الساعة، من أحد أيام سبتمبر الصافية · لم يكد هو وآنييس يسيران خطوات بعد انصرافهما من العمل حتى اندفع يقول لها ، في حدة الخجول غير المجرب عند ما يصمم على مغالبة خجله والافصاح عن مشاعره المكبوتة : « مدموازيل ، اعذريني · · فان هذا السر يكاد يزهق أنفاسي · انى أحبك · · فهل تقبلينني زوجا لك ؟ » · · وكان قد تلعثم واضطرب وهو يلقى بذلك « التصريح » ، حتى لمت الدموع في عينيه ! · · أما آنييس فاعتراها شحوب شديد ، زاده اقتناعا بأنها تحبه ، أو في القليل تميل اليه ، وأمده بشجاعة جعلته يتابع كلامه في اصرار: « آه ، أجيبي · · قولي « نعم » فأغدو أسعد الناس · · فلكم أحبك ! » · ·

وعندئذ وجدت الفتاة صوتها كي تجيبه في اضطراب : «لا أستطيع أن أجيبك الآن ، فانى لم أكن مهيأة لسماع شيء كهذا »

وساد بينهما صمت ثقيل ، كانا خلاله قد بلغا ناصية الشارع الذي يقع فيه مسكنها ، فقالت هي: «نحن الآن على مسيرة خطوات من منزلنا · · وقد تأخرت ، ولابد ان جدى ينتظرني للغداء · · فلنفترق الآن ولنرجيء الكلام في الامر الى غد » · · ثم مضت، وهو يرمقها بنظراته الولهى حتى اختفت داخل باب منزل عتيق · ·

· · وجاء الغد ، فالتقيا · · لكنهما سارا أول الامر صامتين ، حتى بلغا طريقا جانبيا هادئا ، فسبقت الفتاة الى قطع حبل صمتهما قائلة — دون أن تنظر اليه : « لقد فكرت جيدا فيما عرضته على يا مسيو لينييه · وانني لمدينة غاية الامتنان من عاطفتك نحوى ولكن يؤسفني الا أستطيع اجابتك الى طلبك ، لأني لا أنوى الزواج قط ! »

فتمتم الشاب متلعثما : « ولكن · · يا مدموازيل · · هل تحرمينني حتى من الأمل في أن تعدلى عن رأيك

هذا يوما ؟ .. قبل أن تجيبى كونى على ثقة من انى لن أعدل عن طلبى ، ولن تتحول عاطفتى .. فهل لو جئتك بعد عام ، أو اثنين ، أو فى أى زمن فى المستقبل، مكررا طلبى.. هل ؟»

.. فقاطعته وهى تؤكد كلماتها بنظرات الاصرار من عينيها: «بعد عام أو اثنين سوف تسمع منى الجواب عينه . أكرر لك انى لا أنوى أن أتزوج ، أو على الاصح يجب ألا أتزوج» ثم استدركت مسرعة: « ذلك بسبب جدى ، اذ ليس له سواى .. وقد قررت ألا أتخل عنه أو أتركه قط ، فهو ضعيف الحيلة ولن يستطيع فى شيخوخته الاستغناء عنى »

ــ ولكن من حدثك عن تركه ، أو التخلى عنه ؟ ولم لا يعيش معنا ؟

ــ ما أطيبك !

قالتها وقد أخذت أهدابها تلتقى فى قبلات عصبية سريعة ثم عن انفصالها ثم استطردت وهى تهز رأسها فى عزم: « أبدا ، لن يقبل جدى .. فان أفدح تضحية فى نظره هى أن يضطر لهجر مسكنه الذى يقطنه منذ خمس وثلاثين سنة ، .. المسكن الذى ولدت فيه أنا ومات فيه والداى .. كلا ، محال أن يحتمل قلبه الواهن صدمة كهذه.! »

وسادت فترة صمت .. قطعها الشاب أخيرا بقوله فى لهجة تنطق بالاسى: «اذن.. لم يبق الا أن أطلب منذ الغد نقلى الى فرع آخر للشركة!»

وفوجئت الفتاة .. فاعترتها رجفة فزع سرعان ما قهرتها واستعادت هدوءها فابتدرته قائلة: «كلا يامسيو لينييه . لا تطلب نقلك .. أرجو ألا تفعل .. » ثم استطردت وقد كست خديها حمرة الخجل ، من اضطرارها الى هذا التوسل الذى فيه افصاح بل شبه اعتراف بحقيقة مشاعرها : « انى وحيدة فى الشركة .. أعنى انى أشعر بوحشة كئيبة ، أينما تلفت أحس بأن الجميع ــ ما عداك ــ يرمقوننى بالعداء والبغضاء بلا سبب ! تقول انك تضمر لى غراما ، فهلا استطعت ان تحبنى ببساطة ، حب صداقة فحسب ؟ .. لست أنكر أن قليلين ــ وبخاصة فى هذا العصر الذى تطغى عليه المادية ــ هم الذين يؤمنون بالصداقة الحقة بين رجل وامرأة..»

ثم ارتسمت فى عينيها نظرة مهمومة وهى تردف : « .. ولكن .. هذا يتوقف على كل من الرجل ، والمرأة.. فاذا لم تكن هذا الرجل ، القادر على فهم ما أقول والاحساس بجاذبية الصداقة التى من هذا النوع ، فانى أكون سيئة الحظ . فهل تقبل أن تكون صديقى الاكبر ؟ .. لن أقيدك بغير شرط واحد ، هو أن تعاهدنى على ألا تحدثنى قط عن .. الحب ! »

▭

.. وعاهدها ! .. ووفى بوعده ثلاثة أشهر كاملة ، لم ينقض عليه منها

يوم لم يقاس فيه من فكرة احتمال وجود علاقة غير عادية ، بين آنييس وريدول ..

وأرهقت لينييه ـ أكثر من مرة ـ الرغبة فى أن يقطع الشك فى أمرها باليقين ، فيسألها فى ذلك صراحة ، ويظهر لها غيرته ، لولا خوفه من ان تعتبر ذلك منه خرقا « للميثاق» المعقود بينهما ..

وهكذا ظل حلمه بالزواج من آنييس ، المحور الذى تدور حوله أفكاره على الدوام . لكنها دائما كانت تصطدم ـ كما فى هذا الصباح ـ وهو يتم العمل الطارئ الذى كلفه به رئيسه و «غريه» ـ بنفس السؤال الذى لا جواب عنه .. اذا كانت تحبنى ـ كما تدل الشواهد ـ فما الذى يمنعها من قبول الزواج منى ؟ .. هذا ما يجب ان أعرفه ، وما سوف أعرفه .. فقد وجدت الوسيلة الى ذلك : أن أحدثها عن خطيئة امى .. كى تفهم ـ لو كانت فى ماضيها سقطة ما ـ ان سقطتها مغفورة لها مقدما ! .. انها ستكون مهمة قاسية على .. لكنها أقل قسوة من هذا الشك »

ـ ٣ ـ

وحين أتم عمله ، ولحق بالفتاة سار الاثنان بخطوات نشطة .. وكان الفتى بادى الأسى متدرعا بالصمت التام ، الى حد أثار دهشتها .. فابتدرته آخر الامر متسائلة: «لكم تبدو مكتئبا يا جوزيف .. أتعانى همّا ؟ »

ـ نعم ، فاليوم ذكرى وفاة أمى ..

ـ آه .. أذكر أنك قلت لى أنها عاشت منفصلة عن أبيك منذ طفولتك، وانك لم تكد تعرفها . لهذا خشيت دائما أن أسألك عنها فأنكأ جرح قلبك

ـ هذا صحيح .. ولعله من واجبى فى يوم ذكرى المسكينة أن أظل صامتا ، لكنك صديقتى يا آنييس ، وأمام الصداقة تسقط الأستار ، لهذا تانى سأروى لك مأساتها على حقيقتها .

كانت أمى رائعة الجمال ، نشوانة بجمالها ، الى حد التهور أحيانا ! .. وفى الوقت نفسه كان أبى مثالا لرجل الأعمال النزيه المخلص الدقيق فى عمله ، الذى يقدس المقاييس والاصول ، لكنه كان حازما الى درجة الشدة ! ..

ولا أدرى اذا كانت شدته تلك هى التى نغصت حياتها ، أو انها راحت ضحية أصدقاء السوء ، أو كان تمردها بمثابة انفجار ولده ضيقها بالوسط الذى تعيش فيه والافراط فى محاسبتها وانتقادها من أجل أتفه حركة أو سكنة ؟ .. وانما كل ما أدريه انها تركت قريبا لنا يتودد اليها ويغازلها .. وذات يوم ضبط أبى خطابا يثبت صلتهما فطردها من البيت شر

طردة ، وبلغ من حرصه على اشباع شهوة الانتقام فى نفسه أنه فعل ذلك أمامى .. وحتى بعد سنوات طويلة لا يزال يرن فى آذنى صوته وهو يصيح بها وقد أخذ يدفعها الى الباب ملوحا بحزمة الخطابات التى فى يده : « يا فاجرة .. نعم ، يجب أن يعلم ابنك انك فاجرة ، ويذكر هذا على الدوام » ... ثم لم يكتف بذلك بل وشى بسقطتها لكل أفراد أسرتنا وأصدقائنا ، فاضطرت الى أن تهجر باريس ، مع عشيقها . وهكذا ظللت سنوات كاملة لا أراها .. وظل مشهد طردتها ماثلا فى خيالى الصبى بصورة مخيفة .. وانى لأرى الآن نفسى فى ذلك اليوم وأنا جالس أؤدى واجباتى المدرسية ، وفجأة أذكر منظر أبى وهو يدفع أمى نحو الباب فى عنف صائحا بتلك الكلمة التى كنت أجهل معناها «يافاجرة» .. فاذا أنا أتناول القاموس أبحث فيه عن المعنى الخافى على .. فلا أكاد أعثر عليه حتى تنطبع حروفه فى عينى بسوطى من نار : « الفاجرة » هى المرأة ذات الأخلاق المنحطة المخادعة .. فيقال امرأة فاجرة أى فاسدة شريرة ! .. رباه .. أأمى هكذا ؟

وحين بلغت الثامنة عشرة حرص أبى على تلقينى الكثير من تفصيلات حياتها مع عشيقها فى الغربة ، بأسلوب جعل من غير الممكن الا أن تنطبع ذكراها فى رأسى بطابع الازدراء الشديد ، الذى لازمنى طويلا .. حتى التقينا ذات يوم !

كان ذلك ذات صباح من شهر نوفمبر ، كهذا الصباح .. وكنت أعبر منتزه « مونسو » ، حين رأيت امرأة فى نحو الأربعين قادمة نحوى وهى متعلقة بذراع شاب فى سنى ، وعيناها تنظران اليه فى شغف ظاهر . ولك أن تتصورى دهشتى واشمئزازى عندما تبينت فيها أمى ! .. كانت قد كهلت ، لكن ملامحها لم تتبدل . وحين صارا بمحاذاتى ، عرفتنى هى فتوقفت .. وقال لها رفيقها بلهجة رقيقة مبتذلة : « ماذا .. هل تعبت ياحبيبتى الصغيرة ؟ »

فانقبض قلبى وأدرت وجهى مشيحا عنها .. ولا بد أن التعبير الذى ارتسم على وجهى اذ ذاك كان قاسيا ، لانى حين عدت من نفس الطريق بعد دقائق رأيتها خائرة القوى مستندة على ذراع الفتى وهو يقودها الى أقرب مقعد ، حيث تهالكت كالمغمى عليها وقد حطمتها الاهانة !

لكننى الآن أحس بمبلغ الجرم الذى اقترفته وقتئذ ، فانه ليس للابن مطلقا حق احتقار أمه ، حتى لو ضلت ..!

ثم مضى خمسة عشر شهرا ، واذا رسول يستدعينى يوما الى فراشها ، حيث كانت تعانى سكرات الموت ، على أثر جراحة خطيرة اجريت لها ..

وأدخلت عليها ، فتأوهت وهي تجذبني من ذراعي قائلة : « كم هو جميل منك ياولدي أن تلبي طلبي وتحضر . لقد طالما تمنيت أن أراك قبل الآن ، لكني لم أجسر ..! » وتوقفت قليلا بعد أن أجهدها الانفعال ، ثم استطردت بعد حين : « لقد عرفت ياولدي أخطاء أمك ، لهذا يحق لامك أن تطالبك بأن تعرف ايضاحا لتصرفاتها يجعلك لا تضن عل ذكراها بما تستحقه من الشفقة ، أو الرثاء! .. ثم أريدك أن تعلم أنه لم يكن ليحدث شيء مما حدث لو لم يعاملني أبوك بالشدة من أول وهلة ، كما تذكر لست أنكر انني كنت قد سمحت لـ « فاجون » بأن يغازلني ويصرح لي عن حبه ، بل وأعربت له بدوري عن حبي .. لكني لم أكن قد صرت خليلته .. وأقسم لك ياجوزيف انه لو كان والدك قد غفر لي زلتي لعشت امرأة شريفة في عواطفي ونواياي ، كما كنت في فعالي، برغم طيشي الذي لا شك فيه .. لكن قسوته عل ، وعلى مرأى منك ، هي التي أضلتني ! .. ثم ازددت يأسا ، فاستهتارا ، حين رأيت جميع أفراد أسرتي وأصدقائي وكل من يعرفني يناصبونني العداء ويبادرونني بالقطيعة .. مما أغراني بالرحيل مع «فاجون»، وجعلني اعتزم الطلاق من زوجي ! .. ثم أخذت أنت مني، ولم أجرؤ عل المطالبة بحضانتك، فجعلت همي أن أكتب اليك ، لكن رسائلي جميعا كانت ترد الي - من أبيك - من غير أن تفض ! .. فأجهزت هذه القسوة عل ما بقي لي نفسي من نوازع عن التردي الى قاع الهاوية .. وهكذا تحررت من سائر المقاييس الخلقية ، وسمحت لنفسي بكل شيء ، آملة أن تنسيني الملذات آلامي النفسية ، ولكن هيهات ! .. »

وكانت دموع الشاب قد أخذت تتساقط ، وهو يروي كلمات أمه المحتضرة ، ثم أردف : «وكانت آخر كلماتها لي .. كل وصيتي اليك ياولدي، أن تذكر مصير أمك التعسة ، كلما أغرتك التجارب بأن تقسو على أحد .. فكثيرا ما يستحق الانسان أفضل مما يلقى من دنياه ! »

ولم يكد الفتى ينطق بهذا حتى ويخ نفسه عل محاولته انتزاع سر الفتاة منها بهذه الخدعة الخبيثة ! .. وكانا يمران في تلك اللحظة أمام متجر لبيع الزهور ، فابتاعت منه آنييس طاقة من « الزعفران » قدمتها لجوزيف لينييه قائلة: «مادمت ستذهب الليلة الى قبر أمك ، فاحمل اليها هذه مني .. »

ثم افترقا .. فلما انفردت آنييس بنفسها وهي تسير نحو بيتها ألحت على ذهنها هذه الخواطر « لماذا باح لي اليوم بسر أمه ؟ .. ألم يقصد من ذلك أن يقول لي « اذا كان لديك سر

يتعلق بماضيك ، فيوحى لى به ٠٠ وسوف أصفح عنك ! » ٠٠ ولكن ، كلا ٠٠ ماهذا الهذيان؟ انه لم يقص على مأساة أمه الا لأن اليوم ذكرى وفاتها ٠٠ أواه ، لماذا لم أعرفه مبكرا ، قبل أن ٠٠٠ »

وظلت تهمس لنفسها بهذه الخواطر المبلبلة ، المحملة بالذكريات المريرة ، حتى أفاقت من غمرتها على تحية حارسة الباب وقد بلغت البيت ٠٠

— ٤ —

وشاء القدر أن يمعن فى تعذيبها ، فساق على لسان جدها وهما يتناولان الغداء قصة وخزت قلبها كالنصل المسموم ، قال لها فيما قال ضمن ثرثرته المألوفة : « ٠٠ ان ابن العم « جرفيه » يهديك سلامه ، فقد وصلنى خطاب منه اليوم ، خطاب مسل ، روى لى فيه قصة طريفة ٠٠ تريدين سماعها؟ حسنا ٠٠ كانت عنده فتاة تدعى « مييت » تعمل فى مزرعته وترعى ماشيته ، فأغواها رجل نذل ، لم تبح باسمه — مسكينات فتيات الريف هؤلاء اللواتى لم يتلقين تعليما ولا قدوة حسنة تعصمهن من أخطار الحياة بين شبان كالذئاب ! — ٠٠ ولنعد الى « مييت » ، فان سقطتها قد أثمرت ، واستطاعت الفتاة اخفاء حملها طوال المدة — تصورى الشجاعة اللازمة لامرأة فى مثل هذا الموقف ٠٠ فضلا عن القلق الذى ينغص عيشها خوفا من الفضيحة ! — وبالاختصار حل يومها أخيرا فوضعت مولودها ذات ليلة ، وهى منفردة فى كوخها الصغير لا تؤنسها غير الابقار ! ٠٠ وانتابها الخوف واليأس ففكرت ، ماذا لو خنقت الطفلة واستراحت من همها ؟ لكنها لم تلبث ان أشفقت على المخلوقة المسكينة التى أحستها ساخنة بالحياة بين يديها ، فقالت لنفسها : «سأتركها الصغيرة فى مكان ما ، فلربما عثر بها أحد فأشفق عليها وأخذها » ٠٠ فكممتها وحملتها الى الخارج ، حتى بلغت بقعة مهجورة فوضعتها تحت أقرب شجرة وخفت عائدة الى المزرعة ؟٠٠

وكانت كلبة « جرفيه » المفضلة قد وضعت فى اليوم الأسبق ، لكن سيدها قتل نسلها كله لانه وجده من سلالة غير عريقة ٠٠ فلما عادت الفتاة الى حظيرتها انطلقت الكلبة تعوى بشدة ، فرفعت مييت مصباحها فوقها لترى ماذا أزعجها ، واذا هى تشهد منظرا فريدا ، كانت الكلبة تحتضن « حلا » حديث عهد بالولادة سرقته لترضعه و « تتبناه » عوضا عن نسلها الذى حرمت منه ظلما وعدوانا ! ٠٠

أخذت « مييت » تتأمل ذلك المشهد وترقب الكلبة وهى تلعق رضيعها المتبنى فى حنان ظاهر ٠٠ فانتفضت



انتفضت في كيانها فجأة غريزة الأمومة واستيقظت فيها بكل عنفوانها

فى كيانها فجأة غريزة الامومة واستيقظت بكل عنفوانها .. فانطلقت عائدة الى حيث أودعت طفلتها ، والانزعاج يكاد يطير لبها .. ترى هل ستجدها ؟ نعم .. وعلى قيدالحياة؟ نعم ! .. فاختطفتها الى صدرها وأعطتها ثديها ، ثم عادت بها بين ذراعيها الى حيث اعترفت لسيدها بكل شئ وهى تنتحب !.. فماذا تحسبينه فعل ؟ لقد احتفظ بها وغفر لها ! أليست القصة مؤثرة، ولكن، ماذابك؟»

كانت آنييس قد نهضت من مقعدها فجأة فى حركة عصبية ، فلما سألها جدها عما بها أجابته : «أحس صداعا شديدا ، لعله نتيجة برد .. والافضل أن أذهب لانام »

وحين تمددت آنييس على فراشها تتابعت فى رأسها الخواطر .. ماأسعد « مييت » راعية البقر بحضانة طفلتها وما أتعسنى أنا بأمومتى الموءودة، التى لم تدم أكثر من ستة أسابيع ، هى التى عاشتها طفل فى أحشائى ! .. أو تصغى الكلبة لنداء الطبيعة ولا أصغى له أنا ؟ لكنه ذنبى ، فقد أصغيت الى ذلك الرجل، وصممت أذنى عن الثورة التى كانت تعتمل فى أعماقى وأنا أتبعه الى المولدة الآثمة ..

وتراءى لها فى خيالها شارع « دومبال » .. ورأت نفسها تقف أمام باب عليه لافتة صغيرة تعلن عن « مولدة » ! .. وها هى المولدة بعينيها الماكرتين وصوتها المعسول تقول لها : «انه لا شئ ياصغيرتى .. فلن تتألمى ! » وحين بدا عليها التردد استحثها ريمول: «هيا،كونى متعقلة. فكرى فيما قلته لك .. » .. وانها لما تزل تجد فى خياشيمها ـ بعدانقضاء عام ونصف ـ رائحة المخدر الذى وضعته المولدة فوق أنفها .. ثم .. ثم لم تمض ساعة حتى كان التاكسى يعود بها الى بيتها ، والى جوارها عشيقها الآثم يحاول التسرية عنها فيأخذ يدها بين يديه وهو يقول لها : « أرأيت كيف كان الأمر غاية فى البساطة ، أوكنت تريدين الفضيحة؟» .. وحين وجدت القوة على أن تصارحه بأن كل ما بينهما قدانتهى ، استقبل النبأ بهدوء الداعر الصفيق .. وقال لنفسه: «لا داعى لمناقشتها الآن .. فلأنتظر مرور العاصفة ، وهى لن تفلت منى آخر الأمر ، بفضل أموالها المستثمرة عندى، التى تجعلها دائما فى قبضتى ! »

وقد انتظر فصلا ، متعزيا عن وصالها «بالصفقات»النسائية الاخرى، حتى اللحظة التى دخل فيها «جوزيف لينييه » الشركة ، فلم تمض أسابيع حتى بدأ يلحظ تحول اهتمام «آنييس» اليه وميلها نحوه .. واذ ذاك

تملكه الغيرة ، وعاد يتودد الى الفتاة ويحاول استردادها . لكن الذى حدث ان محاولاته تلك زادتها اندفاعا نحو غريه .. حتى أصبح لها الشاب عن حبه، وأقنعته هى أن يكتفى بصداقتها . ومرت شهور ، ثم كان مشهد هذا الصباح ، وحديث الفتى عن أمه : ترى لماذا حدثها عن أمه ؟ .. انها لتدير فى رأسها مختلف الفروض .. لا شك أن الأقاويل قد وصلت الى سمعه فتسلطت على فكره الوساوس والشكوك ، ومن ثم اتخذ من ذكرى أمه فرصة لكى يسرد على قصتها ، وكلماتها الأخيرة ، كأنما ليقول لى « اذا كان لديك سر يتعلق بماضيك فائتمنينى عليه ، وهو مغفور لك ! » فلماذا لا أعترف له بسرى ؟ »

وكانت فكرة الاعتراف قد خطرت ببالها أكثر من مرة، ولكن ليست بهذه القوة، والالحاح ، انها على الاقل سوف تتخلص من هذا القلق الذى تتخبط فيه منذ أسابيع ، وهذا العذاب بين نارين : نار عجزها عن هضم فكرة الزواج منه فى ظل أكذوبة ضخمة وعار مستور، ونار عجزها عن نسيان حبه والقناعة منه .. بصداقته !

واذن فمهما تكن عواقب اعترافها الرهيب فانه يكفيها منه أنه سيكون خاتمة ابهام يجب ألا يطول! .. وحتى لو أدانها لينبيه ، فلن يستطيع الا أن يقدر فيها فضيلة واحدة على الأقل: صدقها .. فى مجال كان الكذب فيه أسهل عليها ، وأجدى !

.. وأحست بحاجة ملحة الى أن تستمرىء ذلك الشعور العذب الذى يرضى غرور الانسان: احترام النفس! وثارت فى كيانها رغبة عاطفية جارفة فى أن تعرض روحها ونفسها على صديقها كما هما ، فى غوايتها الماضية وتوبتها الحاضرة .. ولأول مرة أدركت مبلغ صحة رأى رجال الدين فى نظام الاعتراف ! .. حقا انه أكبر عزاء للضمير المتعب ، وأعظم محرر يعتق النفس من حملها الثقيل واحساسها المجسم بأوزارها وآثامها .

فبالتذلل الاختيارى يسترد الآثم اعتباره فى عينى نفسه ، الأمر الذى تصبح له فى حياته أحيانا أهمية التنفس بالنسبة للرئتين !

وانتهت آنييس من خواطرها الى قرار : انها ستكتب له ! .. وسمعت نفسها تنطق بهذه العبارة فى صوت مسموع .. فقفزت من فراشها ، وأدارت المفتاح فى الباب ، كى تضمن لنفسها عزلة آمنة . ثم جلست الى مكتبها الصغير وبدأت ، فى حمى انفعال حاد ، هذا الخطاب المفجع الذى بكت فيه شرفها بحرقة جعلت عينيها تبتلان بالدموع مرارا ، دون أن تنتبه لذلك ! :

الخطاب

الى جوزيف ...

ولكن ، ترى هل سيقدر ؟

.. ان ما لن يستطيع الا أن يقدره هو أن الصديقة التى تخط له هذا الاعتراف الذى لم تجد من نفسها الشجاعة على أن تصارحه به وجها لوجه ، تثق بخلقه النبيل الذى سمح له أن يحبها قبل أن يعرف شيئا عن ماضيها وبالرغم من الأقاويل التى تلوكها الألسن عنها ! .. لهذا ترى من حقه عليها بعد مسلكه الكريم أن تصارحه بالسبب أو الأسباب التى جعلتها تجفل من قبول زواجه بها فى الوقت الذى أحبته فيه بكل عاطفتها !

« ولكم كان يؤلمها أن تراه يصافح ويحترم رئيسا له فى العمل غير جدير باحترامه ، رئيسا كان من حماقتها أن تركته يقربها وينالها ..

نعم ، لقد كنت عشيقة هذا الرجل ، وحدث بيننا أقصى ما يمكن أن يحدث بين رجل وامرأة .. لقد حملت منه ، وكنت على وشك أن أصير أما ، فلما أبى ذلك أذعنت له وارتكبت جريمة التخلص من ثمرة زلتى ..! »

ولأرو لك القصة ..

« كان العامل الاول الذى مهد لها فى نظرى ذلك « الاختلال فى التوازن النفسى » الذى أصابنى كنتيجة للمفارقة القوية بين الوسط الذى نشأت فيه والجو الطليق الذى وجدت نفسى فيه حين أدخلنى جدى معهد « ليسيه لابلاس » وأنا فى سن الخامسة عشرة .. فقد انتقلت فجأة من وسط عائلى لا يعرف غير الجد الصارم والعمل المنتظم واحترام الواجب واحتقار الكماليات، مع جهل تام بحقائق الحياة .. الى وسط خالطت فيه بنات الأغنياء المرحات الأنيقات الجريئات ، ولبيت دعواتهن الى بيوتهن ونزهاتهن، فانفتحت أمامى آفاق عالم جديد لا يمت بصلة الى عالمى البيتى فى صومعة شارع استر اباداً .

« ومضت الأيام ونضجت الصبية المراهقة فأصبحت شابة مكتملة الانوثة، وتطورت ميولها تبعا لسنها .. فصارت تلعب التنيس وتركب الدراجة وتقود السيارة وترقص ، وتضع المساحيق والأصباغ ، وتنفق نقودها فى الجوارب الحريرية وتصفيف الشعر عند الحلاق ! .. وهكذا صار عصب حياتى الجديدة شيئا واحدا : المال الوفير من أقرب طريق ، فسعيت حتى حصلت على عملى الحالى فى شركة « الجران كومبتوار » . تحت رياسة مديرها الشاب « جاك ريدول ! »

.. ولك ياصديقى أن تتصور أى تأثير لهذا الرجل ، الذى تعرفه

جيدا . على فتاة مثلى شرحت لك ظروفها وبيئتها .. وهكذا بدأت فتنتى باعجاب ساذج بالمدير الساحر — من ناحيتى — تقابله من ناحيته هو « حملة » قوية من الملق والاطراء والتدليل والرعاية ، ثم النظرات العاطفية واللمسات الرقيقة .. حتى كففت عن المقاومة وانهارت حصون دفاعى عن عفافى حصنا بعد حصن

« ثم أثمرت علاقتنا المحرمة ثمرتها الطبيعية ، فلم أكد أستيقن من الأمر حتى خففت الى ريدول أزفه اليه !.. يالضلال الذى كنت سادرة فيه .. أتصدق ياجوزيف انى أنا التى أكتب لك الآن هذه الاعترافات مرتاعة باكية ، كنت يومئذ من الخبل بحيث سقت له النبأ فى عجرفة واعتزاز ، فخورة بأنى أحمل فى أحشائى الدليل الحى الذى سوف يشهد بشجاعتى فى تحدى المقاييس الرجعية للعفة والتبشير بدين المجتمع الجديد ! .. وكان مما شجعنى على الزهو والتيه ايمانى بصدق وعود ريدول بتطليق زوجه « القبيحة الحمقاء » والزواج منى فورا !

« ولكن . كيف أصف لك مصرع آمالى المريضة ، فى ذلك اللقاء المشؤوم ؟ .. وكيف أصور لك النظرة الباردة والجمود الفجائى اللذين تلقى بهما فاربس أحلامى النبأ السعيد ؟ .. بل وكيف أمثل لك حالتى وأنا استمع كالمصعوقة الى جوابه المفجع الاليم .. ان هذا الطفل فى نظرى مأساة .. مأساة بالنسبة لى ، ولزوجى وأهلى ومركزى الاجتماعى وعملى .. ومأساة بالنسبة لك ولجسدك التعس ! ولذا فان هذا الطفل لا يمكن ولا يجب أن يولد !

« وتغير وجهه وهو ينطق بحكمه الصارم على طفلى « بالاعدام » ... فرأيته للمرة الأولى على حقيقته ، عاريا من ذلك القناع الزائف الرقيق الذى طالما خلبنى .. ناطقا بالأنانية القاسية التى تنطوى عليها طبيعته . ولم أكد أتبين موقفى على ضوء التطور الجديد حتى نفثت فى وجهه ثورتى فى حنق وسخط تقبلهما منى صاغرا

« ثم مضت أيام ، كان كل يوم منها يسرع بى نحو كارثة الفضيحة ، وانتهز الآثم الفرصة فجعل يلقى فى أذنى تفصيلات خطته للتخلص من الطفل بكل براعته فى الاقناع والتغرير . . ثم تحالف معه ضدى مرض جدى فى تلك الآونة ، وخوفى على حياته من صدمة الفضيحة .. فانتهى بى الأمر الى الاذعان ! .. وذات صباح من الشتاء ، سوف أذكر دائما جوه الكالح المشؤوم ، تركت الآثم يقودنى الى ركن قصى فى شارع « دومبال » حيث تقيم مولدة تحترف هذه العمليات الشائنة .. وهكذا لم يولد الطفل قط !

«وحين نهضت من وعكتى ، وعدت الى عمل راغبة ، حرصا على سمعتى وتأمينا لرغد العيش بالنسبة لجدى ، فصمت كل علاقة آثمة لى مع صنبى المزيف .. ولم يستلزم الأمر منى أى صراع داخلى، اذ كنت قد أبغضت النذل بقدر ماأحببته من قبل، أوظننت نفسى أحبه واحتقرته بقدرماكنت بمسبة وقد شاءت المصادفة ، امعانا فى تعذيبى ، أن تلتحق أنت بالشركة فى تلك الفترة ، فأحدث ذلك فى أفكارى انقلاباً تاما ، وبعث فى كيانى مزيجا من العقوبة والأسى .. بل انى أحسست عندئذ بحاجتى الى ميلاد جديد يطهر خلقى من أدران الماضى الدنس ، فتمثلتك أنت رمزا لذلك الطهر النبيل .. أقول هذا بوحى من عقل وليس بتأثير عاطفتى نحوك، وحبى لك .. نعم ، فلقد أحببتك ياجوزيف أعمق الحب وأقواه ، وهأنذا أبيح لنفسى أن أصارحك به بعد أن وضعت بيننا حائلا شاهقا بهذه الاعترافات التى أسجلها على نفسى بمحض اختيارى ، والتى يمكنك على ضوئها أن تتصور مبلغ الاستشهاد الذى أحدثته هذه الذكرى المخيفة لآثمة شارع دومبال!،

« والآن ، هأنت ذا ياصديقى تعرف كل شيء .. وربما لو لم تحدثنى هذا الصباح عن أمك ، لما وجدت من نفسى القوة على كشف عارى لك ، ولظللت على جبنى الذى اعتقل لسانى يوم عرضت على فكرة الزواج ، فلم أبح لك يومئذ بسرى

« فاذا ما انتهيت من قراءة هذا الخطاب ، فأصدر على الحكم الذى يروق لك ، ولست أطمع فى أكثر من أن تحتفظ لى فى قلبك بركن صغير تريق فيه شفقتك على الفتاة التعسة التى تخط لك هذه الكلمات»

« آنييس »

واذ فرغت من كتابة هذا الخطاب واجهتها مشكلة جديدة.. هل ترسله اليه بالبريد ، أم تسلمه له بيدها ، أم ... ؟ وقبل أن تركن الى رأى فى هذا الصدد انتفضت لقرعة على صوت طرقات على الباب ، ثم سمعت جدها يناديها : « آنييس ، آنييس.. أهكذا تغلقين بابك بالمفتاح .. أما زلت متألمة؟» .. فألقت بأوراق الخطاب الذى يسجل آلامها الحقيقية فى درج مكتبها فى عجلة ثم نهضت تفتح للعجوز الذى كانت سحابة من القلق قد غامت على وجهه ، فلم يكد يراها على قدميها حتى أطلق زفرة ارتياح ثم قال : «اذن فلم يكن الامر الا صداعا خفيفا ؟ . هذا ما قلته فعلا لمديرك مسيو ريبول منذ برهة حين قابلته يتنزه مع زوجته وطفلهما أمام « اللوكسمبرج » .. أى رجل نبيل هو ! .. انه يبدى نحوك اهتماما كريما على الدوام فلاتنسى أن تشكريه!»

— ٦ —

وحين انفردت آنييس بنفسها فى الغرفة مرة أخرى بعد العشاء أعادت قراءة خطابها الرهيب كالذاهلة .. فلما انتهت منه كانت قد عقدت العزم على أن تسلم الخطاب الى الشاب بلا ابطاء ، يدا بيد .. !

وهكذا يممت ظهر اليوم التالى شطر رصيف « بيتون » حيث يقطن لينييه ، وفيما هى تحوم قرب بيته لاحت لها قبة كنيسة نوتردام ، الشبيهة بذراع لنهر السين .. لكنها لم تكد تهم بدخول بيت الفتى حتى اعتقلت خطواتها صورة مخيفة تراءت لها فى خيالها ، صورة لينييه وهو يفترسها بنظراته القاسية ويشير لها بيده نحو الباب ، كى تخرج !.. انه لو فعل فسوف تطيعه ، واذ ذاك يتحتم عليها ألا تراه بعد ذلك قط.. أواه ، يالها من عقوبة قطيعة أن تحرم منه الى الأبد . أية حياة تكون حياتها بعيدة عنه ، وأية وحشة ، وعزلة ، وعذاب ! .. كلا ، انها لن تحتمل ذلك.. فلتفكر فى الأمر بروية قبل أن تقطع على نفسها سبيل الرجوع !.. وسارت بمحاذاة أرصفة السين ، وأصابعها متقبضة على الحقيبة الجلدية الصغيرة التى تضم خطابها العتيد . وكانت مياه النهر تنساب تحت قدميها وراء الحاجز الحديدى .. ماذا لو مزقت الخطاب وألقت قصاصاته فى النهر ، فأمنت بذلك كل مخاطرة ؟ .. بل .. بل ماذا لو ألقت بنفسها فى لجة هذه المياه ، فابتلعتها وابتلعت عارها معها وخلصتها من هذا العذاب؟.. لكن صورة جدها انتصبت أمامها فى الحال، ورأت العجوز الطيب يتلقى نبأ الكارثة كالمصعوق ، فخفضت رأسها وهى تكرر لنفسها فى عصبية: «كلا ، لن أسيب له هذا الشجن المرير »

وكانت قد حاذت حدائق «التويللرى».. فانتفضت فى رأسها ذكريات أليمة .. كم من مرة وهى تتنزه فى تلك الحدائق أيام الآحاد رأت طفل غريمها «جاستون ريمول» يمرح فى الشمس والهواء ، بصحبة مربيته؟.. وكم من مرة أثار منظره فى قلبها حسرة شديدة على جنينها الذى قتلته ، والذى كان ليصير فى مثل سن « جاستون » لو عاش..؟

وقبل أن تستطيع خلاصا من هذه الأفكار والذكريات ، وبحركة غير شعورية ، استدارت الى اليمين ودخلت «التويللرى» . كانت المربية والطفل فى مكانهما المعتاد، ولكن فى ظروف فريدة فى نوعها. كانت المربية قد تركت الطفل نائما فى العربة واستدارت بعيدا عنها منشغلة بالثرثرة

مع المربيات الأخريات .. فلم تر آنييس وهى تقترب من العربة ، وتجذبها فى خفة .. الى خارج الحديقة .. وحين ابتعدت قليلا ، وأمنت شر مطاردة المربية لها ، تمهلت فى سيرها وقد أخذت تفكر فى روية « ماذا تفعل بهذا الطفل الذى لن يلبث أن يفيق من نومه ويزعجها ببكائه؟.. وأية نزوة جنونية دفعتها الى هذا الاختطاف المشؤوم ؟ .. أحقا تنوى أن تقدم على جريمة قتل أفظع من الاولى رغبة فى ابادة هذا السعيد والحاقه بالشهيد الاول ؟ .. وتراءت فى خيالها صورة جثتين طافيتين على وجه المياه . جثتها هى «وجثة الطفل .. انها ستلقى به فى أليم ، ثم تلقى بنفسها وراءه ، فتنتقم من ريدول ، وتستريح من عذابها ! وما من أحد يملك أن يمنعها من ذلك .. بعد أن تمزق الخطاب اللعين .. !

وفتحت حقيبة يدها فأخرجت منها الخطاب كى تمزقه شر ممزق .. واذا هى تسمع صرخة خافتة ، صرخة طفل .. فأدارت رأسها صوب العربة . لقد أفاق «جاستون» من نعاسه ، وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عذبة . لقد عرف الصغير آنييس ، التى كان قد رآها بالأمس فقط فى مكتب أبيه .. ومد الطفل ذراعيه نحوها ، وأطلق صيحة الجوع التقليدية : « لو لو .. لو لو »

وكانت الابتسامة ، والصيحة كافيتين ! .. كافيتين لان تجعلاها تفيق من هذيانها ، فغامت عيناها كمن قذفتها الأمواج على البر بعد صراع مخيف ، وانحنت على الطفل والدموع فى عينيها فقبلت خده فى انفعال شديد .. واصطدمت يدها وهى ترفع رأسه بأناء الرضاعة المملوء لبنا فأدنته من فم الطفل البرىء وهى تتمتم فى لهجة الندم والتوبة : «مسكين.. مسكين ياجاستون ! »

وبدأ الطفل يلوك نداءه العذب «ماما .. ماماه .. فأجابته بصوت أمومتها الموءودة « ياصغيرى ! » .. لكنها قبل أن تستمرىء لذة هذا الحنان مرقت الى ذهنها حقائق الأمر الواقع : ان هذا الطفل ليس طفلها، وهى لا تملك الاحتفاظ به ، وانما يجب أن تعيده .. ولكن لمن ؟ .. لأبيه «جاك ريدول» الذى ودت لو تقحمه فى حياة هذا الرضيع الذى تسقيه الآن بدل الموت لبنا ؟ .. كلا

وكانت الساعة قد بلغت الرابعة ، وأخذ ضباب كثيف يغشى الكون مصحوبا بمطر مثلوج ، وراح الهواء يقذف الفتاة بقطراته الثاقبة الثقيلة، فلم تجد المسكينة بدا من أن تخلع سترتها المصنوعة من الفراء ـ بدافع من أمومتها الكامنة ـ كى تحمى بها جسد الصغير النائم من عدوان السماء .. بينما أخذ فكرها

المضطرب الحائر يستعرض مختلف الحلول التى تستطيع بها الخروج من هذا المأزق المشؤوم

وفجأة برق فى خيالها وجه مألوف حبيب : جوزيف لينييه ! .. فهتفت لنفسها فرحة بالخلاص : «انه الوحيد الذى بوسعه أن يساعدنى .. فانه يحبنى ولن يعدم الوسيلة لانقاذى من مأزقى .. »

وغاض ترددها فى الحال ، فدفعت العربة أمامها .. واستأنفت سيرها تحت سيل المطر القارس المنهمر الذى بللها حتى ألصق ثيابها الخفيفة بجسدها المنتفض .. وأخيرا وجدت نفسها أمام البيت المنشود : بيت لينييه ! ..

— ٧ —

.. وتقدمت نحو الباب والبرد يرجف كيانها كله ، فلم يكد لينييه يفتح لها حتىبادرها متعجبا: «أنت.. فى هذه الساعة ، وبلا معطف أو مظلة ؟ آه ، لقد خلعت معطفك لتدفئة الطفل .. ولكن ، انه جاستون ريدول !.. فما معنى هذا، ماذا حدث ؟ »

« ماذا حدث ؟ » أجابته الفتاة وهى تفرك يديها من شدة البرد : « لقد فقدت عقلى منذ برهة فسرقت الطفل كى أقتله .. آه ياجوزيف ، بربك انقذنى .. لا يوجد سواك من يستطيع انقاذى ، من أضع فيه ثقتى .. ولكن ، اقرأ .. اقرأ هذا وسوف تفهم كل شيء» .. وتناولت الخطاب من حقيبتها ، ومدت به يدها الى الشاب ، الذى أخذه ثم فضه ووجهه ينطق بالدهشة والحيرة .. ثم أشار اليها بالاقتراب من وهج المدفأة ، بينما جلس هو على مقعد قريب يتلو الخطاب ! ..

وفرغ الفتى من القراءة فطوى الخطاب ونهض يذرع الغرفة بضع دقائق بدت للفتاة طويلة قاسية ، قبل أن يقف أخيرا أمامها متفرسا فيها ، ثم يتهالك على مقعده ! .. ولم تطق هى صبرا فابتدرته بصوت متحشرج : « لابد انك الآن تحتقرنى .. »

أما هو .. فوجد أخيرا صوته كى يجيبها بنغم يختنق بالتأثر : «عزيزتى أنييس ! .. » وراح يكرر هاتين الكلمتين وهو يتناول يدها فيقودها الى حيث وقفا أمام لوحة زيتية جفت ألوانها .. كانت هذه الصورة تمثل امرأة شابة تحمل على ركبتيها طفلا فى نحو الخامسة ! .. وقال لينييه : « أمى وأنا .. حين أقدم أبى .. » وبتر عبارته كى يشير الى صورة مجاورة تمثل رجلا مسنا ذا قسمات صارمة ، ثم استطرد : « حين أقدم أبى على طردها كما تعلمين ! ..

وقد نزع صورتها يومئذ من اطارها بشدة وأمر الخادم بطرحها فى المخزن حيث وجدتها فيما بعد ممزقة . انها لتذكرنى دائما بكلمات أمى الاخيرة التى ذكرتها لك .. بل انى أخالها الآن تنظر الينا وتهمس لى بشفتيها : « يا ولدى .. أشفق على فتاتك وأحببها بقدر ما تألمت ! » .. نعم يا عزيزتى، ولسوف أحبك على الدوام! والآن ، وقد فهمت كل شىء ، يسعدنى أن أناشدك من جديد .. آنييس ، هلا قبلت أن تكونى زوجتى ؟ »

« ولكن .. » أجابت الفتاة وهى فى غمرة من التأثر والانفعال «ولكن هذا غير معقول .. غير معقول .. انك لا تستطيع الا أن تحتقرنى »

ــ لأنك ضحية رجل ساقط استغل بجبروته ضعفك وفتنتك فيه ؟ ثم استطرد وقد انقدت مشاعره «آنييس» قولى انك تقبلين الزواج منى »

ــ نعم .. أقبل ! همست وهى تجثو على ركبتيها أمامه وتقبل بشفتيها راحتيه ، ثم استطردت : « ولسوف أقضى حياتى فى محاولة التكفير عن سقطتى .. »

ــ ان سقطتك مغفورة لك ، فاطرحيها وراء ظهرك وتناسيها! قالها وهو يرفع الفتاة اليه ويلصق صدرها بقلبه .. فأجابت هى : «لئن غفرت لى أنت ، فانى لم أغفر لنفسى ! » ..

.. وانتزعهما صياح الطفل فجأة من نجواهما فقال لينيه : « يجب ارجاعه فورا ، فلابد أن أمه فى أشد حالات الانزعاج ، ولعل الافضل أن أتولى بنفسى اعادة العربة .. »

.. وذهب الفتى .. ثم عاد بعد حين فقال فى لهجة ارتياح : « لقد تركت العربة أمام الباب . ولكن خادما من الذين يأتون الى مسيو ريشول فى مكتبه أحيانا لمحنى من بعيد ، وان كان يحتمل أنه لم يعرفنى ، فقد كنت مسرعا فى سيرى .. ولكن ، آنييس ، ما لأصابعك باردة كالثلج ، هل أصابك برد ؟ » .. فأجابته وهى ترتجف : « كان المطر شديدا أثناء سيرى بالعربة قبيل مجيئى اليك » فتناول يدها وراح يتأمل هذا المحيا الشاحب ، وقد سيطر على فكره خيال رهيب .. كم من قبلات أراقها العاشق الآثم على هذين الخدين ، وهاتين العينين .. وكم من قبلات تساقطت من فمه على هاتين الشفتين!

وكأنما أدركت آنييس مبلغ الاضطراب القلبى الذى يعانيه فتاها، فقطعت صمته قائلة : « جوزيف لقد كنت نبيلا وكريما للغاية معى .. لكن الوقت لم يفت ، وبوسعك سحب أقوالك بشأن الزواج .. وثق انى لو فعلت لن أكون أقل عرفانا بجميلك نحوى ... » .. فأجابها على الفور : «حاشا ردى على هذا الخاطر الشرير : فلنعلن لجدك نبأ خطبتنا! سوف أحضر

فى الساعة العاشرة صباحا ، اذ لست فى حاجة الى القول بأنى لن أذهب غدا الى المكتب، بل سأرسل استقالتى نيابة عنى ! »

ــ سوف تصلهم مع استقالتى

وتبادلا قبلة فياضة بالمعانى .. ثم أعربت عن رغبتها فى الانصراف .. وكانت فى عينيها دموع لمقها بقبلة من شفتيه ، ثم أردف : «وقولى لجدك اننا سنحصل على عمل أفضل فى احدى شركات التأمين الكبرى بفضل وساطة صديق ، فالى صباح غد ياعزيزتى آنييس ، كى نذهب لاختيار خاتم الخطبة »

وعلى أثر انصرافها أطل من النافذة، واذا هو يرى غريمه ريدول مقبلا .. فهمس لنفسه سوف أملك أعصابى ، أعاهد نفسى على ذلك .. من أجل آنييس ..!» .. وابتدره الضيف بمجرد دخوله : «أرى من واجبى أن أشكرك ياصديقى العزيز على صنيعك الكريم، وستجدنى منذ اليوم معترفا بجميلك.»

ومد ريدول يده الى مضيفه مصافحا .. لكن هذا تراجع فى اباء وقد عقد يديه فوق صدره متجاهلا اليد الممدودة اليه ..!

ــ أتأبى مصافحتى ؟ .. ما معنى هذا ؟

ــ معناه انى منذ اليوم خطيب مدموازيل آنييس ديلاس . وان خطيب مدموازيل ديلاس ليأنف أن يمد يده لمصافحة مسيو جاك ريدول !

قذف لينييه بهذه الاهانة فى وجه غريمه وهو يحدجه بنظرات نارية ، كست وجه هذا الاخير شحوبا مفاجئا لكنه سرعان ما استرد توازنه وقال فى هدوء مصطنع : « أرى ياعزيزى لينييه انك قد أصغيت للغط الذى يدور فى الشركة .. ولو كنت قد كلفت نفسك مشقة سؤال الفتاة عن الحقيقة لقررت لك أن مديرها قد وقف نفسه على خدمتها وانها لم تكن بالنسبة له غير يتيمة وضعها تحت حمايته ! »

وفيما كان الفتى يجاهد نفسه وأعصابه أمام هذه الأكذوبة الوقحة الصفيقة ، كان غريمه الآثم يسائل نفسه فى حيرة: «ترى ماذا يعلم لينييه بالضبط عن صلته بالفتاة؟» ثم تابع كلامه فى جرأة: «انى واثق انك ستندم على تهورك يامسيو لينييه .. ولكن دعنا من هذا الموضوع فليس من أجله جئتك ، وانما جئت أسألك بعض التفصيلات عن حادث عثورك على طفل . فهل لى أن أعرف أين وجدت العربة مثلا ؟ »

فأجابه لينييه على الفور : « فى شارع دومبال ! .. »

كانت الضربة مباشرة، وقاصمة!. اذن لقد اعترفت آنييس بماضيها للشاب ؟ وبعد هذا يقبل الأحمق الزواج منها ؟

مرت هذه الخواطر فى ذهن الآثم فى مثل لمح البصر ، قبل أن يجيب غريمه : « شارع دومبال ؟ اذن فقد جرؤت الفتاة ؟ لكننى لا أخشى ياصديقى ذكرى شارع دومبال ، أكنت تتزوجها ياسيو لينييه لو علمت حين عرفتها أن لها ماضيا ؟ أو كنت تريدنى أن أبقى على قيد الحياة دليل ذلك الماضى ؟ كن صريحا . واعترف معى بأنى تصرفت تصرفا حكيما .. ولئن كانت الفتاة قد اعترفت لك آخر الأمر فانها لم تكن مضطرة الى ذلك ، وانما فعلته بدافع الرغبة فى الانتقام .. وحقدها الذى أغراها بأن تشى بى لديك هو الذى دفعها الى محاولة الانتقام منى بالشروع فى قتل طفل لولا أن منعتها أنت ، كما أستطيع أن أفهم ، لهذا كن واثقا أن والد الطفل سوف يظل دواما معترفا بجميلك ، وهو سيثيب لك ذلك باستيقالكما — مدموازيل ديلاس وأنت — فى العمل . والآن أحسب أن لم يبق شىء آخر يقال ، فوداعا ياسيو .... »

— « بل هناك » قالها لينييه وهو يوقفه بحركة منه : هناك أود أن أقول لك اننا كلينا لن نضع أقدامنا فى مقر الشركة بعد اليوم .. وسيصلك غدا خطاب استقالتنا ..

— كما تشاءان ..

ثم وضع ريدول قبعته على رأسه فى حركة كبرياء مصطنعة ، وخرج فتهالك لينييه على المقعد الذى أجلس عليه الفتاة قبل ساعتين ، وراح يفكر : « آه كيف أفلت منى هذا الوضيع ؟ لم لم أعاقبه بيدى ؟ »

أما ريدول فقد راح يفكر بعد انصرافه : « كم هو سليم الطوية ، لينييه هذا ! .. فلأعد للفتاة طعمى الجديد : أجيب على استقالتها بارسال أسهمها الرابحة ، وهى تبلغ الآن نحو مائة ألف فرنك ، وأغلب الظن أنها لن تسلمها حتى يخضها الندم والطمع ، واذ ذاك يسرنى أن أعيدها الى عملها من جديد ، فهى ما تزال جميلة ! .. ولا أظنها سوف تستعصى على ، فهى تتزوج لتنتقم ، فاذا ما تم لها ذلك لن تطيق جدران المطبخ المقبضة وحياة الخمول مع هذا العاطفى الاحمق ! وعندئذ أستعيدها ، وحتى لو لم تقبل فيكفينى أنى كنت الأول .. أول من نال قلبها ، وجسدها ! »

ثم ارتسمت على فمه ابتسامة فخر وشماتة وهو يهمس لنفسه : « انك ستفكر فى هذا أحيانا ياسيو لينييه . لقد كنت أنا الأول ! .. »

ووجد الآثم فى هذا بلسما لجرح كرامته الذى كان ما يزال ينزف بشدة .. الأمر الذى دفعه الى الاسراع فى القاء طعمه .. فلم يكد يدخل مكتبه فى صباح اليوم التالى حتى بادر بفتح خزانته الخاصة

وأخرج منها مظروف أسهم «بترول أوفيرن» التى كان قد اشتراها لحساب الفتاة من ماله الخاص، امعانا فى اخضاعها لمشيئته!.. ثم أخذ يعدها ويحسب قيمتها فاذا هى قد ارتفعت من ١٨ ألف فرنك الى ٨١ ألف فرنك... فابتسم لنفسه ابتسامة الارتياح، وهو يفكر: «ان المبلغ الذى دفعته فيها يساوى لذة الظفر بالفتاة مرة أخرى.. وحتى لو استعصت على فان لذة اذلالى للشاب بماضى زوجته، تكفينى!..»

ونادى ساعيه الخاص فأعطاه المظروف بعد أن أوصاه أن يسلمه للفتاة يدا بيد..!

أما «لينييه» فلم تكد تحين الساعة العاشرة من ذلك الصباح حتى كان يطرق باب البروفيسور ديلاس كى يفاتحه رسميا فى شأن خطبة حفيدته، كما وعد الفتاة.. لكنه حين دخل وجد الجد فى أشد حالات الانزعاج، حتى لقد بادره قبل أن يرد تحيته: «درجة حرارتها ٤٠، وصدرها يؤلمها ألما حادا لا تستطيع معه أن تسعل أو تتنفس!.. انها ظمأى للهواء كما تقول.. أواه، انى أثرثر، بدل أن أدخلك عندها فورا كما طلبت منى..»

كانت آنييس مضطجعة فى فراشها ووجهها محتقن من شدة الحمى، والسعال الحاد ينفض كيانها بقوة: «آه، أهذا أنت ياموريف.. انني في أسوأ حال» قالت ذلك صوت متقطع وأنفاس مبهورة

فقال الشاب وهو يذوب رقة وحنانا: «لقد افتديت الطفل بنفسك.. أواه ياعزيزتى آنييس»

..بينما جاءه صوت الجد متوسلا: «بربك لا تدعها تتكلم يامسيو جوزيف.. وأسرع اليها بالطبيب»

وجاء الفتى بالطبيب — وكان اخصائيا عجوزا من أصدقاء أبيه.. وأدخل الطبيب على المريضة كى يفحصها، بينما بقى الجد والخطيب فى الردهة فريستين لقلق أليم.. وفجأة دق جرس الباب، فمضى الشاب كى يفتحه للطارق، واذا هو وجها لوجه أمام ساعى مسيو ريدول الخاص!

وقال الساعى مشيرا الى المظروف المنتفخ تحت ابطه: «ارسلنى سيدى كى أسلم هذا للمدموازيل شخصيا»

— ولكنها مريضة والطبيب يعودها

— ان التعليمات تقضى بأن أسلم المظروف للآنسة يدا بيد...

— يمكنك تسليمه لجدها مسيو ديلاس، وهو سيعطيك ايصالا

وتمت «عملية التسلم»!.. ولم يكد الساعى يخرج حتى قال الجد وهو يفتح المظروف: «كم هو طيب ونبيل، هذا المسيو ريدول!.. ان آنييس ستغتبط ولا شك حين ترى هذه الثروة بين يديها.. ما هو

الطبيب يخرج ٠٠. ماهو تشخيصك يادكتور ٠٠ ؟ »

ـ التهاب رئوى٠٠ لكن القلب فى حالته المثلى ، وكذا الجهاز العصبى٠٠ وأعتقد أنه لن تمضى سبعة أيام حتى تزول الحمى ٠٠ ولسوف أعود مرة أخرى بعد الظهر ، ثم أرسل لكم ممرضة لليل ٠ ٠ ولا تقلقا اذا سمعتما المريضة تهذى هذيانا خفيفا وتروى أشياء خيالية تتصل بعملها فى الغالب فهذا أمر طبيعى ٠٠ »

وعلى أثر خروج الطبيب أسرع الجد بالمظروف الى حفيدته وهو يشيد بنبل وكرم أخلاق ريدول ٠ أما الفتاة فقالت فى حنق ظاهر: «ضع هذه الاوراق بعيدا ، أرجوك »

ـ ايه ، حسنا ٠٠ وسأكتب فورا خطاب شكر للمسيو ريدول ٠٠٠

وبمجرد أن أقفل الجد الباب خلفه قالت المريضة لفتاها صارخة: « اخف هذه الاسهم كى لا أراها ياجوزيف، حتى تفكر فى وسيلة لاعادتها الى صاحبها ، فانى لم أعد أطيق شيئا يذكرنى بهذا الرجل ٠٠٠ »

ـ وأنا بالمثل ٠٠ ولذا أرى أن أذهب حالا الى مكتب مبادلة أعرف مديره ، وهناك أعرض الاسهم للبيع، ثم أحمل ثمنها الى دير فاسلمه للراهب على اعتبار انه تبرع من مسيو ريدول لفقراء الدير٠٠ وحين يعطينى الراهب ايصالا بالمبلغ أرفق به فاتورة مكتب المبادلة وأرسلهما الى ريدول ».

ـ آه ياعزيزى جوزيف ٠ ٠ قالت ذلك آنييس وهى تضم يديها الى صدرها فى اعجاب « يالها من فكرة رائعة ٠٠ أسرع بتنفيذها فورا ٠٠ »

* * *

كان المساء قد هبط حين عاد لينييه من مهمته فلم تكد آنييس تراه يلج غرفتها ملوحا بورقتين فى يده حتى بدا عليها الارتياح والانشراح ، فقال لينييه: «لقد تم كل شىء وفق ماتوقعت وهاهما الايصالان ، وغدا يعلم ريدول حين يستلمهما أننا لم نقبل عار الارتزاق من ماله !»

وفى الصباح التالى خف الشاب الى بيت خطيبته ليطمئن على صحتها كعادته ٠٠ فابتدره الجد قائلا فى استغراب: «لقد حدث ماتوقعه الطبيب فاصيبت آنييس بهذيان خفيف أثناء الليل٠٠ رأت نفسها تقود عربة طفل اسمه « جاستون » تحت وابل من المطر الغزير وقد تخلت عن معطفها لتغطى به الصغير ! ٠٠ لابد أنها قد قرأت أخيرا قصة فيها مشهد مماثل»

فأجابه الشاب : «تفسيرك هذا هو المعقول ٠٠ » ثم همس لنفسه فى جزع : « لعل هذيانها لا يتجدد ، فتروى مشهد شارع دومبال ! »


سباق هبة محمد علي الكبير ويوم المستشفيات
لصالح مستشفيات ومستوصفات المبرة وعلاج الفقراء بالمجان
يوم الأحد
١٨ يناير
بنادي السباق
بمصر الجديدة
إيقاف البيع ١٠ يناير سنة ١٩٤٨
والسحب ١٥ يناير سنة ١٩٤٨
الساعة ٤ بدار الحكمة بالقاهرة
الجائزة الأولى
مبلغ لا يقل عن
الجائزة الثانية
مبلغ لا يقل عن
الجائزة الثالثة
مبلغ لا يقل عن
٢٠٠٠
جنيه مصري
ثمن التذكرة ٥٠ مليماً والتذاكر في كل مكان
المكتب الرئيسي للبيع والتوزيع شارع شريف باشا بعمارة الإيموبيليا ت ٥٦٠٩٧

لم يكد ريدول يتسلم المظروف الذى به الايصالان حتى أدرك أن خططه جميعها قد أحبطت ، وأحس بعمق الجرح الذى اصابه فى كرامته ، فلم يطق صبرا واستقل سيارته الى شارع استراباد ، حيث تقطن آنبيس!

واستقبله الجد مرحبا ، وراح فى سذاجته المعهودة يروى له قصة هذيان المريضة ورؤياها الغريبة

وأغرى الفضول ريدول فانهال على محدثه بسيل من الاسئلة والاستفسارات. ثم طلب مقابلة آنيس فأذن له العجوز ..

كان كل غرض ريدول من مقابلة المريضة أن يشفى غليله فيستوثق من أمرين : أولهما سرقة طفله واعادته وصلتها هى بالحادث .. والثانى مدى علمها وموافقتها على تصرف لينييه بصدد بيع الاسهم .. !

وحين وقف أمام المريضة راعه سعالها الشديد الذى كانت تحاول جاهدة أن تحبسه فى صدرها كى تجد الفرصة لان تقول للزائر البغيض : « لقد استقبلتك ياسيو ريدول لكى أناشدك أن تتركنى اموت فى هدوء ، اذا وجب أن أموت ، أو أعيش حياة شريفة لا يدنسها عار قبول هبتك المهينة ، اذا قدرت لى الحياة ! .. فلا تحاول النيل منى فى شخص الرجل الشريف الذى أحبه ، أتسمع ؟ .. الذى « أحبه » ، والذى عرف كل شىء ولكنه برغم ذلك غفر لى ، وخطبنى!؟»

— « انك شديدة القسوة على يا آنبيس ! .. لكننى سوف أحترم رغبتك ، وأعدك أن يكون هذا الحديث هو الأخير بيننا .. فقط أرجو أن تعترفى لى بحق توجيه سؤال واحد أخير اليك: هل كنت أنت التى اختطفت الطفل .. ولماذا ؟

— لماذا ؟ .. لكى أقتله .. !

— رباه ..

— نعم ! .. كما قتلت أنت الآخر، أخاه ! .. لولا انه استيقظ من نعاسه وعرفنى ، فابتسم لى ابتسامة بريئة عذبة حركت قلبى ، فأشفقت عليه .. أتسمع ؟ أشفقت عليه هو، لا عليك ! .. هذه هى القصة وأؤمل ألا يكون عندك بعد هذا ما تسألنى عنه .. »

— بل عندى . فهل صحيح انك خلعت يومئذ معطفك ، كى تحمى به الصغير من المطر الشديد ؟

— وماذا يفيدك أن تعرف الجواب؟

— كى أسألك الصفح يا آنبيس ، عن كل مابدر منى !

.. وكان مخلصا فى سؤاله ، فقد كان لوقوفه على تضحية ضحيته رد فعل بالغ طمس فى أعماقه خصاله

الطبيبة .. وطفت على حطامها شخصية الأب الشفوق الذى أرهفت تضحية المحتضرة احساسه وايقظت فى قلبه حبه الأبوى لوحيده ، وأيقظت فى ضميره ندمه على مسلكه الشائن مع ضحيته وقسوته عليها ! .. وفى ظل هذا الشعور قال ريمول: «نعم،اغفرى لى انى لم أرحم شبابك وطهرك .. فسعيت بكافة الطرق كى أجعلك تسقطين .. واغفرى لى انى قدتك الى شارع دومبال ، وأغريتك بقتل الجنين .. بل اغفرى لى انى بالأمس فقط أرسلت لك تلك الهبة السخية كى أوقعك فى شباكى مرة أخرى، وأنالك من جديد .. أنت التى عرضت حياتك للخطر فى سبيل انقاذ طفل الحبيب .. الآن فقط أحس انك على حق فى حقدك على وبغضك لى ، ولكنى .. لم أكن أعلم انك نبيلة الى هذا الحد .. آه ، دعينى أكرر لك شكر أب أثم فى حقك ، لكنه لن ينسى قط ما فعلته ، بل انه ليستعطفك ويتوسل اليك أن تصفحى عنه »

— « لقد صفحت عنك .. والآن دعنى وشأنى» قالتها آنييس ، وهى مغمضة العينين ، وقد هزها الموقف

وفى اللحظة التالية فتح الباب ، ودخل الجد ، يتبعه .. لينيه !.. وقال الجد فرحا ، ببلاهته المهودة : « انها فرصة طيبة ان يحضر جوزيف أثناء وجود مسيو ريمول ، كى يستطيع أن يوضح له المسألة التى جاء يتحدث بشأنها .»

— « لقد أوضحت للآنسة كل شىء يامسيو ديلاس .. وأرى أنها تعبة ، فيحسن ألا أثقل عليها بالبقاء .. »

ثم خرج ، يتقدمه الجد ، ويتبعه الشاب بعينين يتطاير منهما شرر البغض الشديد .. !

ثم التفت الفتى الى خطيبته: «مامعنى هذا .. لماذا جاء هذا الوغد ؟ »

— عرفانى التديت طفله فجاءنى يطلب الصفح.. وأعتقد انه مخلص فى هذا ..

— ياللك من ساذجة ! .. لكن دعينا الآن من هذا ، ولنركز همنا فى انقاذك أنت حتى تشفى .. فلكم أنا مشوق الى أن أعطيك اسمى ونفسى وقلبى ، وأعيش معك »

— آه ياحبيبى .. أريد أن أشفى وسأشفى .. !

وشفيت بعد أسابيع صراع قاسية، لم يكف خلالها الطبيب عن أن يقول للينييه متعجبا: « ان ارادتها أن تعيش من أجلك ، هى التى تحييها .. »

وبعد أربعة شهور زف العروسان فى كنيسة سانت اتيين دى مونه .. وكان الطبيب العجوز أحد شهود الزواج .. !

حلمى مراد
المحامى

بين الهلال وقرائه

س — اذا سمع الانسان كلمة تثير الضحك ، فكيف يكون تأثيرها على اجهزة الجسم حتى يحدث الضحك ؟

محمد الحسينى تاج الدين : طنطا

ج — سؤالك تناول ابسط النواحي التي يسال فيها السائل ، اذا هو اراد أن يسال في امر الضحك شيئا . ذلك انك قصرت سؤالك على ناحية الضحك المادية ، وهي ايسر النواحي

والجواب انك تسمع الكلمة التي تثير الضحك ، فيجرى فى المخ ، الذى هو وعاء العقل ، مالا تسال عنه ، وعندها يرسل المخ عن طريق العصب رسالات كهربية ، يذهب بعضها الى الوجه ، ويذهب البعض الى الرئة .. يجعلها تضيق فتخرج هواءها ، أو تتسع فيدخل فيها الهواء . أما الوجه فيلبس تلك الاشكال التى هى شارات الضحك فى الانسان . وأما الرئة فتتنفس ويتجدد هواؤها أكثر مما يتجدد فى حالة التنفس الهادىء

وقد يحدث الضحك دون سماع كلمة ، أو اثارة نكتة . أى دون أن يتدخل العقل الواعى . ويكون هذا فى الدغدغة . تمس قاع القدم من الطفل ، أو حتى من الرجل ، أو تجرى بانامك فى غير عنف عند خصره ، فترسل الاعصاب ذلك الى مراكز فى الجهاز العصبى ، فلا تلبث هذه — دون وعى — أن تجيب باشارات يكون نتيجتها ظهور الضحك على الجسم بكل اشكاله . وقد يكون بأعنف أشكاله ، فتشترك فيه حتى الارجل والايدى

●

س — انى لا اومن بنظرية دارون ، فما رايكم فى هذه النظرية من جميع نواحيها ؟

غبريال ابراهيم : طالب ثانوى

ج — ان هذه النظرية ، يابنى ، نظرية عمادها علم الحياة ، وأنت بعد ، فى المرتبة التعليمية التى وصلت اليها ، وفى السن التى انت فيها ، لايمكن أن تكون حصلت من علم الحياة شيئا ذا بال . فكيف جاءك الكفر أو الايمان بشىء لم تعرفه . وتريد أن تعرف رايى فى النظرية من «جميع نواحيها » . وجوابى ، ورجائى اياك أن تصبر حتى تدرس أنت هذه النظرية من جميع نواحيها ، وعندئذ قد لا تحتاج لرايى فيها أو رأى سواى

ومثل هذا خطاب جاءنى من صبى فى السابعة عشرة يقول انه يكفر بالله

الا مهلا مهلا بالكفر والايمان .

فقد تنقضي الحياة الطويلة كلها ، وتنقضي في الدرس والتقصي ، وشيخها لايدرى أي جانبيه اهدى ، يمينه أم شماله

●

س — نشرت بعض المجلات معلومات يسيرة عن عملية تطعيم عيون عمياء بعيون سليمة لتبصر، فهل كل انواع العمي هكذا تعالج ؟ هل العملية جدية ؟ الأمر يهمني بصفة خاصة

شلال فياض : بغداد

ج — اظن ان العملية التي تقصدها هي التي تعالج العمى المتسبب من اعتام القرنية والعين. والقرنية هي ذلك الغشاء الشفاف الذي يغطي العين من الظاهر كما تغطي زجاجة الساعة وجه الميناء. فهذه يصيبها الاعتام فتذهب شفافيتها من امام عدسة العين فلا يدخل العين الضياء

وهي تعالج الآن بشق هذا الجزء المعتم من القرنية وازاحته عن العين ، ثم احلال جزء معادل له في المساحة في مكانه ، يؤخذ من قرنية ميت حديث الموت . وبذلك تعود العين فترى رويداً رويداً

أما ان العملية جدية ، فنعم . ولكن بالطبع نسبة النجاح فيها ليست الآن كبيرة . ذلك لأنه قد يصحب اعتام العين أسواء اخرى في العين ، فيكون للعمى أكثر من سبب ، وتصحيح سبب لا يغني عن بقية الاسباب

وتسأل الى اين يتوجه المرء في طلب هذه العملية . فأقول الى «اودسا» ، البلد الروسي المشهور على البحر الأسود ، فذاك البلد هو موطن هذه العملية الأول والاشهر . وكذلك هو الآن في سويسرا وامريكا . . ولكن الى اي حد بلغ من النجاح فيهما ، هذا يحتاج الى تقص واستخبارات

●

س — هل هناك علم يدعى علم تحضير الارواح ؟

عبد العزيز عبد الحليم عوض
معهد الاسكندرية

ج — ارجو من سائلي ان يكون قد استخدم في سؤاله الفاظا اراد معناها . واللفظة التي تهمني في هذا السؤال هي لفظة العلم

ان العلم اسلوب من اساليب المعرفة حديث ، طريقته تعرف الحقائق بالتجربة ، ثم تلخيصها ، بل تلخيص المتشابه منها في قانون ، ومن هذه القوانين تتألف العلوم . والتجربة التي تجرى في العلم لاتصح الا اذا ادت دائما الى النتيجة ما تهيأت لها نفس الاسباب

وعلى هذا يكون الجواب صريحا . . ان تحضير الارواح ليس علما

وعدا هذا ، فالروح لا يزال العلم يراها من « امر ربي » . «ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي » . فهو لذلك يتحاماها ، لانه ليس عنده وسائل نفيها اواثباتها ، فكيف بتحضيرها

على ان هذا جواب لا يرضى عنه كثيرون ، يريدون دائما ان يسمعوا أن تحضير الارواح علم ، ومن بين هؤلاء البله ، ومن بينهم النفعيون ، ومن بينهم العقلاء

●

س ـ « بارد » كلمة ثقيلة ، يصفني بها اهلي ورفاقي . وانى أجد البرودة في كلماتي وحركاتي، وفي طبعي الحياء وعدم الجراة ، على الاخص فيما يختص بالجنس الآخر .. فما السبب ، وما الخلاص ؟

مشترك

ج ـ البرود له اكثر من معنى، ومعناك الذي لاشك تريده هو بطء في الحركة ، وبطء في الكلمة ، واذا قرنت الى هذا الحياء لاسيما من النساء ، فاكبر الظن ان هذا يرجع عندك في الصغر ، الى منع شديد ، او تدليل شديد

عرفت رجلا عانى ما عانى من تدليل أم كانت اذا طلب شيئا ، جعلت هذا الشيء يسعى اليه ، فمنعته بذلك من الحركة . وخشيت عليه كما تخشى على تحفة من زجاج أن تنكسر، فمنعته من لعب الكرة خشية العرج ، ومن السباحة خشية الغرق . فتولد في نفسه الخوف من كل نشاط . ورأى أقرانه ينشطون ويزاطون ، فتولد في نفسه على الزمن معنى القصور منهم ، فهو يتحاماهم ، حتى لا يظهر قصوره

وكذلك المنع ، يفعل في الصبي ما يفعل التدليل . المنع عن قسوة وعن حدة طبع وسرعة اهتياج وسوء مزاج . لا يطلب الصبي شيئا الا ويصرخ فيه ، ولايحدث صوتا الا ويطلب منه السكوت. ان اصاب فأمر عادي ، وان أخطأ فله الويل . فينشأ الصبي على الفة الردوالصد، ويعتقد القصور في نفسه فيتحامى المواقف خشية ان ينكشف

ان البرود ، ان كان مصدره جسمانيا . ان كان مصدره الغدد وما تفرز من اجسام ، فلا ضرر منه . انه كالسمن وكالنحافة ، وكالامزجة عامة . انما الضرر من برود مكتسب، اصله المنع والنفور من الحياة ومناشطها . والحياء لا ضرر منه ، ان كان ترفعا عن الخنا ، وتجملا . وانما الضرر من حياء هو خوف مما لا يخاف منه، واستحرام لما لا يحرم فيه

وعلاج هذا .. التحرر من الخوف ، واعادة الثقة بالنفس ، وتقدير الاشياء والناس في غير مبالغة

سئل زعيم الانجليز،وخطيبهم تشرشل ، عن امتلاكه نفسه وهو يخطب في كل جمع مهيب . فقال : « التحرر قبل كل شيء من هذه الهيبة ، وادور بعيني في الحاضرين، واقول لنفسي هذا جمع مغفلين ، ثم انطلق »

ابن حزم